بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

ألفاظ البيئة الطبيعية في شعر ابن حمديس

إعداد
رأفت محمد سعد استيتي

إشراف
الأستاذ الدكتور يحيى جبر

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين
2007

ألفاظ البيئة الطبيعية في شعر ابن حمديس

إعداد

رأفت محمد سعد استيتي

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 21/ 7 /2007م. وأجيزات.

أعضاء لجنة المناقشة:	**التوقيع**
1. الأستاذ الدكتور يحيى جبر/ مشرفا ورئيسا	....
2. الأستاذ الدكتور وليد جرار/ ممتحنا خارجيا	....
3. الأستاذ الدكتور وائل أبو صالح/ ممتحنا داخليا	....

الإهداء

إلى روح والدي العزيز التي تفرح كثيرا لهذا الإنجاز

إلى أمي التي لا تكف عن الدعاء لي بالتوفيق، والتي أعجز عن أن أوفيها بعض

معروفها وتضحياتها

إلى إخواني وأخواتي وأبنائهم وأصدقائي

إلى كل أصحاب النفوس الطيبة

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور يحيى جبر الذي كان لي نعم العون والمرشد في إنجاز هذه الدراسة، ولم يضن علي بتوجيهاته السديدة وملاحظاته الدقيقة التي أثرت هذه الدراسة.

كما أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل الأستاذ الدكتور وليد جرار، وأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور وائل أبو صالح اللذين تفضلا بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة.

سائلا المولى أن يحفظهم جميعا وأن يجزيهم خير الجزاء.

فهرس المحتويات

ألفاظ البيئة الطبيعية في شعر ابن حمديس

إعداد

رأفت محمد سعد استيتي

إشراف

الأستاذ الدكتور يحيى جبر

الملخص

تتكلم هذه الدراسة عن ألفاظ الطبيعة في ديوان ابن حمديس الصقلي، دلالة وصرفا وإحصاء.

و تتكون هذه الدراسة من مقدمة وأربعة فصول إضافة إلى دراسة إحصائية للألفاظ الطبيعية تبين نسب ورودها في شعر ابن حمديس.

و قد تحدث الباحث في الفصل الأول من الرسالة عن حياة ابن حمديس، وعن أثر البيئتين الصقلية والاندلسية في حياة ابن حمديس وشعره، وقدرته على الابتكار والتوليد في المعاني والدلالة، ثم الفصل الثاني وعرض فيه الباحث ألفاظ الطبيعة الصامتة متضمنة ألفاظ الماء والغطاء النباتي والظواهر الجوية والتضاريس، ثم الفصل الثالث وعرض فيه الباحث ألفاظ الطبيعة الحية بما فيها من حيوانات أليفة، وحيوانات جارحة ثم الحديث عن الطيور بما فيها الحمام والجوارح.

أما الفصل الرابع فقد عرض الباحث بعض القضايا اللغوية، توضيحا لحضورها في ديوان ابن حمديس منها المشترك اللفظي، والترادف، والأضداد، والمعرب والدخيل، ثم الأبنية الصرفيه ، ومن ثم الدراسة الإحصائية والخاتمة التي توضح أبرز النتائج التي توصل اليها الباحث.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وآله وأصحابه الغر الميامين أما بعد:

إن نظرة متأنية في الشعر العربي تجلي لنا حقيقة لا يختلف عليها اثنان – سواء أكان في الشعر العربي عموما أم في الشعر الأندلسي على وجه الخصوص. ومنه شعر صقلية – تلك هي حقيقة البيئة ودورها الكبير في تكوين شخصية الشاعر وأثرها البالغ في صقل الشخصية من جهة، وفي توليد الألفاظ من جهة أخرى. كما أنها ترمي بظلالها على صفحات القاموس اللغوي للشاعر، لترسم الكلمات محملة بأطايب المعاني وروائع الدلالة. هجيرة في سحر المكان وتعوم على شواطئ الجمال لتحملها أجنحة الزمان إلى جنان الأحلام.

لقد حبا الله الأندلس طبيعة خلابة افتتن بها الشعراء فتهافتوا على وصفها، وأكثروا من التغني بمناظرها الجميلة، كما عبروا عن عشقهم الشديد لها وعن كلفهم بها في لوحات شعرية غاية في الروعة والإبداع. وتفننوا في ذلك أيما تفنن، حتى غدت الطبيعة أهم ما في حياتهم.

لذا فقد عكس شعر الطبيعة في الأندلس قوة اللحمة بين الأندلسيين وبيئتهم وتعلقهم بمظاهر الجمال فيها، فيستفيض في وصف محاسنها، ليعبر عن التصاقه الشديد بها، فهي العشق الأول والأخير، وهي الأولى قبل بلاد الدنيا كلها، وينبع هذا الوله والعشق من الإحساس العميق بالعروبة والانتماء. فكان انعكاسا للشعور الوطني في نفوس الأندلسيين وتعبيرا عن نزعة أندلسية قوية تأصلت في نفوس الشعراء، وظهرت في أشعارهم بشكل واضح.

لقد ظهرت الطبيعة في كل موضوع من موضوعات الشعر الأندلسي فكانت متكئا للموضوعات الأخرى. فإذا تغزل الشاعر جعل الطبيعة إطارا لغزله، وإذا وصف الراح اتكأ على الطبيعة وأفاضت في وصف محاسنها حتى كاد أن ينسى موضوعه

الأصلي وإذا حنّ إلى بلاده تــذكر طبيعتهــا الجميلــة، وإذا مــدح أو رثــى أخــذت صــور الطبيعة تتبث في أبياته.

ففي ليالي صيف الأندلس الجميلة يــستلقون مــستريحين فــوق الــشلت الطريــة فــي ســاحات القــصور الزاهــرة الفاتنــة، يتحــاكون القــصص، ويرتجلــون الأشــعار. وتبــدو براعتهم جلية في الأحاديث المنعشة الذكية. على حــين توشــوش النــوافير، ويعبــق النــسيم الوادع بأريج الزهور، ويشارك الأمير ضيوفه واثقاً فــي أحــاديثهم ويــأمر بــأن يقــدم لهــم طيب الشراب. فقد رسم الــشعراء لوحــات كثيــرة لمتنزهــات الأنــدلس، وتغنــوا بهــا فــي قصائدهم. ومن فتنتهم بالطبيعة حــولهم فقــد أفــردوا الحــديث عنهــا فــي قــصائد مــستقلة ليكون الوصف طبيعيا خالصا، فتهيأ لهم أن يقفوا على كــل جزئيــة مــن جزئيــات الطبيعــة فوصفوا الريــاض والأزهــار والمتنزهــات والغــوارات والأنهــار والجــداول والحيوانــات صغيرها وكبيرها أليفها وجارحها، طائرها وزاحفهــا. فلــم يتركــوا منظــرا ولا جمــادا مــن مناظر طبيعتهم إلا وصفوه وتغنوا به في أشعارهم.

من أولئك الشعراء لا بل على رأســهم شــاعرنا المجيــد والنــاظم البــارع والفنــان المبدع فتى صقلية وغلامها وشيخ الأندلس وشاعرها عبد الجبــار ابــن حمــد يــس الــصقلي الذي أذكت الطبيعة صبابة عشقه وفجرت في قلبــه ينــابيع الرقــة والجمــال فأغــدق عليهــا من رهافة الحس وبراعة النظم وأناقة اللفظ وروعة المعنــى ليرســم أجمــل اللوحــات لونــا وأدقها تفصيلا وأسلسلها عبارة.

هو ابن حمد يس. لقــد وقــف ابــن حمــديس عنــد كــل شــاردة وواردة فوصــف الجماد قمرا، قلما، سيفا، قصورا، أنهــارا، ســواقي ووصــف الريــاض والنبــات والأزهــار والنيلوفر وشقائق النعمــان كمــا وصــف الحيــوان والحــشرات كوصــف الناقــة والفــرس والزرافة والصقر والكــلاب والحمــام والبــق والبراغيــث والبعــوض والــذئاب والعقــرب والحرباء.

ووصف الإنسان ووصف كل ما صادفه أو خطر بذهنه سواء كان حسيا أم معنويا.

وقد جاءت هذه الدراسة لتقف عند ألفاظ الطبيعة في شعر ابن حمديس ما كان فيها صامتا أو متحركا. وقد كان منهاج الدراسة وصفيا إحصائيا دلاليا. وجاءت الدراسة على أربعة فصول:

الفصل الأول: شعر ابن حمديس صورة لطبيعة صقلية والأندلس وتناول الباحث فيه أثر البيئتين الصقلية والأندلسية في شعره الطبيعي. كما وقف الباحث عند ألفاظ الطبيعة وغنى دلالتها إضافة إلى توليد الألفاظ الطبيعية وتجديدها عند ابن حمديس.

أما الألفاظ الطبيعية الصامته في شعر ابن حمديس وتحسس جمالياتها ومظاهرها بما فيها ألفاظ المياه والغطاء النباتي والظواهر الجوية، فقد كانت مادة الفصل الثاني من البحث.

وفي الفصل الثالث وقف الباحث عند ألفاظ الطبيعة الحية ودلالاتها كألفاظ الحيوانات البرية والأليفة والطيور.

في حين وقف الباحث في الفصل الرابع عند بعض القضايا اللغوية والمعجمية التي تعكسها بعض الألفاظ في الديوان.

ومن ثم خاتمة أبرز فيها الباحث خلاصة ما أثمرت عنه الدراسة، إضافة إلى توصيات من شأنها ان تساهم في فتح الطريق أمام البحث العلمي للتحليل والإطناب في الوقوف عند شعر ابن حمديس، فهو شعر معطاء حافل بكل ما من شأنه إثراء اللغة وفتح أفق جديد في الدراسة الأدبية.

وأخيرا، وليس لي إلا أن أقول هذا جهدي المتواضع، فإن أصبت، فهو توفيق من الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

الفصل الأول

شعر ابن حمديس صورة لطبيعتي صقلية والأندلس

شعر ابن حمديس صورة لطبيعتي صقلية والأندلس

صقلية هي إحدى تلك الجزر الواقعة في مياه البحر الأبيض المتوسط،تقع إلى الجنوب من إيطاليا، ويفصل بينهما ممر مائي يسمى مضيق (مسينا) بمسافة لا تتجاوز ثلاثة كيلومترات. كما أن هذه الجزيرة الوادعة الجميلة تقع الى الشمال الغربي من ساحل إفريقية، بينها وبين تونس معبر صقلية الممتد على مسافة تقدر بمئة وعشرين كيلومترا[(1)].

لقد تعاقبت على هذه الجزيرة مراحل ثلاث، كان لها أثر كبير في سير الأحداث فيها، وأولى هذه المراحل الفتوحات الاسلامية. وتبدأ هذه المرحلة من العام 212هـ حتى سقوط دولة الأغالبة 297هـ. ثم مرحلة خضوع الجزيرة للفاطميين الذين أسسوا دولتهم في شمال إفريقية سنة 297هـ على أنقاض دولة الأغالبة، والمرحلة الثالثة التي توجت بظهور بوادر الفتنة، وذلك عندما استقل كل حاكم بولاية من الولايات. وقد فتحت هذه الفتنة أبواب الجزيرة على مصراعيها أمام النورمان الذين استولوا عليها عام[(2)] 484هـ.

وإذا ما ألقينا نظرة سريعة على المجتمع الصقلي نجد أن عناصر سكانه قد اختلطت بها الدماء والأجناس المختلفة في صورة قد خلت منها الأقاليم التي فتحها المسلمون. فقد كان المجتمع الصقلي يتألف من طائفة من العناصر المتشابكة والمعقدة. فمنها الآسيوي كالعرب، ومنها الإفريقي كالبربر، ومنها الأوروبي كالنورمان والإغريق واللومبار وغيرهم. وقد كانت الجزيرة قبل ذلك خاضعة لحكم الرومان الذين نشروا فيها لغتهم، كما نشروا فيها المسيحية، وبقي حالها كذلك حتى دخلتها رايات الفتح الإسلامي بقيادة أسد بن الفترات عام 212هـ.

وبعد أن فتح المسلمون صقلية سكنها العرب، الذين كانت قبائلهم، ترجع إلى أنساب عربية متعددة، فكان هناك اليمنيون مثل الأزد وكندة ولخم والمعافر، والمضريون مثل قيس وتميم وغيرهما. وقد كان الصراع بين القبائل اليمنية والمضرية محتدماً في المشرق والمغرب،فلم تنج منه صقلية، فكان مرضاً يعيث في أوصالها، إلا أنه لم يصل إلى الجدة التي كان عليها في بعض

(1) أنظر: شلبي، سعد: ابن حمديس الصقلي حياته وشعره، مكتبة غريب، االقاهرة، ص 7.

(2) أنظر:عيسى، فوزي سعد: الشعر العربي في صقلية، دار المعارف للطباعة والنشر تونس، ص 19.

الأقطار الأخرى[1]لذا فقد تتردد في الشعر الصقلي أصوات تفتخر بهـذا العـصر أو ذاك، وإن كانت أصواتاً نشازاً خافته. وقد تزايد عدد العرب بشكل مطرد بعد مرور مئة عام علـى الفـتح الإسلامي[2]إضافة إلى سكانها من الأجناس الأخرى على اختلاف أديانهم.

إن تعدد الديانات والأجناس في صقلية لم يمنع من اندماج أهلهـا مـع الفـاتحين العـرب وغيرهم بالمصاهرة وغيرها. أما الذين بقوا على دينهم فقد عوملوا معاملة الكتابيين أو الـذميين. وقد كان لتسامح المسلمين أثر كبير في دخول عدد كبير من المسحيين في الإسلام، فما أن جـاء القرن الخامس الهجري حتى كان عدد المسيحيين الذين لم يسلموا قليلاً جداً[3].

بذلك فقد اختلط العرب بسكان البلاد الأصليين وعاشروهم وصاهروهم وامتزجوا بهم، كما تبادلوا معهم العادات والتقاليد، وعليه فقد أصبح المجتمع الصقلي عربـي الملامـح والـسمات، وانصهرت هذه العناصر كلها في البوتقة الصقليّة لتكون وحدة صلبة متماسكة لا تتجزأ، أذكـت الروح الوطنية في نفوس الصقليين مع مرور الزمن، فبعد أن شعر المهـاجرون بـأن صـقلية وطنهم، نشأ جيل ينتسب إلى صقلية ويشعر بالرابطة العاطفية بينه وبينها[4].

على الرغم من الأوضاع السياسية المتقلبة التي عاشتها صقلية بما فيها من حـدة وعنـف تارة، وصراعات وحروب تارة أخرى، وما كان لذلك من أثر عميق في نفسية الفـرد الـصقلي، فصبغت شخصيته بالصبغة العسكرية، ليكون على استعداد دائم لتحقيق المزيد من الانتـصارات والفتوحات، كل ذلك لم يحل دون أن يكون للبيئة الصقلية دور كبيـر فـي صـقل الشخـصية الصقلية، فقد غرست فيها الإحساس بالجمال والميل إلى الأدب لا بل الشغف به ولاسيما الشعر. كما رافق ذلك النزوع إلى اللهو وضروبه المختلفة أضف إلى ذلك ما كان للمسيحيين مـن دور رئيس في هذا المجال.

---

(1) أنظر: ماريو، مارتينو، المسلمون في صقلية،30.

(2) أنظر: لوبون، جوستاف،ترجمة عادل زعيتر، حضارة العرب377-378.

(3) أنظر: عباس، إحسان: العرب في صقلية، دار المعارف، مصر.1959. ص، 63.

(4) أنظر: عباس، احسان: المصدر نفسه. ص 177.

كما أن الظروف الاقتصادية في الجزيرة روت ظمأ الشخصية الصقلية. فكان لازدهار الحياة الاقتصادية في الجزيرة أثر كبير في تكوين طبقة من الأثرياء على رأسها الأمراء، وقد ترك هذا الثراء أثراً بالغا في نفوس الناس، فافتتنوا في التمتع بالحياة، إلا أن هذا لم يمنع من وجود طبقة فقيرة من الشعب، ساعدت في إيجاد الانحلال الأخلاقي في بعض البيئات. وهذا بارز في شعر الصقليين.

لقد أنجبت صقلية في تلك الفترة الزمنية التي عاشتها حرة طليقة- قبل أن تسقط في أيدي النورمان- عدداً كبيراً من الشعراء ذكر منهم ابن القطاع[1] نيفاً ومائة وسبعين شاعراً. وهذا يدل على ما وصل إليه الشعر من نفوس أهل تلك الجزيرة من ازدهار وتطور.

ينقسم الشعراء في صقلية إلى قسمين أحدهما الشعراء الوافدون والأخر هم الشعراء الصقليون، ومنهم ابن سرقوسة الشاعر الفريد والنظّام المجيد، الذي رفعه شعره في الآفاق، وحلّق به في سماء صقلية نجم لا يشق له غبار بعد أن غردت بأشعاره الأطيار ومدحه الأخيار والفجار إنه ابن حمديس الصقلي.

ابن حمديس الصقلي[2]:

في مدينة سرقوسة الرابضة على سواحل جزيرة صقلية الشرقية. كان مولد عبد الجبار بن حمديس المكنى بأبي محمد عام 447هـ - 1055م يتصل نسبة بقبلية الأزد الكهلانية، إلا أنه لم يفتخر بنسبه هذا في شعره مثلما يفتخر بأنه من بني الثغر، فهو يعتز بوطنه أكثر من اعتزازه بقبيلته.

نشأ ابن حمديس في أسرة عربية محافظة تتمسك بأهداب الدين، ويميل أكثر أفرادها إلى الزهد والنسك، ويتصفون بالبرّ والتقوى، وقد عاش جده ثمانين عاماً قضاها في العبادة والنسك، ويشير إلى ذلك في قوله:.

(1) شاعر من شعراء صقلية له كتاب الدرة الخطيرة في المختار من شعراء الجزيرة.

(2) ابن خلكان،ابو العباس احمد بن محمد، وفيات الأعيان،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، 381/2.

تنسك في برٍ ثمانين حجة   فيا طول عمر فرَّ فيه إلى الرّب[1]

أما والده أبو بكر بن محمد فقد عاش إلى ما قبل 480هـ على وجه التقدير، وربما توفي في سرقوسة، وكان رجلاً محباً للخير، مضى حين مضى سالكا سبل آبائه، وقد كان لمحمد والد الشاعر أخت هي عمة الشاعر هاجرت وأبناؤها إلى سفاقس، كان ابنها أبو الحسن متطبياً مثقفاً يصفه ابن حمديس بأن " بقراط دونه معرفة طبية وفكرة حسبية" وقد تزوج أبو الحسن أخت الشاعر، وكان على ما يبدو من لدات ابن حمديس، فقد وثّقت النشأة بينهما عقداً من الصداقة أقوى من رابطة القرابة، وقد ظلت المراسلات تدور بينهما مدة طويلة، بعد أن هاجر ابن حمديس من صقلية[2].

لقد كان للبيئة التي عاش فيها ابن حمديس دور كبير في تحديد ألوان الثقافات التي تلقاها. فقد تزود بالثقافة الدينية منذ حداثته فحفظ القرآن الكريم، وألمَّ بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقرأ القصص والأساطير التي كانت شائعة في عصره، كما طرق أذنه كثير من أخبار المسلمين وسيرهم، وعكف على قراءة الشعر الجاهلي، فتعلق به واستعذبه، وتأثر بشعرائه، وقبس عن كل واحد منهم، وقد ظهر ذلك جليا في شعره[3]، كما اتسعت ثقافته وتنوعت، فقد ألمّ إلماماً كبيراً بالعروض والنحو، وطبائع الحيوان، والفلك والفلسفة، كما ألمّ ببعض المعارف الطبية، وشغف بالتاريخ شغفاً كبيراً، وقد بلغ من كلفه به أنه ألّف كتاباً في " تاريخ الجزيرة الخضراء" لم يصلنا منه شيء[4].

وكانت سرقوسة تمتاز بسحرها الخلاب. وطبيعتها الجملية الجذابة وقد وصفها الإدريسي بأنها " من مشاهير المدن وأعيان البلاد، تشد إليها المطي من كل حاضر وباد، ويقصد إليها التجار من جميع الأقطار، وهي على ساحل البحر وهو محدق بها، دائر بجميع جهاتها... وهي

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان، تحقيق الدكتور محمد عباس، دار صادر، بيروت، 1960، ص 36.

(2) ابن حمديس، الديوان: ص 3.

(3) عيسى، فوزي سعد: الشعر العربي في صقلية ، ص 378.

(4) حاجي خليفة، مصطفى ابن عبد الله: كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، ج1 استنبول، وكالة المعارف، 1941. ص 290

عجيبة الأمر وبها ما بأكبر المدن من الأسواق والحانات والديار والحمامات، والمباني الرائعة، والأفنية الواسعة وبها من الجنات والثمار ما يتجاوز الحد والمقدار[1].

على الرغم من النشأة الدينية التي نشأها ابن حمديس إلا أن ذلك لم يمنعه من أن ينجذب إلى تلك الحياة الصاخبة، فأطلق لنفسه عنانها، فذهب إلى الأديرة والحانات، وشغف بالقيان والجواري، كما كانت له مغامرات مع الراهبات، فافتتن بهذا اللون من الحياة حتى يظن المتمعن في حياة ابن حمديس واشعاره والمطلع على مفرداتها وتفاصيلها أن حظه في حياة اللهو والحب كان أكثر من حظه في العلم وتحصليه[2]وقد يكون سبب ذلك عائداً إلى عدم قدرته على استيعاب طبيعة الحياة في الجزيرة بشكل صحيح يؤهله إلى أن يلزم نفسه باتجاه الحياة العلمية والثقافية.

ثقافة ابن حمديس:

لا نريد أن نستزيد على ما ذكرته كتب الأدب والتاريخ عن شخصية ابن حمديس وألوان الثقافة التي قطف من زهورها أجملها وروداً، وأينعها ثماراً، وأطيبها عوداً، وأكثرها سحراً وبياناً، فقد أبحر في القرآن يتشبث بفيض بلاغته وإعجاز آياته، ثم طاف في حدائق الحديث

واستظل بظلالها الوارفة، حتى إذا اشرأبت نفسه للغة نزل منازلها وحط رحاله في بواديها ليعرج على شاردها وواردها، ويأخذ من لباب بلاغتها، ليروي ظمأ روحه المتعطشة من بديع سحرها ورقة بيانها ولطافة معانيها، فيحيكها بين دفتيه ليخرجها بأبهى الحلل وأجمل الصور أنهاراً عبقت مياهها بالدرّ المنظوم والعشق المكتوم.

لقد ذكرنا أن ابن حمديس قد أخذ من كل علمٍ بطرف، حتى ملأ جوفه وعقله فبدأ بخير الكلام وما أعجز الأنام، ثم بسنة حبيب الرحمن عليه أفضل الصلاة والسلام، فتاريخ الأمم والأديان، ثم اللغة بما حملت من نحو وعروض وأمثال ومعاجم وبلاغة وسحر بيان. ثم حمل

---

(1) أنظر: الإدريسي، ابو عبد الله محمد بن عبد الله: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. روما. 1778. ص، 29.

(2) أنظر: ابن حمديس، عبد الجبار، ديوان ابن حمديس: تحقيق الدكتور محمد عباس. دار صادر، بيروت، 1960، ص 4.

على الفلسفة والفلك والطبيعة والكيمياء والموسيقى والحساب ثم النبات إلى أن ألف الوحش والحيوان فوصفها وكأنه يرسم صورة إنسان[1].

وقد برزت ألوان ثقافة ابن حمديس في شعره بشكل جليّ يقول:

وتالٍ مِنَ القرآنِ " قُل لنْ يُصيبنا وقد حانَ من زُهْرِ النجومِ غُرُوبها[2]

(الطويل)

وَضَعتْني كَرْهاً كما حَمَلتْني وجرى ثديُها بِشُرْبي وطُعمي[3]

(الطويل)

وهذه الأبيات تطلعنا على ثقافة ابن حمديس من القرآن الكريم.

ويقول واعظاً ناصحاً:

خُذْ بالأَشدّ إذا ما الشّرْعُ وافَقَه ولا تملْ بك في أهوائكَ الرُّخَصُ
ولا تكنْ كبني الدنْيا رأيتُهُمُ إن أدْبَرَتْ زَهِدوا أو أقبلَتْ حَرَصوا[4]

(البسيط)

ومما يدل على معرفته باللغة واتقانه لها قوله:

هيهاتِ كان مماتُ نفسك مثبتاً بيدِ القضاءِ عليك في الميلاد
قَصَرَتْك كالمَمْدودِ قَصْرَ ضرورةٍ وعَدَتْكَ عنْ مَدّ الحياةِ عَوَاد[5]

(الرمل)

ويقول مشيراً إلى الالتفات البلاغي وموظفا له توظيفا جميلاً دالاً على معرفته به معرفة تامة.

قالتْ لِمُنْشِدِها نسيبي مالهُ ليسَ النسيبُ لِمثلِه بِنسيبِ
يا هذه أصَدىً دَعْوات مُرَدّدَاً ليجيبَ منك فكان غيرُ مجيبِ

---

(1) أنظر: شلبي، سعد: ابن حمديس الصقلي حياته وشعره. مكتبة غريب القاهرة، ص 127-143.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، ديوان ابن حمديس، تحقيق الدكتور محمد عباس، دار صادر بيروت، 1960. ص 43.

(3) المصدر نفسه: ص 478.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 290.

(5) المصدر نفسه: ص 123.

لیتَ التفاتي في القريضِ أعرتِهِ حُسْنَ التفاتك رحمةً لكئـــيبِ[1]

(الرمل)

فقد ألمَّ الشاعر بعلوم اللغة إلماماً كافيا، إلا أنه لم يكتف بذلك، بل اهتم بالعلوم الختلفة. كعلــوم الفلسفة الطب والفلك والطبيعة والكيمياء وغيرها، فقد كان له نظرات وملاحظاتٍ تدل علــى أن الرجل كان دقيق الملاحظة واسع الأفق، معنياً بثقافته وثقافة عصره، على نحــو مــن الإلمــام السريع الذي ينبغي أن يلمَّ به الأدباء الذين وقفوا حياتهم على الفن وجعلوه بضاعتهم[2].

يقول ابن حمديس:

ومشرقٍ كيمياءُ الشمسِ في يدهِ ففضةُ الماءِ في إلقائها ذهبُ[3]

(الطويل)

كأنَّ لِنَفْـسِكَ مغناطيســـــــاً غَدتْ لــلذنوبِ بِهِ جــاذ بِهِ[4]

(الطويل)

فتاةٌ إذا اســتعطفتَ باللينِ قلْبَها على الصّبّ أضْحى وهو من حجرٍ أقْسى

ولا شكّ أنّ الماءَ رطبٌ وكلما ســَـقَيْتَ حـــديداً فيه زاد به يُبْـــساً[5]

(الطويل)

أثر البيئتين الصقلية والأندلسية في شعر ابن حمديس:

إن المطلع على الشعر العربي عموماً وعلى الشعر العربي المغربي- ســواء كــان فــي صقليه أو في الأندلس- على وجه الخصوص، يرى ما للبيئة من دور كبير في تكوين شخــصية الشاعر وأثر بالغ في صقل الشخصية من جهة، وفي توليد الألفاظ من جهة أخرى، فهذا علي بن الجهم يدخل إلى بلاط المتوكل مادحاً فيقول:

أنت كالكلب في وفائه وكالتيس في قراع الخطوب

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 58 – 59.

(2) أنظر: شلبي، سعد: ابن حمديس الصقلي حياته وشعره ، مكتبة غريب القاهرة، ص 140-141.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 25.

(4) المصدر نفسه: ص 41

(5) المصدر نفسه: ص 282.

فما أن أكمل قوله هذا حتى انقض عليه بعض الحضور يريدون قتله ظناً منهم أنه يهجو الخليفة لا يمدحه، وفي حقيقة الأمر كان الشاعر يمدح، إلا أنه يعيش في الصحراء فلم يجد أكثر وفاءً من الكلب فأراد أن يصف الخلفية بالوفاء، ولم يجد أكثر شجاعة من التيس، فأراد أن يصفه بالشجاعة، هذا ما كان يدور في خلجه. لذا طلب إليهم الخليفة أن يتركوه ويذهبوا به إلى الرصافة، وبعد أن عاش في الرصافة فترة من الزمن واستمتع بجمالها الساحر وطبيعتها الخلابة عادوا به إلى الخليفة، وعندما وقف بين يديه قال:

عيون المها بين الرصافة والجسر   جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على دور البيئة في بناء شخصية الشاعر. وفي قاموسه اللغوي ومن هنا فقد كان للبيئتين الصقلية والأندلسية دور ضليع في شاعرية ابن حمديس، ونخص بالذكر البيئة الحاضرة الغائبة في قلب ابن حمديس إنها بيئة صقلية المفعمة بالحياة، ما توافق منها وما اختلف، وسنفصل الحديث فيما يلي عن البيئتين ونبدأ ببيئة صقلية وأثرها في شعر ابن حمديس.

أثر البيئة الصقلية في شعر ابن حمديس:

لقد عاش ابن حمديس حياته متنقلاً من مكان إلى آخر، فبعد أن عاش ريعان شبابه في صقلية التي كانت حاضنة طفولته وشبابه، ومصدر وحيه وإلهامه رحل إلى أفريقية، إلا أنه لم يألف حياتها في الصحراء القاسية، فلم يطل به المقام فيها، فحمل أمتعته وتوّجه صوب الأندلس، ليستقر به المقام في إشبيلية، ويعيش في كنف صاحبها المعتمد بن عباد ما يقرب ثلاثة عشر عاماً تقريباً، إلى أن استولى عليها المرابطون واقتيد ابن عباد أسيراً إلى أغمات بمراكش، فعزّ على ابن حمديس أن يترك صاحبه في محنته، فلازمه في منفاه، إلى أن توفي ابن عباد، ليعود ابن حمديس إلى التنقل والتشرد من جديد، فيعاني من متاعب الغربة، ويبقى متنقلاً بين المدن الأفريقية حاملاً بين جنبيه وطنه الحبيب صقلية إلى أن قضى بقية عمره فيها حتى وافاه الأجل بعيداً عن وطنه عام 527هـ. وقد كانت وفاته في مدينة ميورقة(1).

(1) أنظر: عيسى، فوزي سعد: الشعر العربي في صقلية، ص 380-382.

لقد اختلط ابن حمديس بالحركات الأدبية في البيئات التي تنقل منها وإليها، ولكن هل كان لتلك البيئات أثر أو تأثير ذو قيمة في شعر ابن حمديس. لقد شغلت هذه القضية أذهان الباحثين فكانوا بين المؤيد لتأثيره بهذه البيئات والمعارض وكل له حجته التي يستند إليها[1].

يرى سيد نوفل أن ابن حمديس كان يعيش بلغته وعقله وثقافته معتمداً على العربية في بيئاتها المختلفة، ويقول نوفل" إن الحياة التي عاشها " يعني ابن حمديس" في الأندلس وإفريقية هي التي هيأته لأن يكون مثال الشاعر الذي يغنى بأساليب غيره من الشعراء"[2].

وهذا ما يردده جودت الركابي بحرفيته تقريباً دون الإشارة إلى قائله[3]. في حين يرى أمبرتور ريزتانو أن البيئات التي عاش فيها ابن حمديس أندلسية كانت أم أفريقية- لم تكن تتجاوب مع قلبه، ويؤكد ذلك بقوله: إن الحوادث التي كانت تدور في إفريقية لم تكن ذات أثر مهم في نفسية ابن حمديس، بل إنه لم يكن لها أثر واضح في شعره، وإن وجد فإنما هو أثر باهت يستطيع القارئ العثور عليه في هذا المديح أو ذلك الرثاء[4].

إن من يطالع ديوان ابن حمديس يجد ذلك صحيحاً إلى حد بعيد، فالقارئ المجيد لشعر ابن حمديس يجد صقلية تطل من نافذة كل قصيدة تقريباً، وهذا يسعفنا في القول إن المؤثر الرئيس، ولعله الوحيد، في شعر ابن حمديس هو صقلية، انظر إليه يتغنى بأيام شبابه التي قضاها في صقلية لاهياً متلذذاً يقول:

وراهبةٍ أغلقتْ دَيْرَها	**فكنّا مع الليل زُوّارها**
هدانا إليها شذا قهوةٍ	**تذيعُ لأنفك أسرارها**
طرحتُ بميزانها درهمي	**فأجْرَتْ من الدنّ دينارها**
وعدنا إلى هانة أطْلَعَتْ	**على قُضُبِ البان أقمارَها**
يرى مَلِكُ اللهو فيها الهمومِ	**تثور فيقتل ثُوارَها**
وقد سكَّنَتْ حركاتِ الأسى	**قيانُ تُحَرِّكُ أوتارَها**

---

(1) أنظر: نوفل، سيد: شعر الطبيعة في الأدب العربي ، مطبعة مصر القاهرة، 1945. ص 269.

(2) أنظر: المصدر نفسه: ص 269.

(3) أنظر: الرّكابي، جودت: في الأدب الأندلسي، دار المعارف مصر. 1966، ص 101.

(4) أنظر: ريزتانو، أمبرتور: تاريخ الأدب العربي في صقلية، منشورات الجامعة الاردنية، 1965، ص 97-102.

فهذي تعانِقُ لي عودا لها وتلك تقبِّل مزمارَها[1]

(المتقارب)

وراقصةٍ لَقَطَتْ رِجْلُها حسابَ يدِ نَقَرَتْ طارَها

(المتقارب)

ومما يؤكد خلود صقلية في قلب الشاعر وعدم تأثره بغيرها من البيئات التي اختلف إليها قوله:

ألا في ضمانِ الله دار بِنُوطَسٍ وَدَرّت عليها مُعْصِراتُ الهواضب
أُمَثِّلها في خاطري كلّ ساعةٍ وأمْري لها قَطْرُ الدموعِ السواكبِ
أحنّ حنين النيبِ للموطنِ الذي مغاني غوانيه إليه جواذبي
ومن سار عن أرضٍ ثَوَى قلبُهُ بها تَمنّى له بالجسم أوبة ايب[2]

(الطويل)

لقد كانت حياة ابن حمديس التي عاشها في صقلية، وشاهدها، تختلف عن حياة غيره من الشعراء،. فقد كانت مجريات الحياة وأحداثها بما فيها من حياة اجتماعية واقتصادية وسياسية وعقلية، قد أثرت بشكل كبير في تهذيب فكر ابن حمديس وخياله، مما جعل لشعره صبغة خاصة، فقد أغدق وأبعد في تفكيره وخياله، كما كان كثير التأمل في مظاهر الحياة المختلفة، فكانت ذكريات الماضي تتجاذبه فتملأ عليه نفسه. كما هو حبه وحنينه واشتياقه الدائم لبلاده التي عبثت بها الأهوال. وهذا ما جسده ابن حمديس في شعره فتراه باكياً متألماً، وقلما تجده فرحاً مسروراً حتى إن فرحه وسروره لم يكونا ليخرجا الآلام التي سطرتها حوادث الأيام جرحاً نازفاً في قلب شاعرنا. لذا فقد كان شعره مرآة تعكس حياته النفسية، ويصور مشاهداته وآرائه[3]، ويقول:

أسلمني الدهرُ للرّزايا وغيّرَ الحادثاتُ قَفْشي
وكنْتُ أمشي ولستُ أَعْيا فصرتُ اعيا ولستُ أَمْشي[4]
كأنني إذْ كبرتُ نَسْرٌ يُطْعِمُهُ فَرْخُهُ بِعُشّ

(البسيط)

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 97 – 102.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 33.

(3) أنظر: أبو الخشب، إبراهيم: تاريخ الأدب الأندلسي، مطبعة المعرفة، القاهرة، 1959، ص 287.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 287.

فالشاعر في هذه الأبيات يفكر في الوطن القريب البعيد على الرغم من أن الهرم قد أخذ عليه عمره وشبابه، فتركه نهباً لحوادث الأيام.

كما ذكرنا سابقا أن الحياة التي عاشها ابن حمديس في صقلية كانت قصيرة ومع ذلك فإن صقلية بقيت شمساً لا تغيب عن عيون الشاعر وقلبه، فلم تفارق صقلية ذهن الشاعر ولا خياله، وهذا ما يعرضه شعره ويظهره في أغراضه كلها. فتراها في غزله، وتراها في وصفه، ولم تخلُ منها خمرياته، حتى مدائحه نالها من الحب جانب، وبذا فإن صقلية كانت العقد الذي انتظمت بها اللآلئ شوقاً ووفاء وإخلاصاً[1].

فقد استطاع ابن حمديس أن يستحضر صقلية في صور شتى، فمرة يصورها في صباها وأخرى في لهوها وعتبها، فكانت عروساً مترفة متباهية بجمالها. فقد كانت مليئة بحانات الخمر التي يعمرها عشاقها من الغلمان والجواري والسقاة ليتذوقوا صفوا الحياة ولذة العيش، لا يعرفون من الحياة غير الأفراح، ولا يعمر قلوبهم إلا السعادة كما هي حال شاعرنا يقول:

بلدٌ أعارتْهُ الحمامةُ طَوْقَهَا ... وكساهُ حُلّةَ ريشهِ الطاووس

وكأنّ هاتيكَ الشقائقَ قَهْوَةٌ ... وكأنّ ساحاتِ الديارِ كؤوسُ[2]

(الكامل)

ويصف ابن حمديس ترسله إلى الحانات ومنادمته لمن يعمرن لياليها من الجواري والفتيان، ويصف إعجابه وافتتانه بها فيقول:

وَتزْحَمَني كُلّ فتانةٍ ... بتفاحةٍ غلّفَتْها بِطيبِ

وَيُطْلِقُني من عقالِ العناقِ ... صباحٌ ينبه عينُ الرّقيب[3]

وفي كَبدِي جرْحُ لحظٍ عليلٍ ... وفي عَضُدي عضّ[4]ثغرٍ شنيبِ

(المتقارب)

---

(1) أنظر: المدني، احمد توفيق: المسلمون في جزيرة صقلية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1960، ص 217.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 253.

(3) المصدر نفسه: ص 12.

(4) المصدر نفسه: ص 12.

أما عن الخمرة التي كانت معلماً بارزاً في حياة شاعر صقلية. حيث لا يشغله إلا شـــربها واغتنام الملذات بصحبة السمَّار. الذين لا يفكرون بغير اللذة واللهو وقرع الكؤوس إعلاماً بـــأن صفو الحياة قد نشر ظلاله فوق رؤوسهم المترعة بعتاق الراح، فهو يقول:

طربتُ متى كنتُ غيرَ الطروبِ ... فلم أُعْرِ طرْفَ الصّبا من ركوبِ

فيوْماً إلى سَبْيِ زِقّ رَوى ... ويوماً إلى صيد ظبْيٍ ربيب

ومهما كبا بي فمن نشوةٍ ... يوافِقُها بين كأسٍ وكوبِ

ليالي بين المها غَيْرَةٌ ... عليّ تخوضُ بها في حرُوبِ(1)

(المتقارب)

هذه حياة ابن حمديس في صقلية تملؤها الراح العابقة بطيب لثات الجواري والقيان. وفـــي هذه الفترة من حياته لم يكن يؤمن بشيء إلا اللذة والمتعة واللهو، حيث أصبحت اللذة بالنسبة لـــه عماد حياة، لا يعتنق غيرها مذهبا، بل هي محراب لا يحلو التعبد إلا في باحتـــه، ولا يرضـــى بغيرها بديلاً استمع إليه يقول:

وما العيشُ إلا في تَطَرفِ لذةٍ ... وَخلْعِ عَذَارِ فيه مُسْتَحْسَنُ العذرِ(2)

(الطويل)

وفجأة وبعد أن كان شاعرنا غارقاً في لهوه وملذاته، دقت عقارب الزمن، وانتفض الحزن من سباته الطويل، لتطل شمس التشرد على عتبات الشروق، فقد كان القدر بالمرصـــاد، فيـــأبى على ابن حمديس إلا ان يتيه في بحور الخوف والفتنة التي كانت إعصاراً مزق أشرعة السرور، وريحاً اقتلعت منابر الصفاء، وحنظلاً ملأت أقداح الليل. وسماً عاث في جسد الحبيبية حتى أعيا كل طبيب وجرّع الحيرة لكل حليم. وما إن أفاق شاعرنا من سكرة حلمه الجميل حتى وجد نفسه يصرخ بالوطن يا وجع الوريد، فقد تقاذفته أمواج الفتنة حتى رمته بعيداً عن الأم الحبيبة. بعيـــداً عن الوطن المجيد، عن جنة الخلد التي يريد. عندها غابت عن ناظريه ضحكة الأيام، وبـــرزت أنياب الوعيد. فتغيرت صورة الحياة في عيون ابن حمديس. فقد ولىّ عهد الراح وانقضى زمـــن اللذة وتكسرت الكؤوس لتصبح أشتاتاً، وكأنها كانت سرابا، ليطل الحزن مـــن نافـــذة الـــصمت،

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 12.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 193.

وتجهض الوحدة أحلام السمّار، وتثمر شجرة الحياة تبرماً، فيحمل الشاعر بين دفتي صـــدره آلام الاغتراب وتشريد الأيام، ويثقل كاهله نأيه عن الوطن الذي حمله في قلبه حيثما رحـــل، وأينمـــا حل، لتصبح المأساة إلهاماً جديداً يرفد شاعراً بالشجن الحزين وينجب في رحم القـــوافي وطنـــاً سليباً ويدفن في رحم الأيام عتاق أمال الخلود(1).

لقد كان لهذه الفتنة أثر كبير في تغيير حياة الشاعر ونفسيته، مما انعكـــس علـــى شـــعره، فتغيرت وجهته، وخرج به عن سابق عهده، يفتح أمام ناظرية آفاقاً نزلت به من علـــى أجنحـــة الخيال لتحط في حقول الواقع، التي غرست تربتها ببذور الحزن والألم والفجيعة.

إن ابتعاد الشاعر عن وطنه أذكى في نفسه شعلة الحنين إلى الوطن، فأنسابت القوافي على لسانه بصورة لم يعرفها الشعر العربي قديما، شعر يتفجر حنيناً وحباً وشـــوقاً، ترســـمه آهـــات الفجيعة وتنسجه خيوط الحزن موّشى بصدق الأحاسيس ونبل المشاعر، فكان أبلغ ما قيـــل فـــي الحنين على مرِّ العصور، واجمل ما عبرت قريحة الشعراء، تدفعه عاطفة جياشة تفجرها حرقـــة النوى، فهو صادر عن نفس معذبة ذاقت من الغربة ألوان البلاء، وعن قلب كبّلته قيود الحـــزن فقاسى الشقاء والهوان والأسى على صقلية الحبيبة التي يسكنها الأحباب، وترحل إليهـــا القلـــوب في كل حين. إلا أنها تغربت دون رحيل، وتجشمت عناء الفراق بعد أن فرّ النزيل(2).

لقد انجبت الفتنة الغربة في نفس الشاعر منذ اللحظة الأولى التي فارق فيها صـــقلية، فقـــد نعقت الغربان في تلك اللحظة منذرة بالفراق الأبدي الذي ظنه الشاعر لن يطول، إلا أن الأيام قد أقسمت فراقاً أبدياً دون بديل يقول ابن حمديس واصفاً هذه المعاني التي يتحاشى ذكرها أملاً فـــي لقاء جديد:

وقالت غرابيبُ دَرَجْن ببينّه	**سيستدرجُ الأعوام وهو غريبُ**
فما كان إلا ما قضى بالُها به	**فهلْ كانَ عنها الغيبُ ليسَ يغيبُ؟(3)**

(الطويل)

(1) أنظر: عيسى، فوزي سعد: الشعر العربي في صقلية، ص 387.
(2) أنظر:ريزتانو، امبرتور: تاريخ الأدب العربي في صقلية، منشورات الجامعة الاردنية، 1965، ص 102.
(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 38 – 39

إن ذكر الشاعر الغراب يدل بشكل صريح على مدى الشؤم والحزن الذي يعيشه الشاعر. نعم إن صورة الغراب بقيت طيفاً لا يراوح خيال الشاعر، بل كانت شبحاً يلازم الشاعر كما هو ظله في غربته الطويلة، ويشير إلى ذلك في فيقول:

أنا مَنْ صاحَ به يومَ النوى عن مغانيه غرابُ فاغترب
طفتُ في الآفاق حتى اكتهلَتْ غُرْبَتي واحتنكت سنّ الأدبِ[1]

(الرمل)

وفي ظل هذه الغربة المشؤومة ظل ابن حمديسَ نهباً للهجرة والتنقل بعيداً عن أهله ووطنه، لذا فقد كانت حياته مأساة تثير الشفقة والحزن في النفس، وقد عبر ابن حمديس عن ذلك قائلاً:

إني امرؤ مما طُرقت مُهَيّدٌ بفراقِ أهْلي وانتزاحِ بلادي[2]

(الكامل)

حتى ضاقت به الدنيا، واستنزفت الأحزان صبره وآلامه وعزلت الشاعر عما حوله. فعاش وحيداً، سماؤه اللوعة والفراق وأرضه الأحزان والتشرد، فها هو يصرخ ملتاعاً متألما:

مالي أطيلُ عن الديارِ تغرّباً أفبالتغربِ كان طالعُ مولدي[3]

(البسيط)

وعندما استنفذ كل أمل في العودة، اشتعلت في نفسه جذوة الشوق، وتعالت صيحات الحنين إلى الوطن السليب، فيرفع صوته إلى السماء صارخاً ومناجياً يقول:

فياربِّ إنّ البينَ أضحتْ صُرُوفُهُ عليّ وما لي من معينٍ فكنْ مَعي
على قُرْبِ عُذّالي وبعدِ حبائبي وأمْوَاهِ أجفاني، ونيرانِ أَضْلُعي[4] (الطويل)

ولم تقف حدود المأساة عند التغرب والبعد عن الوطن، بل إن الشاعر يعيش غربة الوطن وغربة البشر الذين عايشهم في غربته، فقد كان يشعر بالامتهان والضعف لأن الناس في مجتمع

---

(1) ابن حمديس عبد الجبار، الديوان: ص 49.
(2) المصدر نفسه: ص 121
(3) المصدر نفسه: ص 168
(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 304.

الغربة لا يقدرون الغرباء، لذا فإن ابن حمديس كان يبحث في خفايا النفس عما يقابل بـــه هـــذه الأحاسيس، فأخذ يفخر بنفسه، ويشيد بمكانته بين أبناء وطنه وأهله، فيقول:

وكنا في مواطِنِنا كِراماً يعافُ الضيمَ أنفسُنا وتأبى
ونطلع في مطالعنا نجوماً تعد لكلِ شيطان شهاباً
صبرنا للخطوب على صُروفٍ إذا رُمِي الوليدُ بهن شابا
ولم تَسْلَمْ لنا إلا نفوسٌ وأحسابٌ نُكَرِّمها أحتسابا
ولمْ تخلَ الكواكبُ من سقوطٍ ولكن لا يُبلّغُها الترابا(1)

(الوافر)

فلذا لم يستطع شاعرنا أن يتعايش مع المجتمع الذي هاجر إليه إلا أنه كان مرغمـــاً علـــى ذلك، فأقام منه كارها له ساخطا عليه، يطوي في أحشائه الألم والمرارة واللوعة، ويعاتب الـــدهر على فعله هذا كله، فرآه دهراً جائراً أخرجه من الجنة والنعيم، والدعة ولذة العيش، وألقى به في غياهب مظلمة احتوتها قسوة الحياة في بلاد قاحلة وخيمة المرعى، آسنة المـــاء، مـــلأ الجفـــاف حياتها، ويجسد ابن حمديس ذلك في قوله:

طالَ التغرّب ُفي بلادٍ خُصّصَتْ بوخامةِ المرعى وَطَرْقِ المشربِ
فطويتُ أحشائي على الألمِ الذي لم يشفه إلا وجودُ المذهبِ
إنّ الخطوبَ طَرَقْنَني في جنة أخْرَجْنَني منها خروجَ المذنبِ(2)

(الكامل)

إذن فصورة الوطن السليب، الوطن القريب البعيد، ماثلة في ذهـــن الـــشاعر ولا تفـــارق خياله. بل كانت إلهاماً له دائماً ونبعاً يتفجر شوقا وحنينا ينساب من على لسان الشاعر فـــي كـــل زمان ومكان، ليشعل في قلبه شمعة أمل اللقاء والعودة، ولو كان ذلك وقتاً قصيراً وعندما يـــضن عليه اللقاء تراه يقول:

بالله يا سَمُراتِ الحيِّ هل هَجَعتْ في ظلّ أغصانك الغزْلانُ عن سهري
وهل يراجع وكراً فيك مُغْتَرِبٌ عَزّتْ جناحيه أشراكٌ من القَدَرِ
ففيكَ قَلْبي ولو أستطيعُ مِنْ ولهِ طارتْ إليكَ بِجسمي لَمْحةُ البصرِ(3)

(الخفيف)

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 16.

(2) المصدر نفسه: ص 538.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 206.

قاموس الألفاظ الطبيعية عند ابن حمديس وغنى دلالاتها

لقد تأثر شعراء الأندلس عامة بما حوته بيئتهم من مظاهر الطبيعة. فقد حبا الله الأندلس طبيعة فاتنة، يجعلها الأجمل منظراً في بقاع المسلمين كلها. حيث فيها شاهقات الجبال الخضراء، وفسيح السهول الممتدة الوارفة الظلال. وقد انسابت بها الأنهار وسالت الجداول هنا وهناك، وفيها الطيور تتغنى وتتناغى على الأغصان المتراقصة في عنان السماء. أما الماشية والأنعام فقد أخذت مراعيها كما أخذ الوشم مكانه في ظاهر اليد. وفيها عشاقها يسرحون لاهين عاملين فرحين بحقولها الخضراء ونسائمها العليلة وجوها الآخاذ، وبساتينها التي كساها الربيع أثواباً مزّياة فتهللت إشراقاً، وتبسمت تيها وجمالاً، فقد أخذ بسحر جمالها كلُّ من حلّها.

لقد أفاض المقريّ في وصف طبيعة الأندلس التي أفتتن أهلها وزوارها بسحرها وفتنتها الخلابة وجنانها البهيجة، وانتهى في حديثه إلى القول وكأني به تسّمر لسانه وعجزت كلماته عن الوصف:" محاسن الأندلس لا تستوفي بعبارة، ومجاري فضلها لا يشق غباره[1].

لذا كله فقد استهوت الأندلس ساكنيها، فشغفت قلوبهم وهامت بها نفوسهم. ووقعت منهم في قلوبهم فتعالت صيحات عشقهم. وسرحت أنظارهم في خمائلها ليستمتعوا بمفاتنها، ويشربون من راحها عشقاً وحبا حتى الثمالة. فقد أخذت على الشعراء قلوبهم وعقولهم فأجادوا فيها النظم وبرعوا في التصوير والوصف حتى جعلوا من الطبيعة بشراً يشكو ويتألم، يفرح ويسعد ويتغنى فشاطرتهم الهم، وشاركتهم الأفراح[2].

لقد افتتن ابن حمديس بالطبيعة كغيره من الشعراء خاصة والناس عموماً، وهو ابن صقلية ابنة الأندلس كما وصفه المؤرخون، فقد وفد إلى الأندلس بعد رحيله عن صقلية ونزل في رحاب ابن عباد، حيث أقام في بلاط المعتمد فترة حكمه لإشبيلية، والتي تقدر بثلاثة عشر عاماً، مدحه خلالها بغرر القصائد حتى استمال الأمير إلى جانبه، وقد جاء مدحه على نمطين: أولهما أن

(1) المقري، شهاب الدين احمد بن محمد: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نفح الطيب في الغصن الرطيب،ج 2، ص 152.

(2) أنظر: عيسى، فوزي سعد، الشعر العربي في صقلية، ص 396.

يدخل في الموضوع مباشرة، والآخر يذكر فيه مقدمة طويلة يتحدث فيها عن الغـزل والخمـر والرحلة، والطبيعة وكأنه يريد أن يثبت للمعتمد قدرته الفائقة على نظـم الـشعر فـي مختلـف المطالع وأنها كلها لديه سواء[1].

لقد أحب ابن حمديس العرب وبيئتهم في الأندلس وخاصة بعد رحيلة عن الوطن الأعجمي الذي نشأ فيه حيث تعرضت فيه العروبة للظلم والاضطهاد، وهذا سبب رحيله، ولذا فقـد ازداد تعلق ابن حمديس بالعرب وبكل ما يتصل بهم، من بيئة وعادات وتقاليد، وألوان التفكير، فـأكثر من مدحهم والفخر بهم ووصف حياتهم.

إن أول وصف لحياه العرب كان في تغنيه بالطبيعة البدوية، فقد وصفها وبالغ في وصفها، واقفاً على الأطلال محتذياً في ذلك معاني القدماء والمحـدثين يقـول فـي وصـف الـصحراء وأعرابها:

رعى وَرَقُ البيضِ الذي زهرُهُ دمُ   **بهم ورقاً عن زهره الروضُ يبسمُ**
جبابرةٌ في الرّوْعِ تَعْدو جيـادُهُمْ   **بهمْ فوق ما سحّ الوشـيج المُقوّمُ**
تنوءُ بـهم في ذُبّل الخـطّ أنْجُمُ   **سحائبها نَقْعٌ، وامطـارها دمُ**
إذا ما استوى فِعْلُ المنـايا وفعلُهُم   **بأرواح أبطالِ الوغـي فهمُ همُ**
أعاريـبُ ألقى في نتيجـاتِ حَيّـهم   **لهم أعوجٌ ما يوجفـون وشَدْ قَمُ**
صَحِبتُهمُ في موحـش الأرضِ مقفرٍ   **به الذئبُ يعوي والـعزالةُ تبْغمُ**
سـقى اللهُ عيناً عذبةَ الدمعِ أن بكت   **حظاراً بها للجسـمِ قلبٌ متيّمُ**
بلادٌ تـلاقيـني الدّراريّ كـلمـّا   **طلعْنَ عليـها وهي عنهن نُوّم**[2]

(الطويل)

أما في تقليده للمحدثين وحذوه حذوهم في شعره، فهو يقلد أبـا نـواس الـذي وصـفه بالحكمي يقول:

خلعتُ على بُنياتِ الكـرومِ   **محاسن ما خُلِعْنَ على الرسومِ**
أخذتُ بمذهبِ الحكـمي فيها   **وكيف أميلُ عن غرضِ الحكيمِ**

---

(1) أنظر: شلبي، سعد اسماعيل: البيئة الأندلسية وآثرها في الشعر دار النهضة القاهرة، 1978، ص 78.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 412.

وما فضلُ الطلولِ على شَمُولِ تَمجُ المسك في نفسِ الشميمِ[1]

(الوافر)

إن ابن حمديس شاعر بارع في التقليد والإبداع معاً، وقد تجلى إبداعه في شعره الذي جعل فيه الطبيعة روحاً نابضة بالحياة، وقلبا يغدق من دمه ليروي ظمأ الحنين، وشمساً تشع دفء الشوق في العروق، وقمراً ينير ظلمة الطريق كلما اشتدت المحنة وأنطفأت شموع الطريق.

إن نظرة شاملة في شعر ابن حمديس ترينا مدى سيطرة الطبيعة على شعره، وحضورها في معظم أغراض شعره، مدحاً ورثاءً ووصفاً وحديثاً عن الخمر واللهو والمجون تلك التي كانت نشأتها في أحضان الطبيعة أصلاً. فأغدق عليها ابن حمديس من فيض ألفاظه الجزلة وقوة عباراته ليرسم أجمل الصور وأبهاها منطلقا من طبيعة مفعمة بكل أسباب الحياة[2].

لذا فقد كان معجم ابن حمديس الطبيعي ثرياً وغنياً بألفاظ الطبيعة سواء كانت طبيعة صامته أو حية، فقد ناصفت الشاعر قصائده على السواء لترسم حضوراً يبعث الحياة في الصخر الأصم.

إن الطبيعة وألفاظها والحديث عنها كل ذلك جاء ممتزجاً في أغلب الأحيان بالفنون الأخرى من رثاء ومدح ووصف وحديث عن الخمر ومجالس اللهو والطرب، فها هو يذكر كثيراً من مظاهر الطبيعة التي تشاركه الحزن في رثائه لجاريته جوهرة[3].

أنظر إليه يقول:

أيا رشاقةَ غُصْنِ البانِ ما هَصَرَكْ ويا تألّفَ نظمِ الشملِ مَنْ نَثَرَك
ويا شؤوني وشأني كلُهُ حَزَنٌ فُضّى يواقيتَ دمعي واحبسي دُرَرك
ما خلتُ قلبي وتبريحي يُقَلّبُهُ إلا جناح قُطاةٍ في اعتقال شَرَك
لاصبر عنكِ وكيفَ الصبرُ عنكِ وقدْ طواكِ عَنْ عيني الموجُ الذي نَشَرَك

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 435.
(2) انظر: الطبيعة في الشعر الأندلسي ص36
(3) انظر: المصدر السابق ص42

هلّا وروضةُ ذاك الحسنِ ناضرةٌ لا تلحظُ العينُ فيها ذابلاً زهرك
أماتكِ البحرُ ذو التيار مِنْ حَسَدٍ لمّا درى الدّر منه حاسداً ثغرك[1]

(البسيط)

فهو يذكر بعض مظاهر الطبيعة في رثاء جاريته، فقد ذكر غصن البان وجناح القطاة، وروضة ذاك الحسن، والزهر الذابل ولحج البحر.

ويقول في رثاء زوجته ذاكراً بعض مظاهر الطبيعة:

إذا البدرُ يُطْوي في ربوعِ البلى لحدا أم الطّوْدَ حطوا في ثرى القبرِ إذهُدّا
كسوفٌ وَهَدٌ تحسبُ الدهرَ منهما لعين وأذن: ظلمةً مُلِئَتْ رعداً[2]

(الطويل)

لقد اتخذ من مظاهر الطبيعة وسيلة للتعبير عما يجيش بصدره من أحزان، فذكر البدر المطوى، والربوع العالية والجبال المهدمه، والكسوف والظلمة والرعد.

أما القصور والبرك والنوافير وتماثيل الآساد والأطيار فقد ضمنها ابن حمديس قصائد المديح يقول:

واعمُرْ بقصرِ المُلْك ناديكَ الذي أضحى بمجدك بيته معموراً
قصرُ لو أنك قد كحلّتَ بنوره أعمى لعاد إلى المقام بصيرا[3]

(البسيط)

إلى أن يقول:

بمرخَّم الساحاتِ تحسب أنْه فُرِشَ المها وتَوَشّحَ الكافورا
ومحصّبٍ بالدّر تحسبُ تربَه مسكاً تَضَوّعَ نشره وعبيرا
يستخلف الإصباحُ منه إذا انقضى صبحاً على غَسَق الظلام منيرا
وضراغمٌ سكنتْ عرينَ رئاسةٍ تركتْ خريرَ الماء فيه زئيرا
فكأنما غَشّى النّضارُ جُسومَهَا وأذابَ في أفواهِ البلّورا

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 212.
(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 163.
(3) المصدر نفسه: ص 545.

فكأنما سُلّتْ سيوفُ جداولٍ	**ذابتْ بلا نارٍ فــــعُدْنَ غديــرا**
وكأنما نَسَجَ النســـــيمُ لمائه	**درعاً فقدّرَ ســَــــــرْدَها تقديرا**
وبديعةِ الثمراتِ تعبُرُ نحوَها	**عيناي بحر عَجائبٍ مســجورا**
شجريةٍ ذهبيةٍ نزعـــــتْ إلى	**ســـــحرٍ يؤثّر في النهى تأثيرا**
قد صولجتْ أغصانَها فكأنما	**قَنَصَتْ لهن من القضاء طيورا**
وكأنما تأبى لواقع طيـــــرها	**أن تســـــتقل بنّهضها وتطيرا**
من كل واقعةٍ ترى منقارها	**ماءً كسلســـــال اللجين تميرا**

(البسيط)

لقد شمل وصف الطبيعة عند ابن حمديس الطبيعتين الصامتة كوصف الجبل والصحراء والرمال والصخر والقصور وما تبع ذلك من الجمادات، ثم الحيّة أو المتحركة وقد شملت هذه النبات، كوصف الربيع والرياض والإزدهار وما يتصل من وصف الخمر والنهر والغدير والأساطيل ثم وصف الأحياء، كالحيوان والطير والحشرات، ثم وصف الظواهر الطبيعية سواء ما كان ظاهراً أو مخفياً، كوصف البرق والرعد والليل والنهار والنسيم والعواصف.

يقول ابن حمديس مازجاً بين وصف الطبيعة والتعبير عن بعض معاني الغزل.

وما روضةٌ حيّ ثرى اقحوانها	**يضاحُكها في الغيم سِنّ من الضّحّ**
كأن صباهاً للعــــرانين فَتّقَتْ	**نداها بنــــدِ فهي طــيبةُ النفــح**
بأطيبَ من ريّا لماها لراشفٍ	**إذا انتبهتْ في الشرقِ ناظرةُ الصبحِ[1]**

(الطويل)

فهو يسخر الطبيعة في خدمة غزله، حتى يرسم لوحة غزلية جميلة إلهامها الطبيعة ومخرجها ابن حمديس.

وقد يكون وصف الطبيعة وذكرها متمّماً لوصف مجلس الشراب والسمر كما في قوله:

علّلِ النفسَ بريحانٍ وراحْ	**وأطِعْ ســــاقِيَها واعصِ اللّواح**
وأدرْ حمراءَ يسري لُطُفا	**سُكْرُها من شَمّها كلّ صاح**
في حديقٍ عَرَسَ الغيثُ به	**عَبقَ الأرواح مَوْشـــــيّ البطاح**

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 545 - 548.

أرْضَعَ الغيمَ لـــــباناً بانَهُ — فتـــربّتْ فيه قامــــاتُ المــــلاح
كل غُصنٍ تعتري أعطافَهُ — رِعْدَةً النشوان من كأس اصطباح
فكانَ التربَ مِسْــكٌ أذفَرٌ — وكـــــأنّ الطلّ كافورُ رباح
وكأنّ الروضُ رُشّتْ زَهْرَهُ — بمياهِ الوردِ أفـــــواهُ الريــــاحِ[1]

(الرمل)

طريقة ابن حمديس في توليد الألفاظ الطبيعية وتجديدها

احتل ابن حمديس مكانة مرموقة يرنو إليها كلُّ شاعر مجيد بين أقرانه من الشعراء عموماً وخاصة شعراء الوصف فقد برع ابن حمديس في الوصف، يقول "أمبرتو ريزيتـــانو أنـــه كـــان جديراً بأن يحمل لواء الزعامة بين شعراء هذا الفن"[2]. فقد أمدته الطبيعـــة الـــصقلية بكـــل مـــا يحتاجه من مادة طبيعية تستحق الوصف، وأخيلة كثيرة، شكلت أمام الشاعر فضاء رحبـــاً، كمـــا شحذت لسانه بما لذ وطاب من الكلام حتى استحوذت عليه فملكت قلبه ولسانه، فمـــدح واصـــفاً وتغنى طربا، ولم يترك شيئاً في الطبيعة يستحق عناء الوصف إلا نظم فيه المنثور محمولاً على أجود البحور.

لقد شغلت الموصوفات عقل الشاعر بكل ما فيها من إجمال أو تفصيل. فـــلا يتـــردد فـــي وصف عام أو في وصف خاص ودقيق، فاهتم بوصف الدقائق والجزئيات. فأطال وأجاد وتـــأنى وتمهل وتأنق وتجمل، فحمّل وتحمّل، يقول واصفاً الزرافة:

ودائمةُ الإقعاءِ في أصْلِ خَلْقها — إذا قابلتْ أدبارها عين مُــقْبل
تَلفّتُ أحياناً بعينٍ كحــــــيلةٍ — وجيدٍ على طول اللواء مظــلّل
وعرفٍ دقيقِ الشعرِ تحسبُ نَبْتَهُ — إذا الريحُ هزّتْهُ ذوائبَ سُـــــنْبُل
تَنَفّسُ كبراً من يراعٍ مُثَـــقَّبٍ — فتعطي جَنوباً منه عن اخْذِ شمأل
وتنغضُ رأساً في الزّمام كأنما — تريك له في الجو نفضه أجدل[3]

(الطويل)

---

(1) ابن حمديس،عبد الجبار، الديوان ص 78.
(2) ريزتانو،امبرتور: تاريخ الأدب العربي في صقلية،. ص 5.
(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 381.

ففي هذه الأبيات يصف الزرافة بكل ما فيها وكأنها فتاة جميلة فارعة الطول، مديدة الجيد، إذا مشت تمايلت وكأنها ترقص غانية، كحيلة العينين ناعمة الذوائب لذا فإن الرياح تداعب شعرها فتجعله يتغنى مع حركتها.

يمتلك ابن حمديس براعة بالوصف قلّ نظيرها عند غيره من الشعراء حتى شعراء الوصف. وله استحضار عجيب لصور الأشياء والتشبيهات، والأخيلة. ويحسن الجمع بين الأشياء والتنسيق بينها بدقة بالغة، وكأنها أشياء مبعثرة تحتاج إلى لمسة يديه ليعيد ترتيبها وألقها إليها، فهو يغوص في اللغة باحثاً عن المعاني الخفية، فيخرجها من مكمنها ليضعها موضعها. فوصفه يجعل الموصوفات بين يديك قائمة تتحسسها، وتراها بأم عينيك على الرغم من أنك لم ترها، فتحس ما يقول وتشاهد ما يصف، وهذا نابع عن شعور قوي وبصيرة نافذة، وإحساس مرهف، لذا فإن أثواب معانيه جديدة مبتكرة. مجسدة للواقع لتصفه وصفاً حقيقياً بعيداً عن الخيال[1]. انظر إليه يصف خسوف القمر فيقول:

صَدّتْ وبدُر التّم مكسوفٌ به   **فحسبت أنّ كسوفَهُ من صَدِّها**
والبدر قد ذهب الخسوفُ بنوره   **في ليلةٍ حَسَرَتْ أواخر مدّها**
فكأنه مرآة قيْنٍ أُحْمِيَتْ   **فمشى احمرارَ النارِ في مُسْوَدّها**[2]

(الكامل)

وقال ايضا يصف الرواقص:

ومنْ راقصاتٍ ساحباتٍ ذيولَها   **شوادٍ، بمسكٍ في العبير تَضَمَّخُ**
كما جَرّرتْ أذيالها في هديلِها   **حمائمُ أيْكٍ أو طَواويس تَبذخُ**[3] (الطويل)

فالشاعر ينتزع من الحمام حركة ذيله وكذا من الطواويس ليلصقها بأثواب الراقصات اللائي يتمايلن فرحاً وتدللاً، وهاهو قد ملأ عطرهن المكان كما فاح عبير الزهور.

---

(1) انظر: ضيف، احمد: بلاغة العرب في الأندلس. ط 2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1998، ص 140-141

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 143.

(3) المصدر نفسه: ص 112.

وها هو ذا يصف صراعه مع الحياة بأنه مستمر، وكأنها معركة حقيقية تدور بين عـــدوين لدودين. فيصور دفاعه عن نفسه إلا أنه لا يستطيع أن ينتصر على الزمن، ولــيس بمقــدوره أن ينجو من هلكته وفتكه يقول(1):

دُفِعتْ ولم أمْلِكْ دفاعَ مُلِــمَّهِ	**إلى زَمَنٍ في كل حينٍ أُعاركه**
وجيشِ خطوب زاحمٍ كل ساعةٍ	**فما أنْفُسُ الأحياءِ إلا هوالكُــه**
فإن تَنْجُ نفسي من كلومِ سلاحِهِ	**فإنّ برأسي ما أثارتْ ســنابكه**

(الطويل)

إن الوصف فن أصيل عند شعراء الأندلس عموماً وعنــد ابــن حمــديس علــى وجــه الخصوص، وقد اعتمد وصفة إضافة إلى الطبيعة على الخمريات من المدائح والغزل التي كانت روافد لشعر الوصف، وكثيراً ما كان الشاعر يقف فيها وقفة قد تقصر وقد تطول أمام مــشهد أو منظر معين ليرسمه لنا ويحدد معالمه.

فقد كان يستطرد كثيراً إلى الوصف، خاصة عندما يتحدث عن شجاعة الممــدوح يــصف سيفه ودرعه، وقد يصف أسطوله ويفيض في وصفه وقد كانت موصوفات ابن حمــديس كثيــرة ومتنوعة، ونستطيع أن نفصل فيها الحديث على شكل يوضحها ويجلي مضامينها لتظهر براعــة الشاعر وقدرته على توظيف الطبيعة بشكل قد يجعل منها إنساناً عطوفا يشارك الشاعر أحاسيسه ومشاعره.

جاء وصف الطبيعة عند ابن حمديس مشتملاً على كل موجوداتها من وصف القمر والقلم والسيف ومجمرة البخور والقصور ووصف الرياض والنباتات والأزهــار كوصــف الروضــة والنيلوفر وشقائق النعمان، كما ذكر المياه ممثلة بالأنهار والبحار والبرك ووصــف الحيوانــات والطير والحشرات كوصف الناقة والفرس والزرافة والصقر والحمام والكلب والذئب وغيرها.

وقد تعددت أساليب ابن حمديس في وصف هذه الطبيعة كغيره من الشعراء. ويعــود هــذا إلى الخبرة التي يتميز به الشاعر تلك الخبرة التي نجمت عن تجاربه المختلفة من صــقلية إلــى

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 340.

الأندلس كما كان لموهبته دور كبير في إبراز الصورة بشكل مبدع وخلاق قلّ نظيره عند غيره من الشعراء.

المذاهب والاتجاهات التي اعتمد عليها ابن حمديس في الوصف هي[1]:

أولاً:

الوصف الواقعي الدقيق: وفيه يعرض الشاعر الواقع كما هو دون اللجوء إلى التهويل أو التنميق أو التزويق، وفيه يظهر الشاعر مواطن الروعة والجمال مجسدة كما هي على واقعها ومن ذلك وصف الشاعر لشمعة تحترق يقول:

قناةُ من الشّـمْعِ مَرْكوزَةٌ	**لها حَرْبَةٌ طُبِعتْ من لهب**
تُحرِّقُ بالنارِ أحشاءَها	**فتدمْع مقلتها بالذهب**
تَمَشّى لنا نُورُها في الدّجى	**كما يتمشّى الرّضى في الغضَب**
عجبتُ لآكلةٍ جِسْمَهَا	**بروحٍ تشاركها في العطب[2]**

(المتقارب)

فابن حمديس في هذه الأبيات يصف احتراق الشمعة التي تضحي بجسدها مقابل أن تضيء ما حولها من ظلمة، وكأنه يرسم صورة لنفسه ليجسد حياته المتعبة

ثانياً:

الوصف الذي عني به ابن حمديس بمواطن الفتنة، لتتفتح قريحته على الروعة والجمال معتمدا في عرضه لها على المبالغة والتزويق لينقل صورة أجمل مما هي عليه في الواقع يقول في وصفه للأسد:

هزبْرُ له في فيه نارُ وشَفْرَةٌ	**فما يشتوي لحمَ القتيلِ على جمر**
سراجاه عيناه إذا أظلم الدّجى	**فإن باتَ يسري باتتِ الوحش لا تسري**
له جبهةٌ مثل المجنّ ومعطسٌ	**كأن على أرجائه صبغةَ الحبر**

(1) شلبي، سعد اسماعيل: ابن حمديس الصقلي شاعراً، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ص 57.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 24.

يصلصلُ رعدٌ مِنْ عظيمِ زئيره   ويـــلمع برقٌ من حـــــماليقه الحـــمر[1]

(الطويل)

ففي هذه الأبيات يطلعنا ابن حمديس على قوة الأسد الذي إذا ما أخذ يبحث عـــن طعامـــه حتى اختفى كل شيء من أمامه، حتى الوحوش لا تعود تخرج من أماكنها.

ثالثاً:

الوصف الذي يحمل أحاسيس الشاعر نحو المنظر نفسه، ويعنى الـــشاعر بـــالتعبير عـــن انفعالاته وإبراز أحاسيسه نحو الموصوف فقط. ويبين الشاعر أثر الموصوف في نفسه، وقدرتـــه على استثارته، يقول في وصف البحر:

وأخْضر حَصَلَتْ به نفسي ونَجَتْ   وما تفارقُ منه روعةٌ رُوعي
رغا وأزبدَ والنــــــكباءُ تُغْضِبُهُ   كما تَعَبّثَ شيطانٌ بِمصرُوعٍ[2]

(البسيط)

رابعاً:

الوصف الذي يخرج به الشاعر عن المنظر نفسه إلى الحديث عن الإشـــعاعات والهالـــة المحيطة به والملامح التي تتعلق بصور أخرى، حسية كانت أو معنوية، لهـــا اتـــصال مباشـــر بالموصوف، ومن ذلك انتقاله من وصف البحر إلى الحديث عن صقلية الغائبة الحاضـــرة فـــي عقله وقلبه. فكلما وقف الشاعر أمام البحر أو رنت نفسه إليه اشرأبت إلى الوطن السليب، فجـــاء حديثه رائعاً فيه الطرافة والبراعة ودقة الوصف، يقول:

وراءك يا بـــــحُر لي جَنّةٌ   لبستُ النعيم بها لا الـــــشقاءُ
إذا أنا حاولت منها صباحاً   تعرضتَ من دونها لي مـــساء
فلو أنني كنتُ أُعطي المنى   إذا مَنَعَ البحر منها اللقاء
رَكِبْتُ الهلالَ به زَوْرَقـــاً   إلى أنْ أُعانـــقَ فيها ذكـــاءٌ[3]

(المتقارب)

---

(1) ابن حمديس، عبدالجبار، الديوان: ص 549 – 550.

(2) المصدر نفسه: ص 311.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 4.

ففي هذه الأبيات جعل الشاعر من البحر عماداً له يطل من على سطح مائه وأمواجه على الوطن الحبيب، ولو أن البحرضن عليه برؤية وطنه لجعل القمر زورقا يوصله الى ذاك الوطن.

وقد برع شاعرنا في التصوير والوصف متمثلاً معاني القدماء وأشعارهم، ومعتمداً علـــى تميزه في قدرته على التوليد والابتكار، فقد كان يغوص على المعاني غوصا عميقا يجعله قـــادرا على التحويل والتغيير فيه وتوليد صور جديده، لم يسبق اليها غيره. اضافة الى قدرته العجيبـــة في التصرف في التشبيهات والاستعارات للبحث عن كل ما هو مبتكر او طريف [2] وقد اشـــار الى ذلك صاحب الذخيرة، حيث يقول انه شاعر ماهر يقـــرطس اغـــراض المعـــاني البديعـــة، ويعبرعنها بالألفاظ النفيسة الرفيعة، ويتصرف في التشبيه، ويغوص في بحر الكـــلام علـــى در المعنى الغريب[1]

(1) الشنتري، ابو الحسن علي ابن بسام: الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق الدكتور احسان عباس، ج 2، 1965، ص 115.

الفصل الثاني

ألفاظ الطبيعة الصامتة

ألفاظ الطبيعة الصامتة في شعر ابن حمديس

لقد استحوذت الطبيعة على كيان ابن حمديس، فقد كانت تحيطه كغيره من الشعراء من كل جانب برياضها الغناء ومناظرها الآسرة، فكثيراً ما تقع عيناه على البهجة والتناسق، وتطالعه الخضرة والمياه العذبة، كما كان يعطره أريج الأزهار والورود، تثمله نسمات الحقول والمروج، لذا فقد رأينا الطبيعة حاضرة في مدحه ورثائه، وفي خمرياته كما كانت تطل في غزله، كانت تطل في وجدانياته، ومن هنا فقد أكثر من الحديث والوصف عن الرياض، والبساتين والأشجار، كما أبدع في وصف الأنهار، والسماء والأمطار والبرك والبحيرات، قد تفنن في وصفها عامة، ووصف جزئياتها خاصة، فلم يترك شيئاً منها استماله إلا نظم في وصفه. ولم يترك شيئاً له أثر في النفس أو إثارة في الوجدان أو روعة في الجمال، إلا أبحر في وصفه، وأعمل فيه خياله وفكره.

وسنأتي تالياً على موصوفات ابن حمديس من الطبيعة الصامته، ذكراً وتجليه. وطرقاً لقيتمها الدلالية والفنية والجمالية والنفسية عند ابن حمديس الذي لم تستطع نوائب الأيام ولا معضلاتها أن تفت في عضد قدرته، أو أن تكبح جماح مشاعره الفياضة، أو أن تحد من قدرته على العطاء والإبداع.

أما موصوفات ابن حمديس من الطبيعة الصامتة فقد كانت كثيرة، فاستنطقت إلهامه ومشاعره أعواماً دون أن يملّها أو يضجر من الحديث عنها، بل كان يزداد شغفاً بها يوماً بعد يوم، فقد ذكر الماء كثيراً وأغدق عليه الحياة والسكون فذكره عند العطش، وعند الاستمتاع بجمال الطبيعة جارياً في الأنهار والجداول والبحار، وساكناً في البرك متلألئاً فيها، وذكره غيثاً تفيض به السماء فيروي عطش الأرض.

كما وصف ابن حمديس الأشجار والحقول والرياض، وما فيها من زهور وورود وثمار وأغصان تتغنى فتنة وجمالاً، ووصف الظواهر الجوية المختلفة، كالليل والنهار والليل والصبح. والمساء، وذكر البرق والرعد والنجوم والأمطار وذكر الفصول، الصيف والخريف والشتاء والربيع. كما ذكر السهول والجبال والصحراء والهضاب الأودية، فلم يترك ابن حمديس عن

شيء في الطبيعة إلا ذكره وتغنى به وسنتحدث عن ذلك بالتفصيل، وأول ما سنبدأ الحديث عنه هو الماء.

ألفاظ الماء

لقد جاء ذكر المياه عند ابن حمديس ممتزجاً مع مشاعره في معظم قصائده، وقد لا نبالغ إن قلنا إن ذكر الماء أو ما يدل عليه كان في كل صفحة من صفحات ديوانه، سواء أكانت القصيدة في الطبيعة أو في المدح أو الرثاء (الذي كان لذكر الماء فيه قصة بل قصص مع ابن حمديس) أو في الغزل أو غير من الأغراض الشعرية.

إن ألفاظ الماء في ديوان ابن حمديس كثيرة جداً، وقد جاءت تحمل دلالات كثيرة ومتعددة أيضاً. ففيها ما جاء ليدل على الحياة والروعة والجمال والبهاء، وفيها ما جاء ليدل على الموت والصمت والخشوع. وفيها ما جاء ليدل على الثورة والأنفة والشموخ والكبرياء وفيها ايضاً ما يدل على الحزن والخوف. فصور الماء في الديوان كثيرة ودلالاتها أكثر جمالاً وروعة من ذكرها.

لقد جمع ابن حمديس في استخدامه للماء وألفاظه بين الاستخدامين المجازي والحقيقي. كما أن الماء وألفاظه حملا المعاني والدلالات الإيجابية للشاعر تارة وحملا الدلالات السلبية التي كانت تثير حزن الشاعر وألمه تارة أخرى.

إن ذكر الماء والبحر والخمر الممزوج بالماء كلها مثيرات للسرور فذكرها مدعاة للارتياح وراحة النفس، لأنها تحقق الهدوء وشيئاً من الطمأنينة عند رؤيتها بالنسبة لأي شخص، وهذا أمر طبيعي لا غرابة فيه، لكن أن يكون ذكر هذه الأشياء مثيراً للحزن والخوف والقلق فهذا يستدعي منا أن نبحث مثيرات أخرى غيرها تجلب لنا الهدوء والسعادة الراحة. وبالتالي إذا لم تستطع مثل هذه الموجودات الطبيعية أن تحقق لنا الراحة، فقد تكون المثيرات الصناعية

ممزوجة بالمثيرات الطبيعية أكثر جدوى في تحقيق ما تصبو إليه من راحة وسعادة. أو أن تكون المثيرات الصناعية وحدها كافية لتحقيق ذلك[1]

فهذا ابن حمديس ينظر إلى الشقائق متأملاً، وعندما رأى الندى يتساقط بين أوراقها يقول.

نَظَرتُ إلى حَسْنَ الرياضِ وغيْمُها — جرى دَمْعُهُ منهنّ في أَعْينِ الزّهْرِ
فلمْ ترَ عَيْني بينها كشَــــقائقٍ — تُبَلْبِلُها الأرواحُ في القضبِ الخضرِ
كما مَشَطَتْ غِيدُ القيان شــعورَها — وقامتْ لرقصٍ في غلائــلها الحُمْرِ[2]

(الطويل)

فالشاعر في هذه الأبيات يشبه زهرات الشقائق لحظة سقوط الماء عليها بالقيــان اللائــي يمشطن شعورهن، ثم يرقصن في غلائل حمراء. كما يصور الندى الذي يجري علــى الأوراق بالدموع التي تجري على الخد. وبهذا فإن الشاعر يرى أن هذا الماء الذي يجري علــى الأوراق إنما يثير في نفسه الحزن والألم لذا قال: جرى دمعه ولم يقل جرى طلّه. وهذه صورة لم يعتــد عليها الشعراء من قبل لأن الأزهار والورود مع إصابة الندى لأوراقها إنما هــذه منظــر تثيــر الأمل بالنفس ويشعر بالطمأنينة والسرور، لا بالحزن والألم والدموع أما عن افتتان ابن حمديس بالأنهار ومائها نرى ذلك في وصفه لنهر جار اجتمعت فيه كل أسباب الجمال يقول:

ولا بسٍ نُــقَبَ الأعــراضِ جــوهرُه — لَه أنسابُ حبُابٍ رَقْشُهُ الحَــببُ
إذا الصَّبا زلقت فيه ســــنابكُها — حسبته مُنْصُلاً في متنه شُــطَب
وردتُه ونجــوم اللــيل ماثــلةٌ — كما تدَحَــرَجَ دُرٌّ مالــه ثُقَــب
ومغربٍ طــعنته غــيرَ نــابيةٍ — أســنّةٌ هي أن حقــقها شــهب
ومشرقٍ كيمياءُ الشمسِ في يده — ففضةُ الماءِ مِنْ إلقائِــها ذهبُ[3]

(البسيط)

فالشاعر في هذه الأبيات يصف النهر الذي عَلت مياهه فقاعات الهواء، وما صنعته الــريح على ضفتيه من تموُّج، كما ذكر النجوم التي انعكست على صــحفات المــاء الجــاري، وينقــل

(1) انظر: شلبي، سعد اسماعيل: ابن حمديس الصقلي شاعرا، ص 161.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 192.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 25.

الشاعر كذلك مشهدي الغروب والشروق لهذا النهر، فقد أغمدت الشمس فيــه أشــعتها وكأنهــا رماح، فتراءى الماء كأنه ذهب سائل، وهنا استطاع الشاعر أن يولد دلالة جديــدة للمــاء الــذي أصابته أشعة الشمس، فشبه الأشعة بالرماح التي ترسل لتصيب الأعداء.

لقد ابدع ابن حمديس في حديثة عن الماء ذكراً ووصفاً، حيــث جــاء بالــصور الجميلــة المبتكرة. ممزوجة بخيال بارع وقدرة عجيبة على الاستحضار والتشبيه يقول في وصف انسياب الماء.

تَــجوزُ لَهُ الأمَــواهُ بِركَةَ جَــدولٍ	**تخالُ الصَّبا منه مُشَطّبةً نصلا**
إذا اتخَذَتْها الشمسُ مرآةً وجْهِها	**أحالتْ عليها من مداوسها صَقْلا**
ترى الشمــسَ فيه ليقةٍ تستمدّها	**أكفٌ أقامتْ مِنْ تَصاويرِها شَكْلا**[(1)]

(الطويل)

فالشاعر ينقل صورة الماء في البركة بدقة بارعة وعناية بالغة في بيــان حركــة المــاء وانعكاس الشمس ونورها فيه، وكأن الماء مرآة تتزين الشمس عليها.

ومن الصور التي تأنق فيها ابن حمديس وأبدع صورة ذلك النهر الذي نزفت جراحه إثــر جريانه على الحصا التي يشكو إليها أوجاعه وآلامه، فجاءت الصورة حزينة علــى عكــس مــا عهدنا صورة الماء والأنهار في قصائد أخرى للشاعر. فالماء أساس حياة واستقرار. ومع ذلــك فالشاعر يصور النهر جريحاً باكياً، يقول:

وَمُطّرِدِ الأجزاء يصــــقل مَتْــنَهُ	**صباً أَعْلَنْت للعينْ ما في ضميره**
جريحٌ بأطرافِ الحصى كلَمّا جَرَى	**عليها شَــــــكا أوجاعَه بخريرِه**
كأنَّ حُبَاباً ريع تــحت حُــــبَابه	**فأقبلَ يُلقــى نَفسَــــه في غديره**
شربنا على خافاتِه دَوْرَ ســـكرة	**وأُقْتَلُ ســـُــكْراً منه لَحظ مديره**[(2)]

(الطويل)

ربما تصدر الوصف الحزين صدر المقطوعة، فبدأ وكأنه يعلن عن الدوافع التــي حــدت بالشاعر أن يلتمس لهمّه فرجاً في النزهة ولضيقه مخرجاً في التسلي بجمــال الطبيعــة. ولعــل

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 379.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 186.

شاعرنا أراد أن يجعل الطبيعة تشاركه همومه والآلمه وأحزانه بسبب ابتعاده عن الوطن، لذا فهو يعبر عن مدى حزنه وأن فراقه لوطنه مازال جرحاً نازفاً في نفسه ودليل ذلك أن الشاعر بعد ذكر النهر اتجه إلى الحديث عن الخمر وشربه إياه على جوانب النهر.

ويؤكد ما نراه من أن الشاعر عندما يصف وصفاً مرحاً لا يصدر عن وجدان عميق ولا عن نفس صادقة، بل هي سطحية لا تنم عن غور بعيد، وما يؤكد ذلك قوله للساقي في إحدى قصائده التي تحدث فيها عن سمره مع الشباب(1)، فيقول:

عَدِّ بالأكوابِ عني إنّ لي ... في يد الآنسِ عنهنّ نُفور(2)

(الرمل)

ويقول:

ياربِّ مجلس لذةٍ شاهَدْتُها ... كَرْهاً وجُنْحِ الليلِ مدّ جناحاً(3)

(الرمل)

لمحة فنية غاية في الروعة والأناقة والجمال، لم يترك فيها الشاعر شيئاً من الجمال إلا زيّن به هذا الوصف، أبيات قليلة بألفاظ سهلة واضحة قريبة إلى النفس صور استغرق فيها الشاعر مشاعر فياضة بالرقة مرهفة الإحساس، مزج فيها الشاعر بين الطبيعة الصامتة والطبيعة الحية. أظهرت براعة في النظم وقدرة عجيبة على الوصف، مصحوبة بإيقاع يتمطى في أذيال أبياتها، فجسد جريان الماء مصحوباً بأنغام خريره العذب وإيقاعات الضبابة على الأرض إضافة إلى انحناءاته الجميلة فكانت كأغصان تراقصها الرياح والنسائم. وفي ذلك يقول:

فكأنما سُلْت سيوفُ جداولٍ ... ذابتْ بلا نارٍ فعُدْن غديراً(4)
وكأنما نَسَجَ النسيمُ لمائه ... درعاً فَقدّر سَرْدَها تقديراً
من كل واقعةٍ ترى منقارها ... ماءً كسلسال اللجين نميرا
خُرْسٌ تعدّ من الفصَاح فإن شدَتْ ... جعلتْ تغرِّدُ بالمياه صفيرا

---

(1) أنظر: شلبي، سعد اسماعيل: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، دار النهضة، القاهرة، 1978، ص 191.
(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 192.
(3) المصدر نفسه: ص 80.
(4) المصدر نفسه: ص 547.

وكأنما في كل غّصـــنٍ فضـــةٌ لانتْ فأُرْسِلَ خيطها مَجْرورا
وتريك في الصّهريج موقعَ قَطْرِها فوقَ الزّبَرْجَدِ لؤلؤاً مَنْثُورا

(البسيط)

نعم صدق في الوصف وعاطفة الإعجاب تفوح في كل بيت من هذه الأبيات. أبيات مفعمة وحافلة بالتصوير والحركة، فالطيور خرس ولكنها فصاح تشدو وتغرد وتنشر القطـــر اللؤلـــؤي على الزبرجد جمال في التعبير وتلاعب في الصور وجمع بين المتناقضات، إضافة إلى الإحاطة يوصف المنظر، فالشاعر يصور الماء يداعبه النسيم فيترك فيه اهتزازات رقيقة بالآلات الحربية وما عليها من تشطيب أو ما لها من ترسيد وهذا يدل على ملاءمة نفسية بين طرفـــي التـــشبيه، وشتان بين ما يوحي به السيف والدرع والنار من العنف والرعب والقتل والدم، وبين ما يوحيـــه النسيم يداعب صفيحة الماء من الرقة والهدوء والطمأنينة والارتياح[1].

وقد نوجد العذر لشاعر فهو بعيد عن الموطن المشرد السليب حنينه إليه يفزعـــه إلـــى أن يستحضر السيف والدرع والدم والثمار في كل وقت مرغماً لا راغباً، فحنين الشاعر إلى وطنه لا يستأذنه الحديث عن وطنه في أوقات محددة، بل يذكره في كل وقت وحين حتى فـــي وقوفـــه بين أحضان الطبيعة يأسره جمالها وتفتنه موجوداتها.

وعلى الرغم من أن الماء سبب للحياة والجمال والرقة والعطاء. إلا أن شاعرنا يذكره سبباً للحزن والألم واللوعة بل سبباً للموت. وهذا واضح في أبيات كثيرة للشاعر لا بل فـــي قـــصائد وأخص بالذكر قصائد الرثاء وقصائد الحنين إلى الوطن، وعلى وجه الخصوص تلـــك القـــصائد التي يذكر الشاعر فيها البحر، فقد جاءت ألفاظ البحر تحمـــل دلالات غنيـــة مفعمـــة بأحاســـيس الشاعر ومشاعره التي يملؤها الحزن والألم

أ-ألفاظ الماء:

الماء، مياه،أمواه، جدول، سيول، نهر، مطر، غيث، بحر.

---

(1) أنظر: شلبي، سعد اسماعيل: ابن حمديس الصقلي شاعراً، ص 75.

البحر في شعر ابن حمديس

البحر[1]:

البحر في كلام العرب: الشق، وفي حديث عبد المطلب: وحفر زمزم ثم بحرها بحرا أي شقها ووسعها حتى لا تنزف، ومنه قيل للناقة التي كانوا يشقون في اذنها شقا: بحيرة، ويرى ابن سيده أن كل نهر عظيم بحر. اما الزجاج فيرى أن كل نهر لا ينقطع مـاءه فهـو بحـر، قـال الازهري: كل نهر لا ينقطع ماءه مثل دجلة والنيل وما اشبهها من الانهار العذبة الكبـار، فهـو بحر، واما البحر الكبير الذي هو مغيض هذه الانهار فلا يكون ماءه الا ملحا أجاجا، ولا يكـون ماءه الا راكدا. وأما هذه الانهار العذبة فماؤها جار، وسميت هذه الانهار بحارا لانها مشقوقة في الارض شقا. ويسمى الفرس الواسع الجري بحرا، ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم، فـي مندوب فرس أبي طلحة وقد ركبه عريا: اني وجدته بحرا واسع الجري. وفي الحديث: أبى ذلك البحر ابن عباس، سمي بحرا لسعة علمه وكثرته.

ومن ذلك تستنتج أن المعاني التي تدل عليها كلمة البحر تشترك في معنى لغوي واحـد هو السعة والكثرة. وقد استخدم ابن حمد يس هذه اللفظة بمعانيها المختلفـة عـشرات المـرات، اضافة الى انه قد افرد في ديوانه مقطوعات يصف منها البحر. وفيما يلي نماذج توضح ذلك.

ومن الاستخدام الحقيقي لكلمة البحر في شعر ابن حمد يس:

وراءكَ يا بحْرُ لي جنةٌ   **لبستُ النعيمَ بها لا الشقاءَ**[2]

(المتقارب)

ومن ذلك أيضا:

فلو انّني كنتُ أُعْطي المنى   **إذا مَنَعَ البحرُ منها اللقاءَ**[3]

(المتقارب)

---

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ص 323/1.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 4.

(3) ابن حمديس،عبد الجبار، الديوان: ص 4.

ويقول:

أراكَ ركبتَ في الاهوالِ بَحْراً   عَظيماً ليسَ يُؤْمن مِنْ خُطوبهْ
واصْعبُ مِنْ ركوبِ البحرِ عندي   امورٌ ألجاتْكَ إلى رُكوبه[(1)]

(المتقارب)

اما استخدام هذا اللفظ مجازا فيتضح ذلك فيما يلي:

يقول الشاعرمتغزلا:

كم ذا يزورُ البحرَ بحرُ أسى   في العينِ مِنْكَ جُمانَة رطب
ما كان نأيي عن ذراك قلىً   فيموتُ بعْدَ حياتِه الحبّ[(2)]

(الكامل)

ويقول مشبها كثرة الشوق بالبحر:

والشوقُ يَزْخَرُ بحرُهُ بِقبولِهِ   ودبورِهِ وشمالِهِ وجنوبِهِ[(3)]

(الكامل)

ويذكر ابن حمد يس ممدوحه فيشبهه بالبحر إذا فاض أو أصابه المد والجزر فيقول:

ومن ذا يرُدّ البحرُ عن فَيْضِ مَدّهِ   إذا عَبَّ منهُ بالجنائبِ ما عَبّا[(4)]

(الطويل)

قضى الشاعر مع البحر وقتاً طويلاً يعانق أمواجه في المدح ويركب سفينته في الجهاد، فكان في غمرة بحر المدح. تأتيه أوقات بل لحظات تأجج مشاعر وتفيض أحاسيسه ومشاعره فيعبر فيها عن نفسه أكثر مما يعبر عن الموقف، وهذا ما تدل عليه ألفاظ قد كررها الشاعر بشكل عفوي وتلقائي، فقد تكرر عند ابن حمديس صورة عرائس، فمرة جعلها لوحة عرائس نافرة، ومرة جعلها عرائس زنج ومرة جعلها عرائس أغوال، ورابعة عرائس موت[(5)].

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 8.
(2) المصدر نفسه: ص 8.
(3) المصدر نفسه: ص 10.
(4) المصدر نفسه: ص 52.
(5) أنظر: الحلو، مصطفى: شعر البحر، 99.

يقول في وصف البحر ويرسم له صورة قبيحة مثلها بالشيطان الذي يركــب مــصروعاً فتــراه غاضباً لا يرضى ويفتح فم الموت.

وأخضر حَصَلَتْ نَفْسي به وَنَجَتْ   وما تُفارقُ منه روعةٌ روُعي
رَغَــا وأزبدَ والــنكــباءُ تُــغْضِبُــهُ   كما تعبَّثَ شــيطانٌ بِمَصْروعِ[1]

(البسيط)

وفي هذه الصورة يصور لنا الشاعر عند تلاطم موجه فقد جاء بشيطان وشخص مجنــون ليدل على شدة غضب البحر، وشدة خوفه منه، أنه إن هدأ فهدوء العاصفة، وهدوءه أشد خطــراً من غضبه لأن الهدوء في ظاهره والغضب في طبعه، ويتضح ذلك من خلال المقطوعة التالية:

أراكَ ركبــتَ في الأهوالِ بَحْراً   عَظيماً ليس يُؤمن من خطوبهْ
تســــيرُ فلْكهُ شَــــرْقاً وغَرْباً   وتَدْفَعُ مِنْ صَبَاه إلى جــنوبهْ
وأصعبُ من ركوبِ البحرِ عندي   أُمورٌ ألجــأَتْكَ إلى رُكُــــوبِهْ[2]

(الوافر)

فالشاعر يصور ركوب البحر بصحبة العدو الذي لا يؤمن غدره وكذلك البحر وإن رأيتــه هادئاً، على الرغم من أن السفن تجول فيه شرقاً وغرباً، إلا أن الشاعر يرى أن ركــوب البحــر صعب جداً وثقيل عليه فهو كاره له وما أصعب من ذلك هو الأمور التي ترغم الــشاعر علــى ركوب البحر، وكأني بالشاعر يرى البحر شراً لا بد منه أو عدواً صداقته أمر محتوم.

ومن تلك الصور الحزينة التي عاشها شاعرنا مع البحر تلك الحادثة التي تلاطمت فيهــا أمــواج البحر فأغرقت محبوبته وجاريته جوهرة حتى كاد هو أن يغرق. وقد عبر عن ذلك فقال يرثيها.

يا باقةً في يَميني للردَى ذبلت   أذابَ قلبي عليك الحُزْن والأسَفُ
ألمْ تكوني لتاجِ الحُسْن جَوْهرةً   لِما غَرِقْتِ فهلاّ صَــانَكِ الصّدَفُ[3]

(البسيط)

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 311.
(2) المصدر نفسه: ص 8.
(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 315.

فالشاعر يرى الموت جهرة بين الذاكرة والنسيان أو يرى مظاهره وأسبابه، فغرق محبوبته قد زاد من صور الموت حوله فهو أكثر الشعراء ذكراً للموت. وهذا دلالة على وجود استعداد لعقدة البحر والغرق التي لازمت الشاعر في حياته، فهو يرى الموت في باقة ورد ذابلة لأن الذبول مظهر من مظاهر الموت، وربطه بالماء للدلالة على علاقته بالبحر سلباً وإيجاباً.

لقد كان ابن حمديس كلما رأى مظهراً من مظاهر الموت أو رأى الموت عينه ذكر البحر فتأكدت العلاقة بين الموت والبحر، وهذا ما كان يزيده خوفاً وقلقاً. فهوذا يذكر البحر عندما يرى رجلاً مصلوباً بأعلى شجرة وفي ذلك يقول:

ومُرْتَفِعٍ في الجذعِ إذ حُطَّ قَدْرُهُ   **أساءَ إليه ظالمٌ وهو مُحْسِنٌ**
كذي غرق مدَّ الذراعينِ سابِحَاً   **منَ الجوِ بَحْراً عومه ليسَ يمكنُ**[1] (الطويل)

فهو يرى أن الرجل المصلوب ذا الذراعين الممدودتين على الشجرة يشبه شخصاً يسبح في بحر فارداً ذراعيه ولكنه غارق بل عاجز عن العوم في البحر. إن وقع البحر على الشاعر موت، وصوت موجه على قلبه إنذار بمقدمه، والرحله عليه عكست ظلالاً حزينة على النفس، ترجمت هذه العلاقة، وتحللت إلى حالات نفسية كثيرة ظهرت على لسان الشاعر صراحة وكان الموت وأسبابه أولاهما[2].

لم يكن البحر يشكل هاجس الموت فقط للشاعر، بل أيضاً مانعاً له ومعيقاً من الوصول إلى وطنه المسلوب، فكان البحر حاجز موت يؤرق الشاعر دوماً ويقلقه ليبقى مضرجاً بأحزانه التي لا تنتهي، أسيراً في قضبان الغربة يتلوى شوقاً إلى وطن كان هاجس أحلامه وأمله في حياة مستقرة هادئة وسعيدة، لكن ذلك كله بقي رهين الأحلام. فالبحر يحول دون ذلك. فيقول:

وراءكَ يا بَحْرُ لي جَنّةٌ   **لبستُ النعيم بها لا الشقاءَ**
فلو أنني كنتُ أُعْطَي المنى   **إذا منَع البحرُ منها اللقاءَ**
ركبتُ الهلالَ به زَوْرَقَا   **إلى أن أعانقَ فيها ذُكاءَ**[3]

(المتقارب)

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 560.
(2) أنظر: الحلو، مصطفى: شعر البحر، ص 103.
(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 4.

يتمنى الشاعر في أعماق نفسه أن يكون زورقه أماناً ونوراً كالهلال يطل فيه على وطنه حتى لا يضطر إلى ركوب البحر الذي كلما رآه ازداد خوفاً وقلقاً.

ومن الاستخدام الحقيقي لكلمة البحر في شعر ابن حمد يس:

وراءكَ يا بَحْرُ لي جَنّةٌ لبستُ النعيم بها لا الشقاءَ[1]

ومن ذلك أيضا:

فلو أَنَّني كنتُ أُعطي المنى إذا منعَ البحرُ منها اللقاءَ [2]

(المتقارب)

أما استخدام هذا اللفظ مجازا فيتضح ذلك فيما يلي:

يقول الشاعرمتغزلا:

كم ذا يزور البحرَ بحرُ أسى في العين منك جُمانُهُ رطب

ما كان نأيي عن ذراك قلى فيموتَ بعْدَ حياتِه الحب[3]

(الكامل)

ويقول مشبها كثرة الشوق بالبحر:

والشوْقُ يَزْخَرُ بحرُهُ بِقبولِه ودبوره وشمالِهِ وجنوبِهِ[4]

(الكامل)

ويذكر ابن حمد يس ممدوحه فيشبهه بالبحر إذا فاض أو أصابه المد والجزر فيقول:

ومن ذا يُردّ البحرَ عن فَيْض مَدّه إذا عَبّ منه بالجنائبِ ما عَبّا[5]

(الطويل)

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 4.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 4.

(3) المصدر نفسه: ص 8.

(4) المصدر نفسه: ص 10.

(5) المصدر نفسه: ص 53.

بَرَد[1]:

البَرَد: سحاب كالجمد سمي بذلك لشدة برده وسحاب برد وابرد ذو قر برد.

البرد: حب الغمام تقول منه بردت الأرض وبرد القوم! أصابهم البرد

البرد بغير هاء: زعم الليث انه مطر جامد

والبرد: النوم لأته يبرد العين بان يقرها

والبرد: الريق

وبرد الرجل يبرد بردا: مات

وقد وردت هذه اللفظة في شعر ابن حمديس إلا أنها لم تشمل تلك المعاني فمنها ما جاء على معنى الماء الجامد ومنها بمعنى الريق ومنها ما جاء على التشبيه ومنها ما جاء بمعنى النوم.

يقول

وبَرَدْتِ حرّ الشوقِ بالبرد الذي　　　شهدٌ ومسكٌ دونه وعقار[2]

(الكامل)

ويقول:

وكأنما حَرُّ المنايا عندهم　　　بَرْدُ إذا ما اشتدَّ منه أوارُ[3]

(الكامل)

برد: قصد بها الموت

---

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج 1، دار صادر، بيروت، ص 364.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 260.

(3) المصدر نفسه: ص 262.

ويقول:

قَفارُ: نَجَتْ منها الصَّبا إذا تعلقت حشُاشَتُها مني بحاشيةٍ البَرَد[1]

(الطويل)

البرد: قصد بها الغمام

ويقول:

نثرَ الجوُّ على الأرضِ بَرَد أي دَرّ لنحورٍ لوْ جَمَد[2]

(الرمل)

برد: قصد بها المطر الجامد.

ويقول:

َتثَنّتْ بعطفيها عن العطفِ وانثنتْ كنشوانَ في بَرْدِ الصَّبا مُتَرَنّح[3]

(الطويل)

البرد: قصد به النوم

يقول:

يُخْبرُ مَنْ فازَ بِتَقْبِيلِها عِنْ بَرَدِ تَنْبُعُ مِنْهُ مُدامُ[4]

(الطويل)

البرد: قصد به الأسنان

جَدْولْ[5]:

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 151.

(2) المصدر نفسه: ص 109.

(3) المصدر نفسه: ص 459.

(4) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ص 213.

(5) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 379.

الجدول: النهر الصغير، وحكى ابن جني جدول بكسر الجيم،على مثال خروع

الليث: الجدول نهر الحوض، ونحو ذلك من الانهار الصغار يقال لها الجداول.

والجدول: نهر معروف.

وقد ذكر ابن حمد يس هذا اللفظ مفردا وجمعا ما يزيد على عشرة مرات بين المفرد والجمع خرجت في دلادتها عن معناها اللغوي، وانما قصد الشاعر من ذكرها معان مجازية على التشبيه او المعنى الحقيقي وهو النهر الصغير او الانهار الصغيرة عند جمع اللفظ. ومن الشواهد على الاستخدام الحقيقي.

يقول:

تَجوزُ لَهُ الأَمْواهُ بركةَ جدولٍ ... تخالُ الصَّبا منه مُشطَّبةً نَصِلا[1]

(الطويل)

فكلمة جدول استخدمها الشاعر استخداما حقيقيا قصد النهر الصغير الذي يملأ البركة ماء. اما الاستخدام المجازي لهذه اللفظة فقد كان في اكثر من موقع وبذا يكون الشاعر قد اكسبها معنى جديداً ومن ذلك قول الشاعر:

وذي رونقَ ترْتاعُ مِنْه كانّما ... عروسُ المنايا فيه للعينِ تُجتَلى

جَرَى والتْظَى سَلاًّ فقلتُ تعجباً: ... متى فَجَّرَتْ كفٌّ من النارِ جَدْولا[2]

(الطويل)

فهذا معنى جديد حيث قصد الشاعر بلفظه جدولا السيف الذي يجري دماء من كثرة القتل وقد تكررت هذه الصورة عند الشاعر في اكثر من موقع حيث ربط الشاعر بين السيف والجدول ومن ذلك[3]:

وابيضَ تحسبُ فيهِ الفرنْدَ ... يثيرُ هَباءُ على جَدْوَلِ

(الطويل)

---

(1) ابن حمديس،عبد الجبار، الديوان: ص 383.

(2) المصدر نفسه: ص383

(3) المصدر نفسه: ص 383.

وأيضا:

وَمِنَ البروقِ على الرؤوسِ لوقعْهَا رعدٌ يَصُوبُ من الدماءِ بوابلِ
وكأن أجنحةَ الفراشِ تَقَطَّعتْ منثورةً منهنَّ فوق جَداولِ[1]

(الكامل)

سَيْل، سُيُول[2]:

سال الماء والشيء سيلا وسيلانا: جرى، وأساله غيره وسيله هو.

وماء سيل: سائل، وضعوا المصدر موضع الصفة. والسيل: الماء الكثير، السائل: اسم لا مصدر، وجمعه سيول، والسيل معروف والجمع سيول.

ومسيل الماء، وجمعه أسيلة: وهي مياه الأمطار إذا سالت.

تقول العرب: سال بهم السيل.

لقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة مفردا وجمعا في مواقع متعددة وقد حملت في طياتها الدلالتين الحقيقة والمجازية، ومن أمثلة الاستخدام للفظة:

ذَوَّبَتْهُ مِنْ سَماءٍ أَدْمُعٌ فَوْقَ أرضٍ تَتَلقَّاهُ بِخَد
فَجَرَتْ مِنْهُ سُيولٌ حولَنا كثعابين عجالٍ تَطَّرِدِ[3]

(الكامل)

أما الدلالة المجازية فقد جاءت بأكثر من صورة ومن ذلك:

1. تشبيه

والصّبحُ قد دَفَعَ النجوم عُبَابه كأنه سيلٌ يَسَوُقُ حُبابا[4]

(الكامل)

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 382.
(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ص 457 – 458.
(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 117.
(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 7.

يشبه الشاعر مجيء الصباح واختفاء النجوم بالسيل الذي يأخذ كل شيء أمامه.

2. ومن الصور الجميلة التي نقل فيها الشاعر كلمة السيول من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية. تشبيه السيوف وكثرتها في أرض المعركة بالسيول.

النَّهْر[1]:

النهر والنهر واحد الانهار، وفي المحكم: النهر والنهر من مجاري المياه، والجمع أنهار ونهر ونهور، وفي الحديث نهران مؤمنان ونهران كافران، فالمؤمنان النيل والفرات، والكافران دجلة ونهر بلخ ونهر الماء إذا جرى من الارض وجعل لنفسه نهرا، نهرت النهر: حفرته. ونهر النهر ينهره: أجراه واستنهر النهر إذا أخذ لمجراه موضعا مكينا.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة مفردا وجمعا في بضعة مواقع في ديوانه ومن الاستخدام الحقيقي لهذه اللفظة

لأَصْبَحْتَ مثلَ البحرِ يَزْخَرُ وَحْدَه   وإن كثُرَ الانهارِ مِنْ عَنْ جوانِبِه[2]

(الطويل)

اما الاستخدام المجازي فيتضح في قوله:

وتحسبَ منه الريحَ تغدو بِضَيْغَمِ   عَلى جِسْمِهِ نِهيٌ وفي يده نَهْر[3]

(الطويل)

وقوله حيث شبه دموع عينيه الكثيرة بالأنهار الجارية:

ولولا ملوحةُ ماءِ البكا   حَسِبْتُ دموعيَ أَنْهارَها[4]

(المتقارب)

---

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ص 198.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 27.

(3) المصدر نفسه: ص 242.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 183.

ب-الغطاء النباتي في ديوان ابن حمديس:

لقد اعتنى ابن حمديس بوصف النبات والأزهار والرياض والثمار فافتتن في ذلك وأبدع، فلم يصفها وصفاً عارضاً أو عابراً، بل إنه يجعل من الطبيعة فتاة حسناء تزهو بجمالها ورقتها، فيقف أمامها، ليجلي سحرها ومفاتنها وجمالها على صورة لم يعهدها الشعر العربي قبلاً. فهو يستمتع بجمالها ويتغزل فيه متناسياً أو ناسياً بشعوره أو لا شعوره الزهرة التي يصفها، أو الثمرة التي أدهشته فأعجب بها، ويرى نفسه وكأنه أمام فتاة يحبها ويهواها، ولا يلبث أن يتغزل فيها غزلاً حسياً.

وبذا فإن شاعر يسمو بالطبيعة ويرقى بها فوق كل إحساس بسيط، أو شعور عابر، ليصورها بأجمل صورة يحلم بها ليل نهار ويكرمها ويقدرها وكأنها مصدر حياة وإلهام، تلك هي المرأة التي ملكت على شاعرنا قلبه وفؤاده، فلا يدري أي وصف يليق بها. لذا فإن شاعرنا يجعل من الأزهار والورود والأشجار وأغصانها فتاة نابضة بالحياة والجمال يسعى إليها الشاعر مشرئباً في كل زمان ومكان.

لقد جاء وصف الأزهار والنبات عند ابن حمديس منفرداً في قصيدة أو مقطوعة تارة، وممزوجاً بالمدح أو شرب الخمر أو وصف المعارك تارة أخرى وسنوضح تاليا وصف الغطاء النباتي عند ابن حمديس وقدرته على جعل هذه الموصوفات تحمل دلالة جديدة لم يعرف الشعر العربي من قبل.

الأُقَحْوان:

الأقحوان، أنواع كثيرة، الواحدة أقحوانة، ويقال أقحوان وقُحْوان وأقاح وأقاحين، ويقال أقحوانين، وقُيِّد منها سبعة وهي أكثر من هذا.

جمعت أنواعها من طريق شبه الزهر وتقاربها في القُّوى وإن اختلف شكل الورق. واختلف فيه المتأخرون، وبالجملة هو نوع من البابونج عند البعض، وعند البعض البُبُلْيُه، وعند أئمة الرواه البابونج بعينه.

قال الأصمعي:" البابونج: الأقحوان" وهو القُرّاص، بولش:" هو نوعان أصفر وأبيض" دَوْنش ابن تميم:" منه ما وزهره كلُّه أصفر، منه زهره أبيض في وسطه لمعه صفراء". والمستعمل منه في الترياق ما زهره أبيض أما الرازي في (الحاوي):" الأقحوان الأبيض يدعى تفاح الأرض، والذي صحَّ فيه ما ذكره ديسقوريدس، قال: إنه بنات من جنس البقل المستأنق كلَّ عام(1).

جاء ذكر الأقحوان في ديوان ابن حمديس مرتبطاً بالغزل في معظم مواقعه. وتعدد ذكره بين الإفراد والجمع والتعريف في التنكير، وكأن الشاعر يوظفه توظيفاً جمالياً خاصاً بالمرأة وخاصة أن الشعراء يشبهون شفاهها بالأقحوان يقول ابن حمديس:

وما روضةٌ حيَّ ثرى أقحوانِها يُضاحِكُها في الغيمِ سِنّ من الضحّ(2)

(الطويل)

ويقول متغزلاً:

يَبيتُ في ثَغْرِها بردُ الشبابِ كما باتَ الندى من أقاحي الروضِ في زهر(3)

(البسيط)

ويقول متغزلاً:

تَمْشى وسُكُر التيهِ في عَطْفِها يُميلُ منها باعتدالِ القوامِ
يا مَنْ رأى في غُصُنٍ روضة يُسمعُ منها للأقاحي كلام(4)

(السريع)

فالشاعر يتغزل ويشبه الفتاه بالأقاحي

---

(1) انظر: الإشبيلي، أبو بكر محمد: عمدة الطبيب، جـ1، ص67.
(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 78.
(3) المصدر نفسه: ص 176.
(4) المصدر نفسه: ص 459.

التُّفَّاح

أما التفاح فقد ارتبط ذكره بالمرأة وشبهت خدودها لتوردها واحمرارها ونـضارة وكأنهـا التفاح يقول الشاعر.

مُهْتَزَّةٌ بقواتلِ الثّمرِ التي　　　أسماؤُها الرُمّانُ والتُّفَّاح[1]

(الكامل)

ويقول:

لو شِئتْ حييتِ نَشاوَى الهوى　　　من لون خديّك بِتَفّاحَتَيْكِ[2]

(السريع)

الثّمَر، ثِمَار[3]:

الثمر: حمل الشجر وأنواع المال والولد: ثمرة القلب وفي الحديث: إذا مات ولـد العبـد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم، قيل للولد ثمرة لأن الثمـرة مـا ينتجـه الشجر والولد ينتجه الأب.

والثمر: أنواع المال، وجمع الثمر ثمار، وثمر جمع الجمع، وقد يجوز أن يكـون الثمـر جمع ثمرة كخشبة وخشب وأن لا يكون جمع ثمار.

والثمر: الذهب والفضة، حكاه الفارسي يرفعه إلى مجاهد في قوله تعالى(وكان له ثمـر). وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة مفردا وجمعا بضع عشرة مرة وحملت الدلالتين المجازيـة والحقيقية أما الاستخدام الحقيقي فيتضح في قوله:

عَجَبَاً لها تَسْقي الرياضَ ينابعاً　　　نَبَعَتْ من الثَّمراتِ والأَغْصَانِ

(الكامل)

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 102.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص:345.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج 2،ص 126.

أما الاستخدام المجازي، فإن معظم ما ذكر لهذا اللفظ مفردا أو جمعا لم يقصد به الشاعر المعنى الحقيقي للكلمة وإنما ذهب إلى المعنى اللغوي المستخدم للدلالة على ثمرة أي شـــيء أي نتاجه.

يقول:

وأوانُ الهجرِ لا يُجْني به **ثَمَرٌ كان لها الوَصْلُ أوان**[1]

(الرمل)

ويقول في غزله، ويصف جارية جميلة:

ما كَنْتُ أَحْسَبُ غصنَ بانٍ في نقا **تشكو أليمَ القطفِ منه ثِمَار**[2]

(الكامل)

حَدِيْقِة، حَدَائِق[3]

حدق: حدق به الشيء وأحدق: استدار، وكل شيء استدار بشيء وأحاط به، فقد أحـــدق به، ونقول عليه شامة سوداء قد أحدق بها بياض. والحديقة من الرياض: كـــل ارض اســـتدارت وأحدق بها حاجز أو أرض مرتفعة، وقيل الحديقة كل أرض ذات شجر مثمـــر ونخـــل. وقيـــل الحديقة البستان، وخص بعضهم به الجنة من النخل والعنب.

وقيل الحديقة: حفرة تكون في الوادي تحبس الماء. وكل وطئ يحبس الماء في الـــوادي وإن لم يكن الماء في بطنه فهو حديقة.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة جمعا ومفردا في بـــضعة عـــشر موقعـــا بعـــضها استخداما حقيقيا والآخر مجازيا.

يقول:

يُريكَ رُؤوساً مِنْهُ في جسمِ حَيّةٍ **سَعَتْ من حياةٍ في حدائِقَهِ الخضرِ**[4]

(الطويل)

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 503.

(2) المصدر نفسه: ص 259.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج 3، ص 87.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 187.

وقد استخدم اللفظة جمعا أما استخدامها مفردة،فيقول:

يُريكَ حديقةً من ياسمينٍ تَفَتَّحَ وَسْطَها لَهُ جُلُنّار[1]

(الوافر)

ويقول مستخدما اللفظة على التشبيه:

حَديقةُ نَوْرٍ دامعِ العينِ ضَاحِكٍ كنشوانَ ذَي جيدٍ من السُكْرِ مائل[2]

(الطويل)

ويقول:

وَإنْ أَجْدَبَتْ آمالُنَا فهِباتُهُ حدائقُ لم تَعْدَمْ لأنمِلهِ سُقْيا[3]

(الطويل)

الرُّمَّان[4]:

الرُّمَّان: حمل شجرة معروفة من الفواكه، واحدته رمانة، وهو لا يصرف لأنـه يعـرف اشتقاقه هذا ما يراه الخليل... ويقال لمنبت الرمان مرمنة إذا فيـه أصـوله، والرمانـة تـصغر رميمينة، ورمان بفتح الراء: موضح، وفي الصحاح: جبل طيء ورمانة: الفرس الذي فيه علفة.

وقد ذكر ابن حمديس هذه اللفظة مفردا وجمعا في عشرة مواضع تقريبـا. وقـد طغـى الاستخدام المجازي على الاستخدام الحقيقي للفظة وقد استخدم ابن حمد يس هذا اللفـظ للدلالـة على نهدي المرأة في غزله ولتوضيح ذلك نورد هذه الأمثلة يقول:

وَبِمُهْجَتي عُرُبٌ كأنَّ قدودها قُضُبٌ تقومُ بميلهنّ رياحُ
مهتزَّةٌ بقواتلِ الثَّمَرِ التي أسماؤها الرمانُ والتُّفَّاح[5]

(الكامل)

ويقول:

---

(1) المصدر نفسه: ص 237.

(2)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 395.

(3) المصدر نفسه: ص 525.

(4) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج 5، ص 326،

(5) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 102.

وَجَني لي، فإنّ قلبي عَلِيلٌ ما اشتهى من جَنِيٍّ رمّان صَدْرِك[1]

(الخفيف)

ويقول:

وردفكِ المُرْتَجُّ في غُصْنِهِ ميّاسٌ اهتزّ بِرُمانَتَيْكِ[2]

(السريع)

وقد استخدم الشاعر اللفظة بصيغة المثنى لتدل على نهدي المرأة، أما استخدام اللفظ على حقيقته فلم يرد سوى مرة واحدة ولم يذكر الرمان بلفظة وإنما دل عليه بذكر زهـرة (الجلنـار) يقول:

يُريكَ حديقةً من ياسمينٍ تَفَتّحَ وَسْطَها لَهُ جُلّنار[3]

(الوافر)

والرمان نوع من الفواكه التي يتناولها الناس ويقبلون عليها، وكمـا ذكرنـا أن النـرجس ارتبطت دلالته بالمرأة فكذا هذا النوع من الفاكهة، فقد ذكر الرمان فيما لا يقل عن عشرة مواقع. أما ارتباطه بالمرأة والتغزل فيها، فهذا ما تدلنا عليه أشعار شاعرنا عندما يذكره، فمن مـا جـاء ذكر الرمان فيه قوله:

وُرِدْفُك المُرْتَجّ في غُصْنِهِ ميّاسٌ اهتزَ بِرَمّانَتَيْك[4]

(السريع)

يقول الشاعر بأن تلك الفتاة إذا ما أرادت الرقص وهزّت أردافها فإن نهديها يهتـزان اسـتجابة لإهتزاز قدمها وأردافها، فالشاعر يرتبط في دلالة واضحة وصريحة بين النهود وفاكهة الرمان، ولعله أخذ ذلك من استدارة كل منهما فربط بينهما، وقد ورد ذلك في أكثر من موقع يقول:

أعليلٌ أنتَ؟ ما تَشْتَهي؟ قَلْتُ: قطفي بَيدِيْ رمّانَتَيْكِ
فأنثنتْ كبراً وقالتْ: ويلتا أوَهَذا كُـلّهُ تطلبُ ويْـك؟[5]

(الرمل)

(1) المصدر نفسه: ص 199.

(2)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 345

(3) المصدر نفسه: ص 237.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 345.

(5) المصدر نفسه: ص 343.

الرَّوَض، الرِّياض، رَوْضِة[1]:

روض: الروضة: الارض ذات الخضرة، والروضة: البستان الحسن

والروضة: الموضع يجتمع فيه الماء يكثر نبته، ولا يقال في موضع الشجر روضة

والروضة: عشب وماء ولا تكون روضة إلا بما معها أو الى جنبها

والروضة: القاع ينبت فيه

والروضة: البقل والعشب

والروضة: قاع فيه جراثيم وراب سهلة صغار في سرار الارض يستنقع فيهـا المـاء وأصـغر الرياض مئة ذراع.

والجمع من ذلك كله روضات، ورياض، وروض وروضات.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة مفردا وجمعا خمسين ونيفا.

يقول:

تناولْتُها ونسيمُ الرياضِ   ذكيّ النسيمِ عليلُ الهبوبِ[2]

(المتقارب)

ويقول:

وما روضةٌ حيّ ثرى أقحوانِها   يضاحكهُا في الغيم سِنّ من الضِّحّ[3]

(الطويل)

ويقول:

وكأنَّ الرّوْضَ رَشَّتْ زَهْرَةٌ   بمياهِ الورْدِ أفواهُ الرّياح[4]

(الرمل)

---

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج 5 ص 396.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 13.

(3) المصدر نفسه: ص 78.

(4) المصدر نفسه: ص 85.

اما الدلالة المجازية او ما استخدم على التشبيه قوله:

وكأنّ النّسيمَ بالفرجِ يُفْشي بين روضاتِها سرائرَ خُرّد[1]

(الخفيف)

اما الدلالة المجازية او ما استخدم على التشبيه قوله:

كلّ نمّامةِ الرياحِ تلاقي منه أنفاسَ رَوْضة تَتَضَوّعُ[2]

(الخفيف)

الرَّيْحَان:

نبات ذو رائحة جميلة عطرها فواح، وخضرتها دائمة عبقت بأريجها قصائد ابن حمديس حتى ملأ شذاها ألفاظه وديوانه، تلك البيئة الأخاذة اختلفت مواقعها في أغراض الشاعر وموضوعاته،إلا أنها كثيرة الورود في الوصف والغزل والمدح وشرب الخمرة ومجالسها التي جاء وصف الطبيعة متمماً لصورتها، فكان الريحان وغيره من الأزهار تأتلق فرحاً وسروراً لفرح الشاعر وسروره، بل وتشاركه اللذة فتصطهج متراقصة بأغصانها وقد ملأ عبيرها الأنفاس.

ومن جميل الصور التي جاءت الريحانة لتزيدها جمالاً قول الشاعر:

وَرَيْحانةٍ أُمَّــها كــرمة تَنَفّسُ في كفّ غُصْنَ رَطَيبِ
مُعتّقةٌ في يَدَيْ راهــبٍ على دّنــها خَتْمُهُ بالصّليبِ[3]

(المتقارب)

حيث شبه الشاعر الخمرة برائحتها ونشوتها بالريحانة ذات الرائحة العطرة. فالشاعر يربط بين ما تحدثه نشوة الخمرة في نفسه وبين رائحة الريحانة الزكية التي عبق بها أنف الشاعر. كما أن الشاعر يشبه الريحانة بالفتاة الجميلة والكرمة هي أمها وهي تنفس محمولة على

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 125.

(2) المصدر نفسه: ص 305.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 125.

أيدي قيان يحركها كما تتحرك الأغصان الغضّة. وبالتالي فالشاعر يولـد هـذه الدلالـة وهـذه الصورة وهو يتلذذ بشرب الخمر في مجلس سمر.

ومما يؤكد أثر الريحان وقيمته في نفس الشاعر أنه يستحضره في مجالس شـربه كثيـراً. بل أنه يقدم الريحان في مجلسه قبل الراح أنظر إليه يقول:

علّلِ النّفَس بريحانٍ وراحْ   وأطِعْ ساقِيَها واعصِ اللوّاح
وأدِرْ حمراءِ يسـري لُطُفا   سُكْرُها مِنْ شمِّها في كلّ صَاح(1)

(الرمل)

فالشاعر يلجأ إلى الطبيعة كلما ضاقت به الحال فها هو ذا يتجه إليها فـي شـربه ولهـوه ويعلل نفسه بالريحان قبل أن يتجه إلى الخمر وشربه، فالشاعر يستحـضر الأزهـار والـورود والريحان ويرى أنها بعبقها وأريجها تكون سببا في تعلله. ففي الوقت الذي يتمتع فيـه الـشاعر بالخمرة وشربها ويلهو متناسياً همومه لا تلبث الورود تذكره بوطنه السليب.

وقد ورد ذكر الريحان متعدداً بين الأفراد والجمع والتعريف والتنكير، وأمثلة ذلك كثيـرة في الديوان نورد بعضها، يقول مشبها الفخر بالريحانة التي تنمو وتكبر ويفوح عبيرهـا لـيملأ أرجاء الدنيا:

رحيبُ ذُرَى المعروف مُسْتَهدَفُ الندَّى   تَنَدّى الأماني في حَدائقَهِ الخضر
تَحَلـّبُ من يمناه ثَـجّاجَةٌ الـندى   وَتنْـبُتُ من ذكراه ريحانةُ الفخر
له سـيرةٌ فـي ملكـه عُمْـرِيّةٌ   وكفٌّ من الإعدام جابرةُ الكَـسر(2)

(الطويل)

وفي صورة جميلة يربط فيها ابن حمديس بين فتاة جميلة يتغزل فيها وبين الجنة وما فيهـا من ورود وأزهار ورقة وجمال إلا أن تلك الجنة قد أحاطتها نيران الصدود فهي تتمنـع علـى الشاعر وتدلل، ومع ذلك فهو يشبهها بريحان الخلود وفي ذلك يقول:

يا جَنّةَ الوَصْـلِ التي   حَفّتْ بها نارُ الصُّـدودِ

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 83.
(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 216

مَنْ لي بِريـــّـاكِ التي **فتُقَتْ بِرَيْحانِ الخُــلُودِ**
ومُجَاجَةٍ شَـــــــهْدِيةٍ **تُجْنَى من البَرَد البَرُود**[1]

(الكامل)

والريحان من جنس الشجر وهو خمسة أنواع، منه بستاني وهو نوعان والبري ثلاثة أنواع. فأحد البستانيين هو الهاشمي، له ورق طويل شديد الخضرة، فيها الخضار، تخرج على ساق، شجرتها من أولها إلى آخرها متكاثفة بعضها فوق بعض، متصلة، ولها زهر دقيق أبيض، طيب الرائحـــة يخلفه تمر في قَّدر الحّمص إلى الطول، فما نضج منه أسوّد وهو معروف يُتخذ فـــي البـــساتين والدور ويسمى أماروس.

والنوع الثاني هو المشرقي، ورقه دقيق جداً، في قَدْرِ ورقِ العينون إلا أنها أعرضُ وأشد خضرة، وخضرتها ميَّالة إلى الصفرة، وأغصانها إلى الرّقة لينة تنثني مع الرياح، وليس النـــوع الأول كذلك، وزهره كزهر الأول وحبُّه كحبِّه ويسوّد أيضا بعد النضج، فإن زُرِع حبُّه قبـــل أن ينضج ويسوَّد صار علي صفة الآس الجبلي. وإن زرع بعد النضج صار على حالـــه مـــشرقياً. ويتخذ هذا النوع أيضاً في الدور والبساتين، وهو مشهور معروف.

لقد جاء ذكر الريحان في ديوان ابن حمديس مقروناً بقصائد المدح والخمـــر والغـــزل ولا يذكر الشاعر في غير هذه المواقع ومن ذلك قوله[2]:

وفي كَبَدي جُرْحُ لحظٍ عليلٍ وفي عَضُدي عضّ ثغرٍ شَنيبِ

(المتقارب)

وريحانةٍ أُمها كرمـــــــــة تَنَفسّ في كفٍّ غُصْنٍ رطيبِ
مُعَتَّقةٌ في يَدَيْ راهــــــبٍ على دنّها خَتْمُه بالصَّليبِ

(المتقارب)

ويقول في قصيدة يمدح فيها المعتمد:

أعطتكَ ريحانَ الثناءِ حديقةٌ ظَمِئتْ ولكن قلما تَسْتمطِرُ[3]

(الكامل)

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 113.
(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 12
(3)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 197.

ويقول في قصيدة أخرى يمدح فيها المنصور بن ناصر بن علناس:

عرّجْ بأرضِ الناصريّةِ كي تَرى		شَرَفَ المكانِ وقُدْرَةَ الإمكانِ
وفي جنةٍ غنّاء فِرْدَوْسيّة		محفوفةٍ بالرّوحِ والرّيحانِ(1)

(الكامل)

الزَّهْر:

زهر: الَّزهْرَة: نور كلَّ نبات، والجمع زَهْرٌ، وخص بعضهم به الأبيض، وزهرُ النبت: نوُره. وكذلك الزهرةُ، بالتحريك، وقال الزُهرةُ البياض عن يعقوب، ويُقال أزهرُ بين الزُّهرةِ، وهو بياضُ عِتْق قال شمر: الأزْهَرُ من الرجال الأبيضُ العتيقُ البياضِ، النيِّرُ الحَسَنُ وهو أحسن البياض كأنَّ له بريقاً ونوراً.

يزهر كما يُزهِرُ النجم والسراج، ابن ا لأعرابي: النّوْرُ الأبيض والزّهرُ الأصغر، وذلك لأنه يبيّض ثم يصغرُ، والجمع أزهار وأزاهير جمع الجمع، وقد أزهر الشجر والنبات. وقال أبو حنيفة: أزهر النبتُ، بالألف، إذا نوَّر وظهر زهره، وزهُيرَ بغير ألف، إذا حَسُنَ. وأزهارَّ النبات، كالزهَرَّ، قال ابن سيدة: وجعله ابن جني رباعيّاً، وشجرة مزهرة ونبات مزهِرٌ، والزّاهر: الحَسنُ من النبات(2).

نستخلص من هذه المعاني أن الزهر يعني الحياة والحُسن والبهجة والجمال. لذا فقد وظّفه الشاعر في ديوانه توظيفاً جميلاً. فذكر بمفرده وجمعه، وذكره بالتنكير تارة والتعريف تارة أخرى. ومن ذلك قول ابن حمديس في قصيدة مدح:

ذو سجايا في المعالي خُلِقتْ		للوغى والسلم من بأسٍ وجود
وأناةٍ أُرسِيتْ في خُلُقٍ		كنظيرِ الزهر في الرّوضِ المَجُود(3)

(الرمل)

فالشاعر يشبه صفات الممدوح بالزهر في الروض. ويقول في قصيدة يمدح فيها أحمد بن عبد العزيز بن خراسان:

---

(1) المصدر نفسه: ص 495.

(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج 6، ص 98.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 156.

والصبحُ يلقطُ من جُمَان نجومهِ ما كانَ في الأفاقِ ذا تبديد
زُهْرُ خَبَتْ أنوارُها فكأنّها سُرُجُ المَشاكي عولجتِ بخُمُود
كأزاهر النّوار تَقْطُفُها مهاً منْ كلّ مخضرّ البقاعِ مَجُود[1]

(الكامل)

جاء الزهر في قصائد ابن حمديس متعدداً كغيره من النبات وعلى الرغم من أن ذكره في الديوان كان أقل من ذكر الورد إلا أن وروده في صيغ متعددة ومختلفة بين الإفراد والجمع، تعدد ذكرها بين التعريف والتنكير والإضافة إلى الضمائر، كان له أثر كبير في استكمال الصورة وتوليد معاني جديدة لها بهاؤها ورونقها. وخاصة في قصائد الوصف والغزل والمدح التي ملأت صفحات الديوان.

إن أول ذكر للزهور يطالعنا في الديوان كان في صفحاته الأولى حيث يصف شاعرنا زهرة النيلوفر، يقول:

أشرَبْ على بركةِ نَيْلُوْفرَ مُحَمَّرة النّوارِ خضراءِ
كأنما أزهارُها أخـرجتْ السـنةَ النارِ منَ الماءِ

(السريع)

فالشاعر في هذين البيتين يشرب الخمرة مستأنساً بأزهار النيلوفر، الذي أحس أن ثمة ما يربط بينه وبينها، فكان يتصوره من نبت بيئته وبلاده، فعندما يرى أزهاره في وطن آخر غير وطنه كأن يحس أنه يعاني الآم الغربة ولوعة الفراق مثله سواء بسواء[2].

فكان الشاعر يرى أن هذه الأزهار تهيج في نفسه الحزن والألم والشوق إلى الوطن السليب، وتثير في أشجانه الغربة والحنين فتوقد نار الحقد والكراهية للمحتل الغاصب بدلاً من أن تكون مثيرة للدعة والرخاء والسرور.

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص156.

(2) أنظر:عيسى، فوزي سعد: الشعر العربي في صقلية، ص 186.

ويذكر الشاعر الأزاهير التي شكلت عنصراً أساسياً في رسم صورة لمجلس الشراب الذي لا تكون فيه لذة أو متعة إلا إذا كان الشراب ممزوجاً بعبير الزهور وأريجها، فهـــي تـــصطهج مزحاً وسكراً لاصطهاج الشاعر وفرحه، حتى أنها تعقل الطرف وتعقد. يقول:

ثَقَّل الرّاحَةَ من كاســـــاتِها ... برَداحٍ من يَدِ الخودِ الرّداح
في حديقٍ غَرَسَ الغَيْثُ بهِ ... عَبقَ الأرواحِ مَوْشيَّ البِطاحِ
تعقلُ الطَّرفَ أزاهـــيرُ بهِ ... ثمّ تُعْـــــطِيهِ أزاهيرَ صِرَاح[1]

(الرمل)

فهو يستخدم الأزاهير ليدل به على الأزهار وأريجها تارة ويستخدمها مرة أخرى ليدل بها على حسناوات النساء من الراقصات والقيان والساقيات الخمر لهم في المجلس.

ومن الصور الجميلة التي رسمها ابن حمديس للزهر، تلك التي شبه فيها تـضحيات أهـل سرقوسة (مدينة المغتصبة) وقتالهم ودمائهم التي أريق دفاعاً عنها. بالزهور التي تهيـؤ للثمـر يعني أن تضحياتهم هذه ودماءهم المراقة تمهد وتبشر بقدوم النصر يقول:

رعى وَرَقُ البيضِ الذي زهرُهُ دَمٌ ... بهم ورقاً عن زهره الروضُ يَبْتَسمُ
جَبَابِرَةٌ في الرَوْعِ تَعْــدو جيادُهُمْ ... بهمْ فَوْقَ ما ســحّ الوشــيجُ المُقَوَّمُ[2]

(الطويل)

وقد أبدع في ربطه بين الزهور التي تشرئب للتفتح لتخرج الثمار وبـين أهـل سرقوسـة وتضحياتهم التي تقدم للنصر وهذا توكيد وابتكار جديد في توظيف الزهور التي ترمز أصلاً إلى السرور والارتياح الفرح.

السّوْسَن[3]:

السّوْسَن: نبت، أعجمي معرّب، وهو معروف وقد جرى في كلام، العرب قال الأغشى:

وآسٌ وخيريٌّ ومرْوٌ وسوسنٌ ... إذا كان هِيزَفنٌ ورُحْتُ مخَشَّما

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 84.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 412.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج 6، ص 430.

وأجناس كثيرة وأطيب الأبيض:

والسوسن ليس من نبات أرض العرب، وأنواعه كثيرة، فمنه الأبيض والأحمر، والأصفر، والأزرق، والأسمانجوفي، ومنه بريّ وبستاني ومائّي وجبليّ ورمليّ لم يرد ذكر السوسن في ديوان ابن حمديس كثيراً، فلم يتجاوز مرتين، إلا أنها حملت في طياتها دلالات جميلة، فقد وظّفّها الشاعر توظيفا رائعاً يقول في قصيدة مدح يذكر فيها شجاعة الممدوح وقوته وسطوته على أعدائه. ويقول.

بَحْرٌ إذا ما القرنُ رام عبورَهُ   لم يَلْقَ فيهِ إلى السَّلامةِ مَعْبَرا
عَطِبَتْ به مُهَجُ الجبابرةِ الألي   بَصُرُوا بكسْرى في الزمانِ وقَيْصَرا
رسبت بلجتّه النفوسُ لو طَفَتْ   لَحَسِبْتَهُ قَبْلَ القيامةِ مَحْشَرا
وَرَدَ النجيعَ وَسَوْسَنُ جَنَبَاتِهِ   ثم استقلَّ بهنّ وَرْداً أحْمَرا[1]

(الكامل)

ويقول في قصيدة مدح:

يا لَها مِنْ جَنَّةٍ رُمَّانُها   ما دَرَتْ ما لَمسُهُ راحةُ جان
يا عليلَ القَلْبِ كَمْ ذا تَشْتَهِيْ   سَوْسَنَ النَّحْرِ وَعُنّابَ البَنَانِ[2]

(الرمل)

العِنَّاب[3]:

العِنَّاب: من الثمر، معروف، الواحدة عنابة، ويقال له السنجلان بلسان الفرس

والعناب: ثمر الآراك.

والعناب: العبيراء.

والعناب: الجبيل الصغير الدقيق المنتصب الاسود

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 235.

(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج 9، ص 413.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 503.

والعناب: النبكة الطويلة في السماء الفادرة، المحددة الرأس، ويكون أسود وأحمر، وعلى كل لون يكون، والغالب عليه السمرة، وهو جبل طويل في السماء، لا ينبت شيئا، مستدير.

والعناب: واحد، لا تعمه أي لا تجمعه، ولو جمعت لقلت: العنب

والعناب: واد والعناب: جبل بطريق مكة

والعناب: الرجل العظيم الأنف.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة في بضعة مواضع يقول:

يا عَليلَ القَلْبِ كم ذا تَشْتَهي   سَوْسَنَ النحرِ وُعُنّابَ البَنَانِ[1]

(الرمل)

ويقول مشبها إبرة العقرب بالشوكة التي تكون على شجر العناب:

كأنَّ شَوْكَةَ عُنّابٍ بِمِبْضَعِهَا   يُجَرَّعُ السمّ منه مَنْ يُصَادِفَهُ[2]

(البسيط)

ثم يذكر العناب مرة أخرى في وصف العقرب:

وَقَدْ نَصَلَتْ للْطَعنِ مَحْنّي صَعْدَةِ   بشوكةِ عُنّابٍ قتيلٍ زبيبها[3]

(الطويل)

عِنَبْ[4]:

العنب: معروف واحدته عنبة ويجمع العنب أيضا على أعناب وهو العنباء

والعنب: الخمر

وقد ذكره ابن حمديس مرة واحدة في شعره يقول:

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 316.

(2) المصدر نفسه: ص 42.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج 9، ص 413.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 45.

أَشِهابٌ في دُجى الليلِ ثَقَبْ   أمْ سراجٌ نارُهُ ماءُ العِنَبْ[1]

(الرمل)

وقصد من ذكره الحديث عن الخمر.

غَابَة:

الغابة: الأجمة التي طالت ولها إطراف مرتفعة باسقة يقال ليث غابة

الغاب: الآجام والغابة: الأجمة والغابة الأجمة من القصب وقد جعلت جماعة الشجر لأنه مأخوذ من الغيابة.

الغابة: غيضة ذات شجر كثير

يقول ابن حمديس:

ككناسٍ بَغَمَتْ غَزْلانُهُ   من زئيرٍ راعَها مِنْ أُسْدِ غَابِ[2]

(الرمل)

الفِرْصَاد:

فرصد: الفرصد والفرصيد والفرصاد عجم الزبيب والعنب وهو العنجد.

الفرصاد التوت وصل حمله وهو الأحمر منه والفرصاد: الحمرة وقد جاء استخدام هذه اللفظة قليلا.

يقول:

نَحَرْتُ شُؤوني بالبكاءِ عليه أمْ   عَصَرْتَ مَدَامِعَها مِنَ الفِرْصَادِ[3]

(الكامل)

ويقول:

---

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد. لسان العرب، ج 10، ص 135.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 65.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج 1،. ص 230.

ويَردَّ سُمرَ الطَعْنِ عنْ ارضِ العِدى   وكَأَنّهَا في صبْغَةِ الفِرْصَاد[1]

(الكامل)

القَضْب[2]:

القضب: الرطبة وألقت القضبة

القضب: ما أكل من النبات عضا

القضب: كل شجر سبطت أعضائه

القضب: الفصافص واحدتها قضبة وهي الاسفت بالفارسية

القضب: شجر سهلي ينبت في مجامع الشجر له ورق كورق الكمثرى.

القضب: السهام الدقاق

الكَافُور:

فأما الكافور المشموم من الطِّيب فأحسبه ليس بعربي محض لأنهم ربما قالوا: القَفُّور[3]. وقد جاء في التزيل "كان مزاجها كافوراً" (الإنسان 5).

فسر الجوهري الكافور بالطيب. والقفُّور بكافور النخل. وذكر صاحب اللسان المعنيين. وهو بالفارسية كافور وبالفهلوية، وأصله من اللغات الهندية. فهو بالتاملية إحدى اللغات الدِّرافيدية (كربورم) ومنه (كرْبُور) بالسنسكريتيه. وهو بالسريانية (قفوراً) و(قفور) فالكافور من الفارسية والقفور من السريانية. ودخلت الكلمة في

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 148.

(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج 10، ص 230.

(3) الجمهرة: 401/2.

اللاتينية من اللغة العربيـــة فهـــي Camphora بزيـــادة النـــون. أمـــا كـــافور الطلعـــة وهـــو وعاؤها الذي تنشق عنه فعربي وسمي كافوراً لأنه قد كفرها أي غطاها(1)

وقد وردت لفظة الكافور في شعر ابن حمديس في مواطن متعددة نذكر منها، يقول:

كفٌّ مِنَ الكافورِ هذي التي أَرَى مِنَ المِسْكَ عَليها خِضَاب(2)

(السريع)

ويقول:

كأنّما الكافورُ نَثْرُ ثَلْجِنا أو نَدَفَ البُرْسَ لناقوسُ قَزَح(3)

(الرجز)

ويقول:

كأنّ مِسْكَ الليلِ في مِغْرِقِهِ فانْجَلَى عَنْهُ بِكافورِ الصَّبَاحِ(4)

(الرمل)

النَيْلُوْفَرِ(5):

هو أنواع كثيرة فمنه أبيض الزهر وأصفرُ وأحمرُ وازرقُ، ومنه بستانيٌّ وبري ونهـــري. فالبستاني بصل في قدْر تصل الأكل وأعظم، ذو طاقات كطاقات ثمر الصنوبر الكبار.

ومن النيلوفر ثلاثة أصنافٍ تعرف بالليلية والسامرية، أحدها له لون أصفر ذهبـــي، فـــي لون النَّرجس الأصفر، وآخر أزرق اللون وآخر أحمر، وأصول هذه الأنـــواع الثلاثـــة بَـــصَل. منابتها الرمال وبقرب البحر. وليس يظهر نباتها بالنهار البتّة وبالليل تطلع وتنمو إلى أن تزهـــر ثم تبرز وتنحطم عند تمام مدتها، وهي في هذا كله تطلع إذا أقبل الظلام وتغيبُ في التراب إذا أقبل ضوء النهار.

---

(1) الجواليقي، أبو منصور موهوب ابن احمد: المعرب من الكلام الاعجمي، تحقيق عبد الرحيم،دار القلم، دمشق 1990،ص544.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 9.

(3) المصدر نفسه: ص 87.

(4) المصدر نفسه: ص 96.

(5) انظر عمدة الطبيب في معرفة النبات 394/1

ومن النيلوفر بريٌّ، وهو أنواع كثيرة، فمنه الأصفر، وهو النهري ويعرف بالذهبي. ورقه مستدير متين كالمراوح قدْراً وشكلاً، وفيها ملاسة لونها أخضرُ إلى الصفرة، تنبسط على المياه القائمة والغدران العميقة التي تكون في الأودية الشتوية، وهي على أذرع طوال، مدّورة، رخوة، تخرج من وسطها قصبة كساق البردية.

ومنه نوع آخر أبيض يُعرف بنيلوفر البِرَك، وهو ثلاثة أصناف: أحدها له ورق كورق المتقدم، كثيرة تخرج من أصل واحد، وعرض زهره عَرْضَ كفٍّ الإنسان. مضّعف الورق كورق الورد المضعف تحويها غاشية خضراء.

يقول ابن حمديس في النيلوفر:

أشرَبْ على بركةِ نيْلُوْفَرٍ مُحْمَّرَةِ النّوارِ خَضْرَاءِ[1]

(السريع)

كأنّما أَزْهارُها أَخْرَجَتْ ألسنةَ النارِ مِنَ الماءِ

النَّارِنجْ:

من جنس الشجر الخشبي[2]، يذكره ابن حمديس فيقول:

وانظرْ إلى النَّارنْجِ في الطبَّقِ الذي أبدي تدانيَ وجنةٍ مِنْ وَجْنةٍ

(الكامل)

النَّرجسُ[3]:

بالكسر، من الرياحين، معروف، وهو دخيل. نرْجس أحسَن إذا أُعرب، وذكره ابن سيده في الرباعي بالكسر، وذكره في الثلاثي بالفتح في ترجمة رجس.

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 5.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 69.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج14، دار صادر، بيروت، ص 102.

ذكر ديوسقوريديس وجالينوس هذا النبات ويسمى باليونانية نركسوس صفرته شـبه لـون النيرون، وبالسريانية مريث، وبالعربية نرجس وباللطينية بنرجـسينوس، وبالعجميـة نبقيـرس وفُلُور أوُر، أي نوار الذهب.

على الرغم من أن هذا النبات ليس عربي الأصل والنشأة إلا أن ابن حمديس يـذكره فـي ديوانه وكأنه يشير إلى غربته عن بلاده، يذكر النرجس بالتنكير والتعريف فيقول:

وَلَيْلٍ هَوَتْ فيه نُجُوْمَ كأنَّها　　　يَعَاليلُ بحرٍ مُضْمِرَ الجزْرِ في المدِّ
كَأَنَّ الثريّا فيه باقةُ نَرْجسٍ　　　من الشَّرْقِ يُهْديها إلى مَغْرِبِ مُهْدُ(1)

(الطويل)

ويقول:

أذَابلُ النَّرجِس في مقلتيكْ　　　أم ناضرُ الوردِ على وجنتيكْ(2)

(السريع)

لقد جاء ذكر النرجس أقل من ذكر الورد بكثير في ديوان ابن حمديس، فلم يتجاوز عـشر مرات وردت فيها هذه اللفظة جاء في أكثرها نكرة وجمعاً، على غير ذكر الـورد الـذي جـاء عشرات المرات. وقد كان ذكر النرجس مرتبط إلى حد بعيد بذكر المرأة والتغزل فيها في ديوان شاعرنا. ومما جاء ذكر النرجس فيه في غزله قوله:

أذابلُ النَّرْجس في مقلتيكْ　　　أم ناضرُ الوردِ على وجنتيكْ
وَعقْرباً صَدْغيكِ مِنْ عنبرٍ　　　سُـــمّهمُا ويلاهُ من عقربيك
وردفكِ المُرْتَجُّ في غُصنْهِ　　　مَيّـــــــاسٌ اهتزّ برُمّانَتَيْك(3)

(السريع)

فالشاعر في هذه الأبيات يتغزل بفتاة جميلة، ويصفها وصـفاً مفـصلاً، ويلـتمس لـذلك الصورة المليحة والحسن من التعليل، وقد ذكر النبات، النرجس والورد والعنبر والغصن وذكـر كذلك الرّمان، كما ذكر العقرب من الحيوان. ولعل ذلك كله كان لازمـا فاستحـضره الـشاعر

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 150.
(2) المصدر نفسه ص 345.
(3) الابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 345.

ليشكل صورة ملؤها الإبتكار والتجديد فيها السحر والعذوبة وفيها الرقة، إلا أنه قد ذكر العقــرب وهي حشرة زاحفة ضارة ولعل هذا قد أثر في رقة الصورة وجمالها شيئاً قليلاً.

ومما يؤكد اقتران ذكر النرجس بذكر المرأة والتغزل فيها قول الشاعر:

تَزَرَّرُ صَــــوناً عليها الخدورَ فَتُبْكي عيونَ المَها الكُنّس
وقد زارَ عَذْبَ اللمى في الأُقاحِ أجُاجُ الدُّموع من النَّرْجِسِ[(1)]

(المتقارب)

فهو يصورها وقد أغلقت على خيمتها وأخذت تبكي وشــبه عينيهــا بــالنرجس وشــبة الــشفاه بالأقاحي، فالشاعر يذكر النرجس ويذكر الأقاح ويحملها دلالة المرأة وتشبيه العيــون بــالنرجس صورة مبتكرة عند الأندلسيين.

الوَرْدُ

ورْد: ورد كلِّ شجرة نورها، وقد غلبت على نوعها الحوجم . قال أبو حنيفة الورد نور كل شجرة وزهر كل نبتة، واحده وردة، قال والورد ببلاد العرب كثير، ريفيه وبرِّيَّة وجبلية.

ورَّدّ الشجرُ: نوَّر. وورَّدت الشجرة إذا خرج نورُها. الجوهري الوَرد بالفتح، الذي يُــشمّ، الواحدة وردة، وبلونه قيل للأسد ورْدٌ وللفرس ورْد، وهو بين الكميت والأشعر.

ابن سيده: الورْد لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة في كل شيء[(2)]. لقد ذكر ابــن حمــديس الورد في ديوانه عشرات المرات، مما كان له أثر كبير في جماليات التعبير والدلالة في قصائده الرائعة. يقول في قصيدة يمدح فيها المعتمد.

أنْكَرَتْ سُقْمَ مُذَابِ الجَسَدِ وَهو من جنسِ عيونِ الحُرُدُ
وَبَكَتْ فالدمْعُ في وَجْنَتِها كَجُمانِ الطلِّ في الوَرْدِ الندي[(3)]

(الرمل)

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص278.
(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج15، ص 267.
(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 138.

فيشبه الشاعر جريان الدموع على الخدود بجريان الطل ويقصد به الندى على الورود.

وفي تشبيه مقارب للسابق إلا أن الصورة عكسية تماماً يشبه ابن حمديس الخدود وتوردها وتفتح لونها وحمرتها وذلك سبب ماء الحسن بالورد الذي يجري الماء في عروقه فيتفتح. يقول:

رَقيقَةُ ماءِ الحُسْنِ يَجْري بِخَدّها   كجَرْيِ النّدى في غَضِ وَرْدِ مُتَفَتِّح(1)

(الطويل)

ويذكر الورد بلفظ النكرة. فهي تشبه أي وردٍ جرى الماء في عروقه فتفتح.

وفي قصيدة مدح يتغزل بفتاة جميلة فيقول.

وَمَشَتْ تَرَنّحُ كالنزيفِ ومشيها   فَضَحَ القطاةَ بحسنه والجؤذرا
فَعَجَبْتُ مِنْ غُصْنٍ تُدَافِعَهُ الصَّبا   بالنهد أثْمَرَ والثنايا نوّرا
معشوقةٌ حَيّتْ بوردةِ وجنةٍ   وَسَقَتْ بكاسِ فمٍ سُلافاً مُسْكِرَاً(2)

(الكامل)

إذا أردنا أن نتقصى الزهريات في ديوان ابن حمديس وجدناها منثورة في ثناياه مفردة حينا، ومضمنة في أغراض أخرى كما هو الحال في مدح ووصف الخمر وحتى في الحربيات من شعره حينا آخر، وخاصة أشعاره في الروض والرياض، إن المدقق في وصف الزهور والرياض عند ابن حمديس يجد نفسه أمام شاعر قد أحاط معرفة كبيرة وشاملة في مواسم تفتح الأزهار والتميز بين النباتات ذات الخضرة الدائمة، والنباتات الموسمية، فبراعم النرجس تتّفق مع إطلالة الربيع ولفترة قصيرة من الزمان في حين يتأخر الورد في تفتحه فلا يلتقيان أبداً.

لقد تغنى ابن حمديس بالزهور والورود بشعر جميل رقيق ضمنه أساليب تعبير مبتكرة فيّاضة الخيال. تظهر دقة في الوصف، وقدرة فائقة على التجديد والابتكار، كما تظهر باعاً طويلاً في الفن الشعري. فقد صدر الشاعر في زهرياته عن شاعرية أصيلة عبّر فيها عن تعاطفه مع الزهور، مسجلاً صورة صادقة لانعكاسات هذا التعاطف في نفسه وقلبه.

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص159.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 233.

على الرغم من أن ابن حمديس كان يقلد القدماء حيناً فيستلهم أسلوبهم وطريقتهم حتى أنه استخدم ألفاظهم، إلا أن ذلك لم يحد من قدرته على المجيء بصور جديدة مبتكرة وخلاقة، فهو يتمتع بقوة شخصية كان لها الأثر الأكبر في رسم صور كلية في عالم النبات والزهور والطبيعة. بأسلوب لم يتح للقدماء أن يمارسوا رسم مثلها بمثل ما جاءت به من الدقة والوضوح وتحديد الغاية التي يستفد منها من وراء رسمها.

ومن زهريات ابن حمديس التي افتتن بها الورود، التي ذكرها بكثرة في قصائد ديوانه. وقد جاءت بذكرها تحمل طابعاً تقليدياً حينا، وتحمل دلالات جديدة ومبتكرة في أحيان أخرى. كما تراوح استخدامها بين التنكير والتعريف والإضافة. وبين الإفراد والجمع، وجمع الجمع أيضاً. وهذا ما يجعلها تحمل دلالات مختلفة ترجع معرفة معانيها إلى اللوحات التي ذكرت بها.

وبما أننا نتحدث عن فتنة ألفاظ الطبيعة وجمالها عند ابن حمديس، فنقف أولاً عند المعاني والدلالات المولدة التي حملتها الورود في شعر ابن حمديس ومن ذلك هجاؤه لباقة ورد حيث يقول:

وَبَاقةٍ مُسْتَحْسنٍ نَوْرُهَا ... وقد خَلَتْ في الشمِّ منْ كلِّ طيبْ
كمعشرٍ راقَتْكَ أثْوَابهُمْ ... وَلَيْسَ في جُملتهم منْ أَديب[1]

(السريع)

فالشاعر يهجو هذه الباقة معللاً ذلك بأن زهورها قد خلت من الأريج، إلا أن الصورة قد جاءت ظريفة، والعرض جديد. كما جاء التشبيه فيها محكماً، ولكننا نأخذ على الشاعر هجاءها، فالأزهار والورود تبقى بجمالها فاتنة حتى لو خلت من الأريج وتجردت من العبير[2].

ومع ذلك فقد يكون لشاعر العذرُ في ذلك، فلعل ضيق الحياة وسوء أحوالها وغربته عن وطنه، وحزنه الذي لا يفارقه كلها مجتمعه جعلته يتبرم من الحياة حتى وصل به الأمر إلى أن يضيق بمظاهر الجمال فيها، وفيه انقباض نفسي عن الجمال الذي يريح النفس ويطمئنها من جهة وعن الناس من جهة أخرى.

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان:. ص 24.

(2) أنظر: الشكعة، مصطفى: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت، ص 277.

ومع ذلك فإنني أرى الشاعر يريد أن يوصل حكمة يعلنها إلى الناس من خلال هذا الهجاء أو لعلها رسالة يقول فيها أن الاهتمام بجوهر الأمور أفضل من أخذها بظاهرها من جهة. ومـــن جهة أخرى فهو يرى أن جمال الثياب لن يستر ما في النفس والجسد من عيوب.

ومن الصور المبتكرة الجديدة في وصفه للورود رثاؤه لباقة ورد قد ذبلت يقول:

يا باقةً في يَمِيني للرَّدَى بُذِلَتْ   أَذَابَ قَلْبي عَليكِ الحُزْنُ والأسَفُ
أَلمْ تَكُوني لتاجِ الحُسْنِ جَوْهَرةً   لمّا غَرِقْتِ، فهلّا صَانَكِ الصَّدَفُ[1]

(البسيط)

فالشاعر في هذه الأبيات يرثي تلك الباقة التي أصابها الذبول فيحترق حزنا وأسى عليهـــا، بعد أن غرقت في بركة. فهو يشبهها بالجوهرة، ولما كان الجواهر من أصـــداف البحـــار، فقـــد استغل الشاعر تلك الفكرة الطريفة فوشى بها بيتيه. وقد يكون الـــشاعر يـــشبه أوراق الزهـــور بالأصداف وهو أقرب إلى التصور من التخريج الأول[2].

وهذا أو ذاك أن المتمعن في البيتين يلمس قدرة عجيبة لدى الشاعر على توليـــد الألفـــاظ واستحضار معانيها في كل وقت وحين. فها هو يذكر الباقة والموت والقلب والحـــزن والجمـــال والتاج الذي يرمز إلى الرفعة والشموخ ويذكر البحر والأصداف، كل ذلك يستوحيه الشاعر بـــل يستحضره في بيتين ليرسم لوحة جميلة في أدواتها وألوانها إلا أنها حزينة في معانيها ودلالالتها.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل فنان بارع وشاعر مبدع وخيال فياض وسرعة عجيبـــة على استحضار ما هو غائب بعيد وموجود كل الظن أن وجوده ليس له ضرورة في توليد تلـــك اللوحة الفنية المتداعية المعاني، لوحة لم يعرفها الذوق العربي من قبل.

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان:.ص 315.

(2) أنظر: الشكعة، مصطفى: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص 278.

ج- الظواهر الجوية

البَرْق[1]:

البرق: سوط من نور يزجر به الملك السحاب والبرق واحد من بروق السماء والبرق الذي يلمع في الغيم وجمعه بروق وبرقت السماء تبرق برقا وأبرقت جاءت ببرق والبرقة المقدار من البرق.

والبارق: سحاب ذو برق والسحابة بارقة وسحابة بارقة ذات برق

وبرقت المرأة: تزينت

وبرقت: تعرضت وتحسنت

وقد وردت هذه اللفظة نكرة ومعرفة في ديوان ابن حمديس بما يزيد عن أربعين موضعا.

يقول:

وتُشْعِلُ في جانبيها البروقُ **بريقَ السيوفِ تُهز انْتِضَاءَ**[2]

(المتقارب)

وقصد البروق على حقيقة وبريق السيوف: لمعانها

ويقول:

وقَهْوَةٍ في الزَّجاجِ تَحْسبُهَا **شُعْلَةَ برقٍ في الغَيْمِ مُلْتَهِبَ**

(المنسرح)

ويقول:

أَوْ عَلَى برقِ سماءٍ ضاَحِكٍ **غيمُهُ بالدّمْعِ مِنهُ مُنْسِكَبِ**[3]

(الرمل)

---

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج1، ص 382

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 3.

(3) المصدر نفسه: ص 20.

ويقول:

شَرِبْنَا على ايماضِ برقٍ كأنّهُ سَنَا قبسٍ في فحمةِ الليلِ قد شبّا[1]

(الطويل)

ايماض البرق لمعانه وضوءه القوي

كثير ذكر البرق في شعر ابن حمديس وقد جاء يحمل دلالات خاصة غير الدلالة العامة التي نعرفها. وهي أن البرق يكون مصاحباً للرعد وسابقاً لنزول المطر ومبشراً به. وفي ذلك يقول:

وَطَائرٍ في الجَوِّ من مغرب في قَطْعه الليلِ إلى مُشْرِقِ
كأنّما تَنْبُعُ مِنْ سُحْبِهِ شُعْلَةُ نفْطٍ للدُجَى مُحْرِقِ
لو كانَ يَبْقَى نورُه في الدّجَى كانَ كحَطِّ التِبرْفي المَيْلَقِ[2]

(السريع)

إن ابن حمديس يطلق عنان خياله وقوته على التصوير والإبداع ليصور لنا البرق بطائر يروح ويغدو بين المشرق والمغرب في الليل وهو في ظهوره كأنه نار تخبئ الظلام. ويبقى نوره مشرقاً في الظلام كما تظهر الكحلة في العين.

فكأن الشاعر بهذا التصوير تشرئب نفسه إلى أن يكون كالبرق يتجول بين الشرق والغرب وبذا يستطيع أن يعود أو يمر في وطنه السليب الذي غادره منذ سنين طويله.

وقد جاء ذكر البرق في الديوان في أكثر من خمسين موقعاً حملت دلالات مختلفة إيجاباً وسلباً فتارة، يكون البرق مبشراً بنزول الغيث الذي يروي ضمأ القلوب، وتارة يروي ضمأ النفس من الماء، وتارة للعطاء الذي يسخو به الأمراء والحكماء وخاصة في قصائد المدح وأخص بالذكر ما كان منها نكرة، فكأنه عطاء غير منتظر أو أن يكون عكس ذلك تماماً فقد يشير بالخوف والحزن.

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 51.

(2) المصدر نفسه: ص 335.

الحَرَ

الحَر: ضد البرد والجمع حرور واحارر على غير قياس من وجهين احدهما بناؤه والآخر إظهار تضعيفه والحار: نقيض البارد والحرارة ضد لبرودة

وتقول: حر النهار وهو يحر حرا وقد حررت يا يوم تحر وحررت تحر بالكسر وتحـــر وحـــرا وحرة وحرارة وحرورا أي اشتد حروه وقد تكون الحرارة للاسم وجمعها حينئذ حرارات.

الحرة والحرارة: العطش ورجل حران: عطشان من قوم حرار وحراري وحرارى.

والحرارة: الحرقة في الغم

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة في مختلف معانيها يقول:

لا يَلْحَظُ الحرَّ إلا مثلما وَقَعَتْ   على أخي سيئاتٍ عينُ ذي غَضَبِ[1]

(البسيط)

وقصد بالحر: العطش

ويقول في ذات المعنى لكلمة حر

إذا نَزَلَ الركبانُ طابَ لِنَفْسِهِ   على الجمرِ مِنْ حرِّ الهجيرِ رُكُوبَ[2]

(الطويل)

كما استخدم اللفظ للدلالة على العطش يقول:

فّمنْ لي بّودْق مُطْفِئٍ حَرّ غُلّتي   أبُاكرُ طلاًّ مِنْ أقَاَحيّه عذبا[3]

(الطويل)

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 17.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 51.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج5، ص 242.

الرَعْد[1]:

رعد: الرعدة النافض يكون من الفزع وغيره، وقد أرعد فارتعد.

وترعدد: أخذته الرعدة والارتعاد والاضطراب.

الرعد: الصوت الذي يسمع من السحاب، وأرعد القوم وأبرقوا أصابهم رعد وبرق. ورعدت السماء ترعد وترعد رعدا ورعودا وأرعدت: صوتت للإمطار.

سحابة رعادة: كثيرة الرعد.

أرعدنا: سمعنا الرعد، رعدنا: أصابنا الرعد.

الرعد: ملك من الملائكة كما يزعم الفقهاء.

رعدت المرأة: تحسنت وتعرضت ورعد بالقول يرعد رعدا، وأرعد: تهدد وأوعد.

يقول:

فمن صَوْتِ رَعْدٍ يسوقُ السحابَ ... كما يسمعُ الفَحْلُ شَوْلاً رغاء[2]

(المتقارب)

ويقول:

سَقَى اللهُ مِنْهُ الحمى عارضاً ... يُقَهْقِهُ ضاحكُهُ بالرُّعُودِ[3]

(المتقارب)

وقد استخدم اللفظ على الشبيه فيقول في وصف الجيد:

نَقْعُهُ كالغَيْمِ ملتفّاً على ... صَعِقَاتٍ مِنْ بُروقٍ ورُعودٍ[4]

(الرمل)

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 3.

(2) المصدر نفسه: ص 116.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 157.

(4) المصدر نفسه: ص 175.

ويقول:

وإنْ جادَ كانَ الجودُ مِنْهُ مهناً ... كغَيثٍ هَمَى ما فيه بَرْقٌ ولا رَعْدٌ(1)

(الطويل)

ويقول مشبها مقارعة السيوف بالرعد:

وَمِنَ البُروقِ عَلَى الرؤوسِ لِوَقْعِهَا ... رعدُ يَصُوبُ مِنَ الدماءِ بِوابِلِ(2)

(الكامل)

والرعد من الظواهر الجوية التي احتفل بذكرها ابن حمديس في شعره، إلا أن ذكرها في الديوان لا يشكل ثلث ذكر الشاعر للبرق على الرغم من أن البرق والرعد اعتدنا على رؤيتهما متعاقبين في السماء. ولعل هذا يدل على أن ذكر الشاعر لهما لم يعتمد على الدلالة الحقيقة لهما، بل إن الشاعر قد استثمرها في أشعاره وموظفاً ما يحملان من دلالات معنوية ومادية، سلبية وإيجابية حتى يستطيع أن يستكمل بناء صورة التي نسجها من خيال الرائع ويصقل من خلالها إبداعه.

وقد جاء ذكر الرعد مقارنة بذكر البرق في مواقع قليلة في الديوان، والفرق بين ذكر كل منهما أن الشاعر قد أفرد ذكر البرق في مقطوعة مستقلة، أما ذكر الرعد فقد جاء في قصائد مختلفة الأغراض ولم يفرد لها الشاعر قصيدة أو مقطوعة.

ومن المعاني الجديدة المبتكرة لدلالة ذكر الرعد عند شاعرنا قوله في وصف الأسد:

يُصَلْصِلُ رَعْدٌ مِنْ عَظِيمِ زَئِيرِهِ ... وَيلْمَعُ برقٌ مِنْ حَمَاليقهِ الحمر(3)

(الطويل)

فالشاعر يوظف الرعد دلالة على قوة زئير الأسد وكأن السماء عندما تسمع زئيره تهيأ لنزول المطر وهذا يبشر بالخير.

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 382.

(2) المصدر نفسه:.ص550.

(3) بن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 355.

ومن الصور الجميلة التي يذكرها الشاعر للرعد، صورة يجعل فيها الرعد حزينـــاً باكيـــاً يصرخ وقد تكررت هذه الصورة في مراثي ابن حمديس، حيث نرى أن الرعد يــصرخ حزينـــاً على فراق من يرثيه الشاعر. وكأن الدنيا كلها تستجيب لحزن الشاعر فتحزن يقول في قــصيدة يرثي بها القائد أحمد بن إبراهيم:

وتولّتْ عِنْدَ التَنــاهي افْتِراقاً — وَمَضى ربّهُ الوفيّ الوَصُول

اسْمَعَ الرعدُ فيه صرخةَ حُزْنٍ — ملءُ ليلِ الحزينِ فيهِ أَليْلُ(1)

(الخفيف)

ريح، رياح(2):

ريح: الأريح: الواسع من كل شيء، والأريحي: الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف.

الرياح: بالفتح: هي الخمر وكل خمر رياح وراح.

يوم راح: شديد الريح، وراح يروح ريحا: اشتدت ريحه.

ريح القوم: دخلوا في الريح.

راحت الريح الشيء: أصابته.

وعضن مريح ومروح: أصابته الريح.

وقد استخدم ابن حمد يس هذه اللفظة عشرات المرات ما بين ريح ورياح.ويقول:

وَرِيحٍ خَفِيفَةِ رَوْح النّسِيمِ — أطّتْ بلَيْلاً وَهَبّتْ رُخاء(3)

(المتقارب)

ويقول:

ويا ريحُ إمّا مَرَيْت الحيا — وَرَوّيْتِ مِنْهُ الربوعَ الظمآء

(المتقارب)

ويقول:

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص399.

(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج5، ص 356.

(3) المصدر نفسه: ص 90.

كأنّ مَفْتُوتَ عَبيرٍ بِها | مُطَيّبٌ مِنْهُ هُبُوبُ الريّاح(1)
(السريع)

ويقول:

كَأنّها والريّحُ تَهفُو بَهَا | قلوبُ أعدائِكَ يَومَ الكِفاحَ(2)
(السريع)

والريح والرياح وريحاً وريحه وريح، كلها ألفاظ استخدمها ابن حمديس في قصائده في مختلف أغراضه، لذا فقد حملت دلالات مختلفة من غرض إلى آخر، ومن موقع إلى موقع، فجاءت تحمل معاني الخير والبشارة، كما حملت معاني القوة والقسوة في مواقع أخرى. معاني القوة الدالة على الخير والعطاء من جهة ومعاني القوة الدالة على البشر من جهة أخرى، وخاصة في قصائده التي يذكرها فيها صقلية والدفاع عنها في وجه النورمان.

فالريح والتي ترمز إلى القوة والقسوة، وتحمل دلالة الحزن والشر، ومن ذلك ذكرها في قصيدة يرثى بها الشاعر القائد عبد الغني ابن القائد عبد العزيز الصقلي وفي ذلك يقول:

أيّ رزءٍ جاءتْ بِهِ الرّيحُ في الماءِ | وأفْشَتْهُ مِنْ لسانِ النعيّ
ومُصَابٍ أَصابَ كلّ فؤادٍ | في ابنِ عبدِ العزيزِ عبدِ الغني(3)
(الخفيف)

ولكنّ الريح يحمل دلالة إيجابية في مقطوعة يصف بها الشاعر سحابة. شبهها بالمرأة التي تحمل في بطنها جنيناً دلالة على وجود الماء فيها يقول:

وَسَرتْ بها الرَّيحُ الشمالُ فَكَمْ يدٍ | كانتْ لَهَا عندَ الرّياض يمينا(4)
(الكامل)

وقد وردت الريح والرياح في الديوان في أكثر من ستين موقعاً

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان:. ص 527
(2) المصدر نفسه: ص 490.
(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج6، ص 136.
(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 527.

ومُصَـــــابٍ أَصــــــابَ كلّ فـــؤادٍ   في ابنِ عبدِ العزيزِ عبدِ الغني[1]

(الخفيف)

ولكنّ الريح يحمل دلالة إيجابية في مقطوعة يصف بها الشاعر سحابة. شبهها بالمرأة التي تحمل في بطنها جنيناً دلالة على وجود الماء فيها يقول:

وَسَرتْ بها الرِّيحُ الشمالُ فَكَمْ يدٍ   كانتْ لَهَا عندَ الرّياض يمينا[2]

(الكامل)

وقد وردت الريح والرياح في الديوان في أكثر من ستين موقعاً

السباسب[3]:

سبسب: إذا قطع رحمه

والسب: القطع، سبه سبا: قطعه قطعا، والتساب: التقاطع.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة في بضعة مواقع، وقصد بها المشي لمسافات طويلـــة فـــي الصحراء.

يقول:

أذلكَ خيرٌ أمْ تَعَسُّفُ سَبْسَبٍ   يُعَقّلُ أَخْفَافَ النّجائبِ عاتكة[4]

(الطويل)

قصد بالسبسب: الصحراء.

ويقول:

لَها شِرّةٌ لا تُبَالي بِها   أَطَالَ لَها سَبْسَبٌ أمْ عَرَضُ

(المتقارب)

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 490.

(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج6، ص:136

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان:. ص 341.

(4) ابن حمديس، الديوان، ص: 292

وقصد بالسبسب الصحراء الممتدة الواسعة.

السَّحَاب، سَحَابة، سُحُب[1]:

السحابة: الغيم والسحابة: التي يكون عنها المطر سميت بذلك لانسحابها في الهواء والجمع سحائب وسحاب وسحب، وخليق أن يكون سحب جمع سحاب الذي هو جمع سحابة.

سحابة اليوم: طول اليوم.

تسحب عليه: أدل عليه

تسحب في حقه: اغتصبه وأضافه إلى حقه وأرضه

يقول:

فمن صَوْتِ رَعْدٍ يَسوقُ السَّحابَ   كما يسمعُ الفحْل َشوْلا رغاء[2]

(المتقارب)

ويقول:

فَسوقي إليّ جهامَ السَّحابِ   لأملأهنّ مِنَ الدّمْعِ ماء[3]

(المتقارب)

ويقول:

وَجِسْمٍ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ رُوحُ لِذّةٍ   سليلِ ضروعٍ أُرْضِعتْ حَلَبَ السُّحبِ[4]

(الطويل)

ويقول:

ويا ربّ نَبْتٍ تعتريهِ مَرَارَةٌ   وقد كان يُسْقَى عذبَ ماءِ السَّحائِبِ[5]

(الطويل)

ويستخدم اللفظ على التشبيه:

---

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج6، ص 185

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 3.

(3) المصدر نفسه: ص 4.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 19

(5) المصدر نفسه: ص 29.

في سريرِ الملكِ منْهُ قَمَرٌ   يُجْتْلَي يَوْم العَطَايا بالسُّحبِ[1]

(الرمل)

ويستخدم اللفظ بمعنى اغتصبيه:

إذ العَيْشُ يَجْرِي في الحياةِ نَعِيمُهُ   وَذَيْلُ الشَّبابِ الغضّ أرْكضَهُ سَحْبا[2]

(الطويل)

واستأثرت الظواهر الجوية بعامة بنصيب وافر في ديوان شاعرنا فكان لها حضور أضفى بظلال وارفة شغلت حيزاً من إحساسه وخياله، فأبدع في وصفها وتأنق في استقــصاء جمالهــا وسحرها في الطبيعة ومنها وصف السحاب وفي ذلك يقول:

ومُديمة لَمْـــعَ البــــروقِ كأنّما   هَزّت من البيضِ الصِّفاح مُتونا
وَسَرتْ بها الرّيحُ الشَّمالُ فَكَمْ يدٍ   كانتْ لَهَـــا عِنْد الرِّيَـــاضِ يَمينَا
صَرَخَتْ بِصَوْتِ الرّعْدِ صَرْخةَ حَاملٍ   مَلَأَتْ بِهَا اللــــيلَ البَهيمَ أنيْنَا
حتّى إذا ضَاقَتْ بمضــمر حَمْــلِها   ألْقَتْ بحجرِ الأرضِ منْه جنينا
قطــراً تَنَــاثَرَ حَبُّــهُ فلــوْ أنَّــهُ   دُرٌّ تُــنَــظَّــمُهُ لكانَ ثَــمِــيــنَا
وكأنَّما عُمْي الرّياضِ بِدَمْــعِــهِ   كُسِــيَتْ من الزِّهرِ الأنيقِ عُيُونا[3]

(الكامل)

فقد بدأ الشاعر هذه المقطوعة بدأ مشرقاً تحس فيه بأنه استقبل هذه السحابة بــنفس هادئــة مطمئنة لا أثر فيها لخوف أو لحزن، وفجأة يعلن الشاعر عن مشاعره، وكأني به يغالب هماً قبل ذلك أو يعاني ألماً، فحاول أن يخفيه هنا خلف لمعان البرق واهتــزاز الــسيف الــذي لا ينتهــي ومسرى النسيم ونفح الرياض بأطيابها، وعندما تهيأن استرسل في ذلك وكأنه يحــاول اســتغلال القارئ ليبادله ابتسامة بابتسامة يفاجئه بصرخة ملؤها الضيق والحزن والدموع. لذا شبه السحابة بالمرأة الحامل التي أقض مضجعها الحمل فضاقت به فألقته في حجر الأرض ليتفجــر زهــوراً ورياضاً[4].

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 47.

(2) المصدر نفسه: ص.51.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 490 – 491.

(4) أنظر، شلبي، سعد اسماعيل: ابن حمديس الصقلي شاعراً،.ص 84..

وقد جاء وصف السحاب في الديوان مختلفاً بين الأفراد والجمع وبين التعريف والتنكيــر، وقد تراوح تعريفه بين أن يكون معرفاً بأل التعريف أو أن يكون مــضافاً إلـــى ضـــمير وكـــأن الشاعر يفرق بين السحاب الذي يغطي السماء وبين سحاب آخر يرتبط بموصـــوفه أو ممدوحـــه وغالباً ما يحمل الدلالة الإيجابية ويقصد به الشاعر العطاء، وقد تكرر هذا في قصائد المدح أكثر من أي غرض آخر. قد وردت لفظ السحب والسحاب أكثر من ثلاثين مرة في صفحات الديوان. وظفها الشاعر في أغراضه وقد جمع بين المعاني التقليدية لها وبين معاني مبتكرة موله كان لها أثر في أضفاء معاني جديدة فيما وردت من نصوص.

ومن المعاني التي جاءت السحب تدل عليها العطاء والسخاء ومن ذلك ما ورد في قـــصيدة يمدح فيها الأمير يحي بن تميم:

مَلِكٌ عَنْ ثُـــــغْرِةِ الدِّيـــنِ اتّقَى ... وَرَمَى الأعداءَ بالجَيْشِ اللجب

في سَرِيرِ الملكِ مِنْه قَمَرٌ ... يُجْتَلى يَوْمَ العَطَايا بالسُّـــــحب[1]

(الرمل)

فالشاعر يربط بين السحب التي ملأها الماء وبين ملك الممدوح الذي أصبح العطاء لـــه عنوان يعرف به.

الصّبا[2]:

الصّبا: ريح معروفة تقابل الدبور وفي الصحاح: الصبا ريح مهبها المستوى أن تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار نيحتها الدبور.

الصبا: ريح تستقبل البيت، قيل لأنها تحن إلى البيت. والجمع صبوات وأصباء. وقد صبت الريح تصبو صبوا وصبا.

صبي القوم: أصائبهم الصبا، واصبوا: دحلوا في الصبا

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 47.

(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج7، ص 284.

يقول:

إذَا الصَّبا زلقت فيه سَنَابكُها   حسبته مُنْصَلا في متنه شُطَب(1)

(البسيط)

ويقول:

وَالصَّبا في مَعَاطِفِي وكَأنّي   غُصُنٌ في يَدِ الصَّبا يَتَأوَدُ(2)

(الخفيف)

ويقول:

أمِسْكَ الصَّبا أهدتْ إلى صبّا نجدِ   وَقَدْ مُلِئَتْ أنْفاسُهُ لِيَ بِالوَجْدِ(3)

(الطويل)

الفَجْر

لقد اعتاد الشعراء على شرب الخمرة واحتسائها عند أول الصباح، ومع انبثاق أو خيط نور من أعماق الأفق، وتغنى به وقت الضحى، فنشأ عن مجالس الفجر الخمرية هذه لون طريف من ألوان الوصف، وهو ما يسمى بالفجريات، وقد تكون عوامل أخرى ساعدت في ذلك، غير الصبوح والتي أصبحت فيما بعد اسماً من أسماء الخمر، وقد ازدهر هذا الفن واتسع إلى حد كبير بين الشعراء وخاصة شعراء اشبيلية وكثر القول فيه عند الحديث عن خمرياتهم التي عجّت بها اشعارهم.

ولشاعرنا نماذج رائعة يصف فيها الفجر وشربه للخمر صباحاً يقول:

وَلَيْلٍ رَسَبنْا في عُبابِ ظَلامِهِ   إلى أن طَفَا للصبحِ في أُفْقِهِ نجمُ

كأنَّ انْصداعَ الفَجْرِ نَارٌ يُرُى لَها   وراء حجابٍ حالك نَفَسٌ يَسْمُو

وتَحْسَبُهُ طِفْلاً من الرّومِ طَرَقّتْ   بِهِ منْ بَنَاتِ الزّنْجِ قائمةً أمٌّ

أأُعْلِمَ في أَحْشَائِهَا أنّ عُمْرَهُ   لَدَى وَضْعِهِ يومٌ فَشَيّبَهَ الوهم(4)

(الطويل)

---

(1) ابن حمديس، الديوان: ص 25.

(2) المصدر نفسه: ص 149

(3) السعيد، محمد مجيد: الشعر في ظل بني عباد. ط1، مطبعة النعمان، النجف الاشرف. 1972. ص 121.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 406.

فهذه الأبيات تدل على عمق إحساس شاعرنا بالفجر وتحسسه لجماله وهدوئه وروعتـــه، لذا اختاروه وقتا مناسباً لشرب الخمر، ولعله ما يلزمها أو أنه طقس من طقـــوس شـــربها، لـــذا فالشاعر يذكر ويبدع في وصفه، بل إنه برع في ذلك فجاء بصورة غاية في الروعـــة والبهـــاء، فهو ينتظر بزوغ نجمة على أحر من الجمر، كما صور ظهور الفجر وكأنه نار تـــشتعل معلنـــة وقت اللهو فهو يقول في قصيدة أخرى:

شَرِبْنا وللأصْباحِ في الليلِ غُرّةٌ تَزيدُ انْدياحاً بَيْنَ شَرْقٍ إلى غَرْبِ
على رَوْضَةٍ تَحْيا بِحَـــيّةَ جَدْوَلٍ يَفِئ عَلَيْهِ وظلّ أجْنِـــحةِ القضب
بِأَزْهَرَ يَحْلو اللهوُ فِيهُا عرائساً كراسيّها أيدي الكِرامِ من الشَّـــرب[1]

(الطويل)

الليل والنهار:

لقد وظف ابن حمديس ذكر الليل والنهار بصور متعددة ومختلفة، إلا أن الدلالـــة القديمـــة الجديدة لهما لم تتغير في شعره، وإن جاء على صورة أجمل وأبهى من ذكرهـــا قـــديماً، فالليـــل يرمز إلى الخوف والظلم والظلام والأعداء، والنهار يرمز إلـــى النـــور والـــضياء والإشـــراق والحرية. وقد جاء وصف الليل ذكره ليدل على الأعداء الذين احتلوا صقلية، حتـــى أن مجيـــئ الليل طالما ذكر الشاعر بذلك أنظر إليه يقول في بيتين كان يصف بهما ثريا السماء.

وَلَيْلٍ كأنّي أجْتَلِي منْ نجومه حريقَ ذُبالٍ أو بريقَ نصَالِ
أشيمُ الثريّا فيهِ طالـــعةً كمَا ثَنَيْتَ نِظَاماً فيهِ سِـــبْعُ لآلِ[2]

(الطويل)

ففي البيتين السابقين يوظف الشاعر الطبيعة ومظاهرهـــا ليـــذكر الحـــرب ومعانيهـــا، فالحرب والثأر ذات تأثير عاطفي عليه، فوجدت هذه المعارك طريقها إلى أدبه بصفة عامة وإلى وصفه بصفة خاصة وزحفت المعاني الحربية إلى المناظر الطبيعية.

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 19.

(2) الابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 360.

كما نشاهد الشاعر دائما يصور الليل والنهار على هيئة متحاربين وكأنه يصور بـــذلك المعنـــى الذي عناه في قوله:

إنّ سَالَمَتْ وَهْيَ لا تُسَـــالِمْنَا أيّامُنَا حارَبَتْ لَـــــياليِها[(1)]

(المنسرح)

النَّسيم[(2)]:

نسم: النسم، والنسمة: نفس الروح. وما بها نسمه أي نفس والنسم والنسيم: نفس الريح إذا كـــان ضعيفا، وقيل النسيم من الرياح التي يجيء منها نفس ضعيف، والجمع منها أنسام.

أنسامها: روائح عرقها. ويقول لها ريح طيبة، والنسيم: الريح الطيبة.

يقال نسمت الريح نسيما ونسمانا، وتنسم النسيم: تشممه.

النسمة: الربو

ونسيم الريح: أولها حين تقبل قبل أن تشتد.

المنسم: طرق خف البعير والنعامة والفيل والحافر.

نسم: ضرب

يقول:

وَريحٍ حفيفةٍ رَوْحِ النسيمِ أطّتْ بِليلٍ وهبّتْ رُخاء[(3)]

(المتقارب)

ويقول:

تناولْتُها ونسيمُ الريّاضِ ذكيّ النّسيمِ عَلِيلُ الهُبُوبِ[(4)]

(المتقارب)

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 517.

(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج14، ص 129.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 3.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 13.

ويقول مشبها المطر الفواح بالنسيم:

رَيْحَانَةٌ في لطيفِ الروحِ قَدْ غُرِسَتْ   لَهَا النسيمُ الذي تُحْيي بِهِ النَّسما[1]

(البسيط)

وقد ورد ذكره في الديوان في أكثر من ثمانية عشر موقعاً بذات اللفظ اختلفت بين التعريف والتنكير والإضافة، وقد برع الشاعر في توظيف النسيم في شعره. حيث استطاع أن يحمله دلالات معنوية جميلة، فتارة يذكره على حقيقته ليكون عاملاً مهماً في تلطيف الجو، وتارة يجعله يبشر بالرخاء والاسترخاء والسعادة، وتارة يكون معتلاً يحمل بين طياته ريح الأعداء الذين جعلوا هذا النسيم عليلاً بأنفاسهم المريضة العفنة فكان يصاب بالمرض، وهي إشارة إلى قدوم الأعداء على الديار وغزوها وهذا واضح في توظيف الشاعر لمعنى النسيم، يقول:

كَأَنّهمُ شَياطِينٌ ولكنْ   رَمَيْتَهُمُ بِمحْرَقَةِ النُّجُومِ
علُوجٌ قُمْصُ حَرْبِهمُ حَدِيدٌ   يُعبِّرُ عنهمُ سَهَكُ النَّسيمِ[2]

(الوافر)

فقد حمل ذكر النسيم هنا دلالة سلبية محزنة للشاعر إلا أن ذكره جاء بصورة جميلة مولدة ومبتكرة، أوصل الشاعر من خلالها إحساسه بالألم من جهة وأن الطبيعة بكل ما فيها تشاركه هذا الحزن والألم. ولعل هذا يواسيه ويعزيه ويخفف عنه قسوة الاغتراب وشدة الحنين إلى الوطن.

ومن الصور الإيجابية أن يجعل الشاعر النسيم وسيلة يعتمد عليها ليفخر بالممدوح. فالنسيم كفيل بنقل كرم الممدوح وسخائه والحديث عن عطائه إلى مختلف أرجاء الدنيا وفي ذلك يقول:

عَدَلَتْ بَعْدَ سيرةِ الجورِ لمّا   نَرْجَسَ المزجُ لونَها الجُلنّاريّ
وَحَكَى نَشْرَها النَّسيمُ ولكنْ   بَعْدَما نامَ في حُجُورِ البَهارِ[3]

(الخفيف)

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 470.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 438.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 228.

الهَواء[1]:

هوا: الهواء:ممدود: الجو ما بين السماء والأرض، والجمع الأهوية، وأهـــل الأهـــواء واحـــدها هوى، وكل فارغ هواء

والهواء: الجبان لأنه لا قلب له، فكأنه فارغ.

هواء: فارغ، لا يعقل،لا عقل له.

الهواء: كل فرجة بين شيئين، كما بين أسفل البيت إلى أعلاه

يقول:

لا يُمَلّ الحديثُ مِنْها مُعَادا　　　كانْتِشاقِ الهواءِ لَيْسَ يُمَلّ[2]

(الخفيف)

ويقول:

ولا تَعْجَبِي فَمَغْنَاي الهوى　　　يُطَيّب طيبُ ثَرَاها الهَوَاءَ[3]

(المتقارب)

د- التضاريس:

1. أَدِيم[4]:

أديم كل شيء: ظاهر جلده، وأدمة الأرض: وجهها؛ قال الجوهري: ربما سمي وجهـــة الأرض أديمها.

ورجل مؤدم: أي محبوب، ورجل مودم مبشر: حاذق مجرب، قد جمع لينا وشدة مـــع المعرفـــة بالأمور، وأصله من أدمة الجلد وبشرته، فالبشرة ظاهرة، وهو منبت الشعر. والأدمـــة: باطنـــه

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج15، ص 66.
(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان:ص 353.
(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 4.
(4) بن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج1، ص 96.

وهو الذي يلي اللحم، فالذي يراد منه أنه قد جمع لين الأدمة وخشونة البشرة وجـرب الأمـور، أديم النهار: بياضه وقيل أديم النهار عامته، أديم السماء: ما ظهر منها.

فلان برئ الأديم مما يلطخ به، الأدمة: السمرة.

لم يستخدم ابن حمديس هذه اللفظة على اختلاف معانيها وتعددها سوى مرة واحدة، وقـد قـصد بالأديم وجه الأرض يقول:

فَثَوْبُ الجَوِّ مُغْبّر الحَواشي وَوَجْهُ الأَرْضِ مُحمرّ الأَدِيمِ(1)

(الوافر)

البَيْداء(2):

البيداء: الفلاة، والبيداء: المفازة المستوية يجري فيها الخيل، وقيل مفازة لا شيء فيها، ابن جني، سميت كذلك تبيد من يحلها، ابن شميل: البيداء المكان المستوي المشرف، قليلة الشجر جـرداء، البيداء: الصحراء، لأنها تبيد سالكها والإبادة الإهلاك والجمع بيد، كسره تكسير صفات لأنه فـي الأصل صفة، او لو كسروه تكسير اسماء فقيل بيدوات لكان قياسا.

ولم ترد لفظة بيداء سوى بضع مرات في ديوان ابن حمديس، وقـد اسـتخدمها علـى معناهـا الحقيقي، يقول:

يَحُثّونَ لِلْهيْجَاءِ جُرْدَاً سلاهِبَاً وَيُنْضُونَ في البَيْدَاءِ بُزلا صَلادِماً(3)

(الخفيف)

وقد جاءت الكلمة معرفة في أماكن ذكرها وهذا يدل على أن الشاعر قصد منها معناها الحقيقي.

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 438.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 458/1.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 426.

الجَبَل، الجبال[1]:

جبل: الجبل: اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال من الأعلام والأطــود والــشناحيب، وأما ما صغر وانفرد فهو من القنان والقور والأكم، والجمع أجبل وأجبال وجبال.

الجبل: المجد والشرف.

جبلة الجبل وجبلته: تأسيس خلقته التي جهل وخلق عليها.

الجبل: سيد القوم، وابنة الجبل الحية، لأن الجبل مأواها.

ابنة الجبل: الصدى والرجل الإمعة المتابع الذي لا رأي له والداهية.

وابنة الجبل: القوس

جبل: خلف وجبله على الشيء طبعه عليه

والجبل: الضخم

يقول:

ما قَرَّبي السَيْرُ فِي سَهْلٍ ولا جَبَلٍ إلّا كَمَا قَرَّ جاري الماءِ في صَبَبِ[2]

(البسيط)

وقصد بالجبل: وتد من أوتاد الأرض

ويقول وقد قصد بالجبل سيد القوم:

تَبَرّكَتِ الأَيدي بتسويةِ الثَّرَى على جَبَلٍ راسي الأناةِ على هَضْبِ[3]

(الطويل)

ويقول مشبها السفن بالجبال:

---

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج2، ص 169.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 17.

(3) المصدر نفسه: ص 36.

جِبَالُ طَفَتْ فَوْقَ المياهِ وغُيّضَتْ   بسمرِ القَنا والمرهفاتِ عَلضى الاسْدِ[1]

(الطويل)

ويقول:

عَزَاءٌ جَمِيلٌ في المصابِ فإنَّكم   جِبَالٌ حلومٍ بَلْ طَوالعُ أَنْجُمِ[2]

(الطويل)

وقصد بالجبال هنا: المجد والشرف.

السَهْل[3]:

السهل: تراب كالرمل يجيء به الماء، وأرض سهلة: كثيرة السهلة، فإذا قلت سهلة فهي نقــيض حزنه

يقال لرمل البحر: السهلة بكسر السين

السهل: رمل خشن ليس بالدقاق الناعم.

السهل: الغراب.

السهل من الارض: نقيض الحزن، وهو من الاسماء التي أجريت مجــرى الظــروف، والجمــع سهول.

ولم يذكر ابن حمديس هذه اللفظة سوى مرتين.

يقول:

خُلُقي مطيّةُ خُلْقِهَا وَهُمَا   سَهْلٌ يَديرُ عِنَانَهُ وَعْرٌ[4]

(الكامل)

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 153.

(2) المصدر نفسه: ص 485.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج6، ص 412

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 200.

ويقول:

وَفي كلّ سَيْفٍ سايرت منهم العدى قَبائِلُ منها أَشْبِعَ السهلُ والوعرُ[1]

(الطويل)

الصَّخْرْ[2]:

صخر: الصخرة: الحجر العظيم الصلب، والجمع صخر، وصخر وصخور وصخورة وصـــخرة وصخرة وصخرات.

وقد ذكر ابن حمديس هذه اللفظة بضع مرات.

يقول:

يُذيبُ صَمَّ الصخر حَرٌّ لاذعٌ يقبضُ فيه روحَ كلّ زَعْزَعِ[3]

(الرجز)

ويقول:

لِيَ قَلْبٌ مِنْ جَلْمَدِ الصَّخْرِ أَقْسى وهو مِنْ رِقَّةِ النّسيمِ أرَقُّ[4]

(الخفيف)

الفَلَاة[5]:

فلاة: فلا، فلا الرجل: إذا سافر، وفلا إذا عقل بعد جهل. وفلا إذا قطع.

فليت الشعر: إذا تدبرته واستخرجت معانيه وغريبه، وفلوت القوم:تخللتهم.

يقال: فليت الرجل فليا في عقله وأفليه إذا نظرت ما عقله.

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 257.

(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج7، ص 295.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان:ص 301.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 321.

(5) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج10، ص 330.

والفلاة: المفازة، والفلاة القفر من الارض،لأنها فليت من كل خير أي فطمت وعزلـــت، وقيـــل: هي التي لا ماء فيها، وقيل: هي الصحراء الواسعة والجمع فلا وفلوات وفلي وفلى.

والفلاة: التي لا ماء فيها ولا أنيس.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة في بضعة عشر موقعا، منها ما جاء على صـــيغة الجمـــع، ومنها ما جاء على صيغة المفرد.

يقول:

أَبنْتُ الجَديل القاطعِ البيد جدّ لي سَبَاسِبَ مِنْ غَوْلِ الفَلا وظرابا(1)

(الطويل)

ويقول:

مِنْ كُلِّ مُخْتَصرِ الفلاةِ بِمُعْجلٍ فَكَأنَّها ايجازُ لَفْظِ أديب(2)

(الكامل)

ويقول:

وَلَقَدْ سريتُ بفتيةٍ قَطَعَوا الفلا بعزائمٍ مثلِ الصَّوارِمِ سُلّت(3)

(الكامل)

ويقول:

كَمْ مِنْ فلاةٍ جُبْتَها بِنَجيبَةٍ عَنْ منسمٍ دامٍ وخَطْمٍ مزبدٍ(4)

(الكامل)

القَفْر(5):

القفر والقفرة: الخلاء من الأرض، وجمعه قفار وقفور.

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان:. ص 55.

(2) المصدر نفسه: ص 60.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 70.

(4) المصدر نفسه: ص 168.

(5) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج11، ص 253.

يقال: أرض قفر، وأرضون قفر، ومفازة قفر وقفرة.

والقفر: مفازة لا نبات فيها ولا ماء. وقالوا: أرض مقفاز. وأقفر الرجل صار إلى القفر، وأقفرنـــا كذلك، وذئب قفر: منسوب إلى القفر، كرجل نهر، وقد أقفر المكان وأقفر الرجل من أهله: خـــلا وأقفر ذهب إلى طعامه وجاع، قفر ماله: قلّ

القفار: الخبر بلا أُدْم، والقفار: الطعام بلا أدم.

القِفرة من النساء: قليلة اللحمة.

يقول:

هوَ المَلِكُ الذي اضْطَربتْ إليهِ بِقُصّدِه الخضارمُ والقفار[1]

(الوافر)

ويقول:

ومِنْ سُفُنِ القَفْرِ سَبّاحةٌ من الآلِ بَحْراً إذا ما اعْتَرَض[2]

(المتقارب)

ويقول:

وَكُنْتُ كصادٍ خالَ رِيّا بِقَفْرةٍ وقَدْ غِيضَ فِيهَا الماءُ واطّردَ الآل[3]

(الطويل)

ويقول:

تَرَكَتْ ثعابينُ القِفَارِ شِعَابَها وأُسودُها الآجامُ والاغيالا[4]

(الكامل)

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 237.

(2) المصدر نفسه: ص 292.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 354.

(4)المصدر نفسه: ص:390.

هِضَاب[1]:

هضب: الهضبة: كل جبل خلق من صخرة واحدة، وقيل: كل صخرة راسية صُلبة، ضخمة: هضبة، وقيل الهضبة والهضب الجبل المنبسط ينبسط على الأرض وفي التهذيب الهضبة، وقيل: هو الجبل الطويل الممتنع، المنفرد، ولا تكون في حُمْر الجبال والجمع هضاب، والجمع هَضْبُ، وهَضبٌ، وهضاب.

الهضبة: المطرة الدائمة، العظيمة القطر. وقيل: الدُّفعة منه والجمع هِضب. الهَضب: الرجل كثير الكلام. الهضب: الضخم من الضباب.

يقول:

تَبَرَّكَتِ الأيدي بِتَسْوِيةِ الثَّرى   على جَبَلٍ راسِي الأناةِ على هَضْبِ[2]

(الطويل)

ويقول:

غطارفة مثل الجبال حلومهم   تكون لهم شم الجبال هضابا[3]

(الطويل)

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج15، ص 97.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 36.

(3) المصدر نفسه ص 55.

الفصل الثالث

ألفاظ الطبيعة الحية

الأَسَدَ(1):

من السباع معروف، والجمع آساد وآسُد، مثل أجبال وأجبل، وأسود وأُسُد، مقصور مثقل، وأسْد، محفف، وأسدانٌ، والأنثى أسَده وأسَدٌ آسد على المبالغة، كما قالوا عَرادٌ، عن ابن الأعرابي وأسدٌ بيّنُ الأسد نادر كقولهم حِقَّه بيّن الحقَّة. وأرض مأسَدة كثيرة الأسود، والمأسدة له موضعان: يقال الأسد مأسدة ويقال لجمع الأيَد مأسدة أيضاً، كما يقال مشيخة لجمع الشيخ ومَسْيَفة للسيوف ومَجَنَّة للجن ومَضَبَة للضباب.

وأسِدَ الرجلُ: استأسد صار كالأسد في جراءته وأخلاقة، وقيل لامرأة من العرب أيَّ الرِّجال زوجك؟ قالت: الذي إن خرج أسِدَ وإن دخل فهدْ، ولا يسأل عما عهدَ.

يقول ابن حمديس واصفاً تميم ابن يحيى بالأسد الذي يضع فوق رأسه تاج:

وَيمينُ ابنِ تَميمٍ علَّمتْ ... صنعةَ المعروفِ أيْمَانَ الشّحاح
مَلِكٌ في البهو منه أسَدٌ ... يَضَعُ التاجَ على البَدْرِ الليّاح(2)

(الرمل)

الشِّبْل، أشْبَال(3):

شبل: الشبل: ولد الأسد إذا أدرك الصيد، والجمع أشبال وأشبل وشبول وشبال.

ولبوءة مشبل: معها أولاد.

وقد استخدم ابن حمديس هذا اللفظ بضع مرات.

يقول:

ورثَ العزّ مِنْ أبيهِ كشبلٍ ... أَخَذَ الفَتْكَ عَنْ أبيه الأبيّ(4)

(الخفيف)

---

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، ج1، ص 139.
(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 96.
(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، 7،ص 22.
(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 527.

ويقول:

لَهُم كلُ مَوْلُودٍ عَلى فِطْرَةِ الوَغَى ... تُرَاعُ بِهِ شِبْلاً أُسُودُ المَلاحِمِ[1]

(الطويل)

ويقول:

الشِّبْلُ فيهِ طِباعُ الليثِ كامِنةٌ ... وإنّما يَنْتَضِيهَا النّابُ والظفرُ[2]

(البسيط)

وقد استخدم لفظة الشبل على التشبية، حيث كان يشبه ممدوحه بالشبل.

ضِرْغَام:

ضرغام: الضَّرغَم: والضِّرْغام، والضِّرغامة، الأسد. ورجل ضرغامة: شجاع، فإما أن يكون شُبه الأسد، وإما أن يكون ذلك أصلاً فيه وأنشد سبيويه.

فتى الناس لا يخفى عليهم مكانه ... وضرغامة إن هَمَّ بالأمر أوقعا

قال: والأسبق أنّه على التشبيه. وفحْلٌ ضرغامه، على التشبيه بالأسد. قيل لابنه الخُسِّ: أيّ الفحول أحمدُ؟ فقالت: أحرٌ ضِرغامَه شديد الزئير قليل الهدير[3].

والضَّرغَمَة والتَّضَرغُم: انتخاب الأبطال في الحرب، وضَرْغم الأبطال بعضها بعضاً في الحرب. الليث: فضرغَمت الأبطال في ضرغمتها بحيث تأتخذ في المعركة. وفي حديث قُسّ: والأسد والضرغام، هو الضاري الشديدُ المقدام من الأسود[4].

يقول ابن حمديس يمدح الأمير علي بن يحيى، ويشبه جنوده بالضراغم لشدة قوتهم وصلابتهم:

وَرَمَى العِدَى بِضَراغمٍ أَظْفَارُهَا ... ونيوبُها الأَسْيَافُ والأَرْمَاحُ[5]

(الكامل)

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 447.

(2) المصدر نفسه: ص 250.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب8. ص 55.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 55..

(5) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 104.

ويقول في قصيدة يواسي بها المعتمد مشبها إياه بالضرغام:

لَئِنْ كُنْتَ مَقْصُوراً بدارٍ عَمَرْتَها فقد يُقْصَرُ الضِّرْغَام وَهْوَ هَصُورُ[1]

(الطويل)

غَضَنْفَر:

الغضنفر: الغليظ المتغضن وأنشد: دِرْحاية كوألل غَضَنْفر.

وأُذُن غضنفره: غليظة كثيرة الشعر، وقال أبو عبيدة: أذن غَضَنْفرة: غليظة وهي التي غلُظت وكثر لحمها، وأسد غضنفر: غليظ الخَلْقِ متغضِّنة الليث: الغَضَنْفر الأسد[2].

يقول ابن حمديس يصف فرساً يمتطي صهوته فارس شجاع ويصف شجاعته الأسد المتجهم عند الإنقضاض على فريسته.

يُقدّمهُ لِلْوَغَي مِحْرَبٌ كأنَّ الغَضَنْفَرَ في نَثْلَته[3]

(المتقارب)

القَسْوَرة:

قَسَرَ: القاف والسين والراء يدل على قَهر وغَلَبه وشدة من ذلك القَسْر: الغَلبة والقَهْر، يقال: قسرته قسْراً واقتسرته اقتساراً، وتعبير قَيْسري: صُلب، والقَسْورة الأسد، لقوته وغلبته[4].

ويذكر ابن حمديس قسْورٍ بمعية الثعبان ويرى الأسد غاضباً متغضناً.

أو كلّ ثُعْبانٍ يُنَاطُ بقَسْوَرٍ بَيْنَ البنودِ كمَحْنَقَ وغَضُوب[5]

(الكامل)

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 268.

(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب10، ص 84.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان، ص 71.

(4) ابن فارس، أبو الحسن احمد بن زكريا: مقاييس اللغة، تحقيق عبد المتعم، القاهرة، مطبة البابي. 1969. ص 401.

(5) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 60.

الليث:

ليث: الليث: الشدة والقوة، ورجلٌ مِلْيَثٌ: شديد العارضة، وقيل: شديد قوي، والليّثُ: الأسد، والجمع: ليوث وإنه لبيِّن اللياثة، واللَّيثُ: الشجاع بيِّن الليوثة، قال ابن سيدة: وأراه على التشبيه، وكذلك الأليثُ[1].

يذكر ابن حمديس الليث في قصيدة يمدح فيها الأمير ابا الحسن علي بن يحيى ويشبهه بالليث الذي يصطاد أعداءه في المعركة كما يصطاد الأسد فريسته يقول:

مُقْدِم يَصْطَادُ أبْطَالَ الوغي　　　إنَّ شَبْلَ الليثِ للوحشِ صَيُودُ[2]

(الرمل)

هِزَبْر:

الهزبر: من أسماء الأسد، والهَزنْبَرُ والهَزَنبرَان: الحديد السيءَّ الخلقُ. وقال ابن السكيت: رجال هَزْبَرٌ وهزنبران أي حديد وثَّابٌ، ابن الأعرابي: ناقة هِزْبرةٌ: صُلْبَه.

وقد يقصد بالهزبر الأسد الصلب القوي البنية[3]

يقول في قصيدة ينبذ فيها الهجاء ويبتعد عنه وشبه نفسه بالأسد الذي يعوي عليه ذئب فلا يراه كفواً له.

وَعْوَعَ سِيدٌ على هِزَبْرٍ　　　فَمَا رآهُ الهِزَبْرُ كُفوْا
وَلَوْ سَطَا قَادِراً عَلَيْه　　　لم يُبقِ للطيْرِ فيهِ شِلْوا[4]

(البسيط)

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج 12، ص 373.
(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 156.
(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج15.ص 85.
(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 520.

الهَصُور[1]:

هصر: الهصر: الكسر. هصر الشيء هصره هصرا: حبذه وأماله واهتصره. والهصر: عطف الشيء الرطب كالغصن ونحوه وكسره من غير بينونة.

الهصر: أن تأخذ برأس عود فتثنيه إليك وتعطفه. والهيصر: الأسد، والهصار الأسد وأسد هصور وهصار وهيصر، وهيصار ومهصار: يكسر ويميل.

الرئبال الهصور: أي الأسد الشديد الذي يفترس ويكسر ويجمع على هواصر.

لم يتجاوز استخدام هذه اللفظة أكثر من مرتين في ابن حمديس.

يقول:

و هَصُورٌ يفرسُ القِرْنَ إذا　　　جَرّد المرهفَ فَوْقَ الأَجْرَدِ[2]

(الرمل)

ويقول:

بِمْثِلِ زأرَ الهَصُورِ جَزْلاً　　　أو كَبُغَامِ الغَزَالِ حُلوا[3]

(البسيط)

الفاظ الخيل:

لعلها أكثر الحيوانات ذكراً ووصفا في شعر ابن حمديس، فقد جاء ذكرها ممتزجا بأغراضه الشعرية الأخرى، كما أفرد لها مقطوعات قصائد مغدقاً عليها من الجمال أروعه ومن الخيال أجمله ومن الإحساس أصدقه وأقربه إلى الواقع وأكثر ما كان يرد وصف الخيل مفرداً نكرة، وكأني بالشاعر لا يعرف إلا حصاناً أو فرساً واحداً لم تنجب الطبيعة مثيلاً له ولا في أية صفة من صفاته، لما له من قيمة جمالية من جهة وقيمة مادية ومعنوية من جهة أخرى،

---

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج15، ص 82.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان. تحقيق الدكتور محمد عباس، ص 140.

(3) الابن حمديس، عبد الجبارن الديوان: ص 520.

وسنعرض الآن لنماذج مختلفة لوصف الخيل في شعر ابن حمديس وما له من أثر في شعره ونفسه يقول:

وَمُنْقَطِعٍ بِالسَبْقِ مِنْ كُلِّ حلبةٍ فتحسبه يَجْرِي إلى الرَهْنِ مُفْرَدَا
كأنّ لَهُ في أُذْنه مُقْلَةَ يَرَى بها اليوم أشْخَاصَاً تَمُرُّ بِه غداً
تُقَيَّدُ بالسَّبْقِ الأوابدُ فَوْقَهَ ولو مرَّ في آثارهن مُقَيّداً[(1)]

(الطويل)

صورة رائعة وجميلة فيها الابتكار والتجديد ممزوجاً بطيب التراث. فالشاعر يرسم لفرسه صورة متسمة بطابع الجدة والصور القائمة على القوة والشدة. فالفرس سريع الخطا فكأنه السيل الجارف، يسابق الريح وكأنه يجري مفرداً، إضافة إلى ذلك فهو ذو سمع قوي حتى بدا وكأن في أذنه مقلة يرى فيها الأشياء مستقبلاً ويرنو إليها من بعيد، وكأنه يشير إلى قوة إحساسه بما حوله. كما أنه يتمتع ببصر حاد وثاقب.

فالشاعر في هذه الصورة ينزع إلى ابتكار المعاني الجديدة حيث جعل قوة السمع وشدته بمثابة الأبصار، بالإضافة إلى البصر الحقيقي، حيث أقام فكرته على المزج بين وظائف الأعضاء والحواس منها بصورة خاصة، وهذا ما يسمى في علم البلاغة تراسل الحواس.

وفي صورة أخرى نجد الشاعر يؤكد معاني القوة والسرعة عن طريق تشبيه جواده بالطائر القوي السريع تارة بالريح التي يكون نقعها- نتيجة سرعتها- سحباً كثيفة ترشح قطرا لا غبارا يبدو لحظها الفتان من خلال البرق الذي يلمع جراء ذلك، ويضمِّن هذا صوراً جزئية ذات علاقة بهذين المعنيين الرئيسيين ويجعلها نتائج لهما ودلالة على المشبه الموصوف وهو جواد حيث يؤكد أن الطيران السريع والريح القوية التي تمثلت بهذا الجواد، وبالتالي أدت إلى تقريب المسافات، كما ذلّلت الصعوبات والعقبات كل ذلك وفوقه جمال المنظر وحسن المخبر، وقد تمثلت هذه الصورة بجزئياتها([2]) في هذه الأبيات يقول:

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 144.

2) انظر: خضر، حازم عبد الله: وصف الحيوان في الشعر الأندلسي. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد 1987. ص: 36.

وَطائِــرَةٍ يُـــذّ الخــيولُ بِسَـــبْقِهَا		وَقَدْ لَبِسَـــتْ للعينِ مِنْ فَرَسٍ خَلْقَا
إذا شِئْتُ أَلْقَتْ بي على العزبِ رِجْلَها		وَنَالتْ يَدٌ مِنْهَا بِوَثْبَتِـــها الشــرقا
لَحُــوقٌ كَأَنّــي جَاعِــلٌ مِنْ عَــدائِها		لرسْــغِ الفرا عَقْلاً وحيد المَهَا رِبْقَا
كَرِيحٍ تَــرَى مِنْ نَقْعِــها سُــحُبَاً لَــهَا		وَمِنْ رَشْحِها قطراً وَمِنْ لحْظِهَا بَرَقَا[1]

(الطويل)

فالشاعر في هذه الأبيات لا يقتصر في وصفه للفرس على تصوير سرعتها وقوتها وشدة انطلاقها على الصفات المعروفة عند غيره من الشعراء، وإنما يجعلها طائرة في جسم فرس لا تكاد العين تلمح شيئاً منها لحظة انطلاقها فهي تستجيب لأمر الفارس في سرعة مذهلة.

ليس هذا فحسب بل إن وثبة واحدة من هذا الفرس تنقله من الشرق إلى الغرب، ثم وثبة أخرى تحمله من الغرب إلى الشرق هكذا، وهذا إغراق مبالغ في وصف الخيل، لا نظن موجود عند غيره من الشعراء، ومن هنا نجد أن الخيل أكثر حيوان ظفر بعناية الشعراء ووصفهم، وهذا نابع من كثرة وصفها وافتتانهم بها[2].

وقد تجاوز ابن حمديس في وصفه للخيل الصفات الفردية إلى الصفات العامة المشتركة يضفيها على الخيل بصورة عامة دون الاقتصار على فرس أو جواد بعينه، ولعله بذلك يريد أن يتخطى الصورة التي تربط الفرس بالفارس أو الجواد، ويأتي بالصورة الشعرية التي تتحدث عن عدد من الجياد المتصفة بالصفات الكثيرة التي تمثل كل صفة فيها صفةً بارزة أو مجموعة من الصفات، يقول ابن حمديس في إحدى قصائده التي يصف فيها خيلاً، جاء وصفها ممزوجاً بمدح صاحب ميورقة:

وَكَأَنــّما اقْتَسَمَــتْ عُيونَ أَجَــادِلٍ		وشــدوقَ غربان وســـوق نَقَانِقِ
قُدْها تخبُّ بِــكُلِّ ذِمْــرٍ أبــلـــه		بخــداعِ أبْطَــالِ الوقائــعِ حــاذق
وإذا أَثْرنَ بِنَقْعِــهِنّ سَــــحَائِباً		صبّتْ على الأعداءِ صَوْبَ صَوَاعِقِ
أَصْبَحْتَ في السادات ناصرَ دَوْلَةٍ		تَصِــفُ العُــلَى عــدل مــناطــق
بَطَلاً يَطُولُ بِذِكْــرِهِ في سِــــلْمِهِ		كَصــياله بحســـامه في المــأزق

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان.:ص 329.

(2) انظر: شلبي، سعد اسماعيل: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، دار النهضة، القاهرة، 1978، ص151.

مُتَرَحِّلاً نَحْوَ المعالي ســـــاكناً   بِالجَيْــشِ في ظِــلِّ اللواءِ الخَــافِقِ[1](الكامل)

تلك أبيات من قصيدة يمدح فيها ناصر الدولة مبشر بن سليمان، ويصف خيلاً أهــديت للأميــر. فالشاعر في هذه الأبيات يمزج بين صفات الممدوح وصفات خيله باعتبارهــا الوســيلة المهمــة للحرب، والركن المعتمد عليه في تحقيق النصر على الأعداء، فالشاعر يؤكــد علــى شــجاعة الممدوح وقوته وحسن تصرفه وإدارته للمعارك حتى يتحقق له النصر ويغدو سيداً بارزاً وعلمــاً واضحاً بين أقرانه وأنداده من الأمراء والفرسان ذوي الشجاعة وقــوة البــأس وشــدة الــبطش ومضاء العزيمة.

الحيوانات الأليفة،الخيل

أبْلَق:

بلق: البَلق: بَلقُ الدابة. والبَلقُ: سواد وبياض، وكذلك البُلْقة بالضم. ابن ســيده: البَلــق والبُلقــه مصدر الأبلق ارتفاع التحجيل إلى الفخذين[2]

أَدْهَم:

دهم: الدُّهمة: السواد. والأدهم: الأسْود، يكون في الخيل والإبل وغيرهمــا، فــرس أدهــم وبعير أدهم، والعرب تقول ملوك الخيل دُهمُها، وقد إدْهامَّ، وبهِ دهمَةٌ شديدة، الجواهري: أدْهَــمَّ الفرس أدْهِمامَا أي صار أدهم وأدْهامَّ الشيء ادْهيماماً أي اسوادَّ، وادهامّ الزرع: عــلاه الــسواد ريّا. وحديقة دهماءُ مدهامة: خضراء تضرب إلى السواد من نِعمتهــا وريِّهــا. وفــي التنزيــل العزيز:" مُدْهامَّتان". أي سوداوان من شدة الخضرة من الريّ[3].

يقول ابن حمديس يصف فرساً أدهمَ فيه شعرات بيض.

أَدْهَمٌ كالظَّلامِ تُشْرِقُ فِيهِ   شَعَراتٌ مُنِيرةٌ لِلْعُيونِ

(1) ابن حمديس ، عبد الجبار، الديوان:1960. ص 331.

(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج1.، ص 487.

(3) المصدر نفسه: ج 4، ص 430.

كالذّي يخضب المشيبَ ويبقى شاهداتِ بِهنّ نفي الظُنُون[1]

(الخفيف)

جرد[2]

جرد الشيء يجرده جردا وجرده: قشره،ويروى جردوه، بالحاء المهملة وسيأتي ذكره، واسم ما جرد منه: الجرادة، وجرد الجلد يجرده جردا: نزع عنه الشعر، وكذلك جرده.

ارض جرداء: فضاء واسعة مع قلة النبت. ورجل اجرد: لا شعر له على جسده.

فرس اجرد: قصير الشعر، وقد جرد وأنجرد، وكذلك غيره من الدواب من علامات العيق والكرم، وقولهم: اجرد القوائم إنما يريدون اجرد شعر القوائم، وقيل الأجرد الذي رق شعره وقصر وهو مدح. ولم ترد هذه اللفظة في شعر ابن حمديس كثيرا.

يقول:

وَخَفَّاقةِ الراياتِ في جَوْفِ نَقْعِهَا ترى الجُرْدَ فِيهَا بالكماة تَكَدَّسُ[3]

(الطويل)

وَ مُنْجَرِدِ كالسيد يُعْمَلُ أرْضَهُ فيبني سماءً فَوْقَهُ سمكها النقّع[4]

(الطويل)

جَواد، جِياد[5].

جود: الجيد نقيض الرديء، على فيعل، واصله جَيْوَدَ.

جاد الشيء جودة وجوده أي صار جيدا، وأجدت الشيء فجاد، ورجل جواد: سخي وكذلك الأنثى بغير ماء، والجمع أجواد. وجاد الفرس أي صار جوادا، فهو جواد للذكر والأنثى من خيل جياد

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 497.
(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج2، ص 235.
(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان:. ص 279.
(4) المصدر نفسه: ص 310.
(5) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج2، ص 411.

وأجياد وأجاويد، وأجياد: جبل في مكة. أجاويد الخيل هي جمع أجواد، وأجواد جمع جواد، والجمع جياد، وقياسه جواد.

وقد كان استخدم هذه اللفظة قليلا أو نادراً نسبة إلى استخدام كلمة خيل، يقول:

متى يمنعُ الجَرْيُ الجِيَادَ مِنَ الونى　　　ففي يده بذلٌ مِنَ الجَرْيِ لا منع[1]

(الطويل)

ويقول:

ذِمْرُ حَرْبٍ، له اقْتِحَامُ هِزَبْرٍ　　　وَجَوَادٌ، لَهُ يمينُ غَمَامِ[2]

(الخفيف)

الخَيْل:

والخيل: الفرسان، وفي المحكم: جماعة، الأفراس لا واحد له من لفظة قال أبو عبيدة: واحدها خائل لأنه يختال في مشيته، قال ابن سيده:

وليس هذا بمعروفٍ. وفي التنزيل العزيز:" وأجلِب عليهم بخيلك ورجليك".

أي بفرسانك ورجَّالتك. والخيل: الخيول. وفي التنزيل العزيز:" والخيل والبغال والحمير لتركبوها" وفي الحديث: يا خيل الله اركبي، قال ابن الأثير: هذا على حذف المضاف، أراد يا فرسان خيل الله اركبي، وهذا من أحسن المجازات وألطفها، والجمع أخيال وخيول، الأول عن ابن الأعرابي، والأخير أشهر وأعرف. والخيّالة: أصحاب الخيول[3].

يقول ابن حمديس في قصيدة يمدح فيها المعتمد بعد رجوعه عن لبيط وهو حصن غرب المرية، ويصف حيله التي كانت عماد الجيش:

خُذْ في عَزَائِمك التي تركتهُمُ　　　خَبَراً مَعَ الأيامِ لا يتغيرُ

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 310.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 468.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج4، ص 266.

بالخَيْلِ تَحْتَ الليلِ يُسْرَجُ حَوْلَها   في كلّ ذَابِلَةً سِنَانٌ أزهر [1]

(الكامل)

وفي صورة جميلة يشبه فيها الكؤوس بالغيال التي تغير في الحرب:

كَأَنّ الكُؤوسَ بأيدي السّقاةِ   خُيُولٌ على الهمّ منّا مغيرة[2]

(المتقارب)

السَّلاهِبُ:

سلهب: السَّلْهَبُ: الطويل، عامة، وقيل: وهو الطويل من الرجال، وقيل، هو الطويل من الخيل والناس، الجوهري: السَّلْهَبُ من الخيل الطويل على وجه الأرض وربما جاء بالصاد، والجمع السلاهبه[3].

يقول ابن حمديس:

تَرَى السَّلاهِبُ مِنْ حَوْلَيْهِ سَاحِبَةً   ذَيْلَ العجاج عَلَى الأجْسَادِ والقَلَلِ[4]

(البسيط)

فهو يصور الخيل تدوس الجثث والقتلى وتكر على العدو.

وفي صورة أخرى يقول مستخدماً ذات اللفظة:

إذا مَا غَزَوا في الرّومِ كانَ دُخُولُهُمْ   بَطْونَ الخَلَايا في مُتُونِ السَّلاهِبِ[5]

(الطويل)

الصَّوَاهِلُ:

صَهَلَ: الصَّهْلُ: حدة الصوت مع بَحَح كالصَّحل. يقال: في صوتهِ صَهْلٌ وصَحَل، وهو بحةٌ في الصوت، والصهيل للخيل، قال الجوهري: الصَّهِيل والصُّهال صوت الفرس مثل النهيق

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان:.ص 196.

(2) المصدر نفسه: ص 184.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج6، ص 351.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 393.

(5) الابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 32.

والنُّهاق، ابن سيده: الصَّهيلُ من أصوات الخيل، صهل الفرس يَصْهَل، ويصْهلُ صهيلاً. وفرس صهّال كثير الصهيل، وفي حديث أم معْبَد: في صوته صَهَلٌ، حدة وصلابة من صهيل الخيل وهو صوتها. والصواهل جمع صاهلة، مصدر على فاعلة بمعنى الصَّهيل وهو الصوت كقولك سَمِعت رواغيَ الإبل(1).

يقول ابن حمديس ذاكر الصواهل، ليدلل على صوت الخيّول المحّمسة للقتال:

وصَواهلٍ مَثل العواسل عَدْوُها　　　أبداً لحربِ عَدوّك المحروب(2)

(الكامل)

فَرَس

الفرس: واحد الخيل، والجمع أفراس، الذكر والأنثى في ذلك سواء، ولا يقال للأنثى فيه فرسه، ابن سيده: أصله التأنيث، ونقول ثلاثة أفراس إذا أردت المذكر، والفارس صاحب الفرس على إرادة النسب، والجمع فرسان وفوارس.

فرس فلان بالضم، يفرس فروسه وفراسة إذا حذق أمر الخيل والفارس: العالم بالأمر يصير به.

وقد كان استخدام هذا اللفظ قليل جدا بل نادرا في شعر ابن حمديس

يقول:

وكُنْتُ أُعَادِيها على فَرَسِ الصبا　　　مُغيراً فَتَغْدوُ غُرّها مِنْ غَنَائِمي(3)

(الطويل)

ويقول:

وَطائِرَةٍ بُذَّ الخيولُ بِسَبْقِها　　　وَقَدْ لَبِسَتْ للعينِ مِنْ فَرَسٍ خَلْقا(4)

(الطويل)

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج7.، ص 431.
(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد:لسان العرب، ج10، ص 220.
(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 444.
(4) المصدر نفسه: ص 329.

تَقُومُ عَلَى سَاقٍ بِهِ الحربُ في العدى ومجلسُهُ في صَهْوَةِ الفَرَسِ النَّهْدِ(1)

(الطويل)

الإبل:

إن المستعرض للنصوص الشعرية الأندلسية التي ذكرت الناقة ووصفت جوانبها المختلفة. يجد أن ابن حمديس على رأس من اعتنى عناية كبيرة بهذا الوصف في نماذج شعرية مختلفة، وصف فيها الناقة بأوصاف دقيقة معبرة سواء كان ذلك بصورة مستقلة أو ذكر الناقة ممزوجاً بأغراضه الأخرى.

ففي صورة يصف فيها ابن حمديس الناقة يتحدث عن ناقة سريعة خفيفة، تشق عباب الصحراء كما تشق السفينة عباب الماء، لا يلحق بها غيرها من الإبل، فهي تنطلق سريعة كالسهم الخارج من كنانته فينفذ إلى هدفه، وكالبرق الخاطف لا تعجزها الفيافي الممتدة والقفار الموحشة، ولا يوهن من عزمها طول المسافات وترامي الأقطار. فهي ذات شأن كبير ومكانه هامة- في نفس صاحبها، بل إنها صارت عزيزة عليه محببة إلى قلبه لا يرضى بها بديلاً، ولا يستطيع التخلي عنها في أغلب أحواله، وكأنها فتاة جميلة تشاركه حياته وهمومه وترحاله وتعينه على التنقل والسفر يقول:

وَمِنْ سُفُن القَفْر سَبّاحةٌ من الآل بَحْراً إذا ما اعْتَرَضْ
لَها شِرّةٌ لا تُبَالي بِهَا أَطَالَ بِهَا سَبْسَبٌ أَمْ عَرُض
إذا خَفَقَ البَرْدُ بي خِلْتَنِي عَلَى كَوْرها طائراً يَنْتَفِضْ
وَإنْ يَعْرِضِ البَعْضُ مِنْ سَيْرِهَا تَرَ العِيسَ مِنْ خَلْفِهَا تَنْقَرِضْ
فَلَوْ عُوِّضَ المرءُ مِنْها الصِّبا لما رَضِيتْ نَفْسُه بالعِوَض
هي القوسُ أنّي لسَهْمٌ لَها أُصِيبُ بِكُلِّ فلاةٍ غَرَض
إذا انْبَسَطَتْ للسُّرى أيْأسَتْ سَنَا البرق منّي أو تَنْقَبِض
وَعَذْبُ الدموعَ دَلِيلٌ عَلَى بُكَاءِ تَبَسَّمِ بَرْقٍ وَمَض
كَأَنّي من البُعْدِ إذ شِمْتُهُ جَسَسْتُ بِعِرْقِيَ عِرْقًا نَبَض
تَرَفَّعَ نَحْوَ ربوع الحِمَى وَحَلَّ عَزَالِيَهُ وانْخَفَض
وَجَادَ على التُّرْبِ من صَوْبِهِ بِرِيِّ الصَّدى وشِفَاءِ المرض(2) (المتقارب)

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 151.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 292.

هذه قصيدة وصف بها الشاعر الناقة، إن المتأمل لهذه الأبيات يجدها قد تضمنت بالإضافة إلى الوصف والتفصيل البارز فيها، أن تصور إحساس الشاعر وحالته النفيسة عن طريق المزج بين هذه المشاعر والأحاسيس وبين أوصاف الناقة، تلك التي نقلها الشاعر إلى البرق والسنا، كما أكد معانيها وعبر عنها ببراعة، وفنية فيها الابتكار والتجديد والتوليد عن صلة ذلك كله بشخصه الذي بلغ كل ما يريد، فوصل إلى مأمنه بتلك الناقة السريعة القوية فروى ظمأه وشفى غليله، كما أبّل مما كان يجد من علة.

إن الممعن النظر في الأبيات يجد أنها خاصة بالشاعر وأحواله ولا تكاد تبعد عن الموضوع الأساسي الذي نظمت القصيدة من أجله، بل أنها لتبدو كالنتيجة المترتبة على أمور أخرى سبق أن مهد لها الشاعر. وفصّل القول في سمات ناقته وصفاتها المحمودة المرغوبة لدى كل إنسان معني بالسفر والتنقل. وهي بالتالي صلة قوية بالبيئة العربية وتأثر عميق بمعطياتها وأسسها على الرغم من بعد الديار وتنائى البلدان.

الفاظ الإبل(1):

القرم، الكوم، مطية، الشول، عيس، فحل النجيب.

ابِل:

لم يستخدم ابن حمد يس هذا اللفظ سوى مرة واحدة تقريبا واستعاض عنها بذكر صفاتها وأسمائها الأخرى.

يقول:

مُسْتَهْدَفُ الرَّبْعِ بالقصَّادِ تِقصدُهُ   في البَحْرِ بالفُلْكِ أو في البرِّ بالإبِلِ(2)

(البسيط)

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب، ج1 دار صادر، بيروت، ص 20.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 393.

الشَّوَل[1]:

شول: لم يبق في ضرعها إلا شول من لبن أي بقية.

وأشول جمع شول: والشول من النوق: التي خف لبنها وشولت الإبل: لحقت بطونها بظهورها.

وقد كان استخدامها هذه اللفظة قليلا في شعر ابن حمد يس فلم يتجاوز مرة واحدة.

يقول:

أرّقَ الأجْفَانَ رَعْدٌ صوتُهُ كهديرِ القَرْمِ في الشَّوْلِ حَفَد[2]

(الرمل)

الظَّلِيم:

الظليم: الذكر من النعام، والجمع أظلمة وظُلمان وظِلمان، قيل سمي به لأنه ذكرُ الأرض، فيُدحي في غير موضع تدحيَة، حكاه ابن دريد، قال وهذا ما لا يؤخذ. وفي حديث قُسَّ: وَمْهمــهٍ فيه ظُلمان، هو جمع ظليم. والظَّليمان: نجمان

لقد جاء ذكر الظليم في ديوان ابن حمديس قليل الورود، والظليم ذكر النعام ويــذكره ابــن حمديس مشبها الغر به وخاصة عندما يتحرك يقول:

ومزعفرٍ لونَ القَميصِ بِشُقْرَةٍ كالرّيحِ تعصفُ في التهابِ البارقِ
وَتَراه يدبرُ كالظليمِ بِردْفِهِ عُجْباً، ويُقْبِلُ كانْتِصَابِ البَاشِقِ[3]

(الكامل)

العَرَامِس: (عرمس) العرمس الصخرة، والعرمس الناقة الصلبة الشديدة، شبهت بالصخرة وقيل العرمس من الإبل الأديبة الطيّعة[4].

يقول:

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 118.

(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج8، ص 268.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 331.

(4) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج6، ص 215.

لِأَمْرٍ طَوِيلِ الهَمَّ نُزْجي العَرَامِسَا وَتَطْوِي بِنَا اخفافُهُنَّ البَسَابِسَا[1]

(الطويل)

العِيسْ:

العيسُ والعيسة: بياض يخالطه شيء من شُقْرة وقيل: هو لون أبيض مُشرَب صفاء في ظلمة خفيفة، وهي فُعلَة، على قياس الصُهية، والكُمتة لأنه ليس في الألوان فُعْله. وإنما كُسرت لتصح الياء كبيض، وجَمل أعيس وناقة عيساء وظبيُ أعيَس فيه أدمة، وكذلك الثور، وقيل العيس الإبل تضرب إلى الصفرة، رواه ابن الأعرابي وحده، وفي حديث طهفة: ترتمي بناء العيس، هي الإبل البيض مع شقرة يسيرة، وأحدها أعيَس وعيساء[2].

يقول ابن حمديس ويذكر العيس وكيف يجوب بها الصحراء:

كَمْ مِنْ فَلاةٍ جُبْتُها بِنَجيبَةٍ عَنْ مَنْسَمٍ دامٍ وخَطْمٍ مزبد

أَبْقَى الجَزِيلُ لَهَا جَمِيْلَ ثَنَائِهِ في العِيسِ مَوْصُولاً بِقَطْعِ الفَدْفَدِ[3] (البسيط)

ويقول:

حطت إليه حُداة العيس أرحلنا فالعزم صفر بمثواه من السفر[4]

الفَحْلْ: فَحْلٌ[5]:

الفحل معروف: الذكر من كل حيوان وجمعه أفحل، وفحول، وفحولة، وفحال، وفحالة، مثل الجمالة.

رجل فحيل: فحل وانه ليبيين الفحولة والفحالة والفحلة، وفحل إبله فحلا كريما: اختار لها، وافتحل لدوابه فحلا كذلك.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 274.

(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج9،. ص 497.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 168.

(4) الابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 206.

(5) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج10، ص 195.

والفحيل: فحل الإبل إذا كان كريما منجبا، وافحل: اتخذ فحلا.

ولم يستخدم ابن حمديس هذه اللفظة سوى مرة واحدة في ديوانه كله.

يقول:

تَنْجُو أَمَامَ القَدْحَ وَخْدَ نَجْيَبِةٍ فَكَأَنّه فَحْلٌ عَلَيَّها جَرْجَرا[1]

(الكامل)

القَرْم[2]:

قرم: المقرم بالتحريك: شدة الشهوة إلى اللحم.

والقرم: الفحل الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة والجمع قروم.

والقرم: هو الذي لم يمسه الحبل، والاقرم كالقرم واقرمه جعله قرما وأكرمه عن المهنة.

القرم من الرجال: السيد المعظم.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة في بضعة مواقع.

يقول:

أرّقَ الأجفانَ رعدُ صَوْتُهُ كهديرِ القَرْمِ في الشَّوْلِ حَفَد[3]

(الرمل)

المطايا، المطية[4]:

المطية: الناقة التي يركب مطاها. والمطية البعير المحمل ظهره وجمعه مطايا، يقع على الذكر والأنثى.

---

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج11، ص 131.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 182.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج13، ص 134.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 526.

والمطية واحدة المطي والمطايا، والمطي واحد، يذكر ويؤنث ولمطايا فعالي، وأصله فعائل.

والمطا: الظهر لامتداده.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة جمعا ومفردا في بضعة مواقع

يقول:

كَيْفَ تَنْجُو عَلَى مَطِيَّةِ دُنْيَا وَهْيَ تَشْحُوا بالْجَانِبِ الوحْشّي(1)
(الخفيف)

ويقول:

وَمُودِعٌ في المَطَايا لَسْعَةً حمة فَيُزْعِجُ الروحَ تَعْذِيباً مِنْ الجَسَدِ(2)
(البسيط)

ويتحدث عن الذباب الملتصق بالإبل

ويقول:

ظلمنا المَطَايا ظَلْمَ أَيامِنَا لَنَا لِكُلِّ عَلَى السَّاري بِهِ صَدْرُ حاقد(3)
(الطويل)

النجائب، النجيبة(4): (نجب) والنجيب من الإبل، والجمع النجب والنجائب، وقد تكرر في الحديث ذكر النجيب من الإبل، مفردا وجمعا، وهو القوي منها، الخفيف السريع، وناقة نجيب ونجيبة.

يقول:

كَمْ مِنْ فَلاةٍ جُبْتُهَا بِنَجِيْبةٍ عَنْ مَنْسَمٍ دامٍ وَخَطْمٍ مزبد
(الكامل)

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 134.

(2) المصدر نفسه: ص 135.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج8، ص 453.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 168.

الفاظ الغزال:

الغزال، الرئم، الظبي، المها

الرِّئْمُ[1]: (رَأَمَ) رئمة الناقة ولدها ترأمه رأما ورأمانا: عطفت عليه ولزمته، وفي التهذيب رئمانا أحبته. والرئم الخالص من الظباء، وقيل هو من ولد الظبي والجمع أرآم وقلبوا فقالو آرام والأنثى رئمة.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة في بضعة عشر موقعا.

يقول:

وكَمْ غادةٍ لا يعرفُ الرئْمُ مثلها رمتني بِسَهْمَيْ مُقْلَتَيْهَا عَلَى عَمَد[2]

(الطويل)

وقصد بالرئم الغزال.

ويقول:

فَبُغَامُ الرِّئْمِ حلاوتُهُ وجزالتُهُ زأَرُ الأَسَدِ[3]

(المنسرح)

الرئم: الغزال

ويقول:

كَمْ تَعْجَبُ الناسُ مِنْ صَيْدِ ولا شَرَكِ يَصِيدُ رئْمٌ بِهِ قَلْبِي سوى نظري[4]

(البسيط)

قصد بالرئم: المرأة الجميلة.

---

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج10،ص 315.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 150،

(3) المصدر نفسه: ص 162.

(4) المصدر نفسه: ص 176.

ويقول:

إنِّي لأَعْجَبُ والآرامُ مُجْبَنَةٌ **مِنْ رِئمِ خِدْرٍ للَيْثِ الغيلِ مُفْتَرسِ**(1)

(البسيط)

الظَّبْي

الغزال، والجمع أظب وظباءُ وظُبيّ. قال الجوهري: أظب أفعلٌ، فأبـدلوا ضـمة العـين كسرة لتسلم الياء. وظُبيٌّ على فُعول مثل تشدْي وتُشدِيّ، والأنثى ظبية، والجمع ظبيات، وظبـاء وأرض مظباة كثيرة الظباء، وأظبت الأرض: كثر ظباؤها(2).

يقول ابن حمديس متغزلاً:

زَارَتْ على الخوفِ مِنْ رَقِيبِ كظبيةٍ رُوّعتْ بذيبِ (3)

(السريع)

ويقول:

ما الذي يُبْكِي بحزنِ ظبيةً فَتَكَتْ مقْلَتها بالأسد
والظَّباءُ الحورُ إمّا قَتَلتْ لحظاتُ العينِ مِنْها، لا تَدِي(4)

(الرمل)

فالشاعر يذكر ظبية على المفرد تارة ويشبه الفتاة الحسناء بها، ويذكر الجمع مرة أخرى فيـذكر الظباء.

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 284.

(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج8، ص 248.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 6.

(4) المصدر نفسه: ص 138.

الغَزَالُ[1]:

الغزال من الظباء: الشادن قبل الإثناء حين يتحرك ويمشي، وتشبه الجارية به بالتشبيب، وقيل هو من بعد الطلا، وقيل هو غزال من حين تلده أمه إلى أن يبلغ اشد الإحضار، وذلك حين يقرن قوائمه فيضعها معا، والجمع غزله وغزلان، والأنثى بالهاء.

وقد أغزلت الظبية، وظبية مغزل: ذات غزال.

والغزالة: الشمس، وقيل هي الشمس عند طلوعها، ويقال طلعت الغزالة، ولا يقال غابت الغزالة.

والغزالة عشبه من السطاح ينفرش على الأرض.

والغزالة: المرأة الحرورية معروفه، سميت بأحد هذه الأشياء.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة عشرات المرات مذكرا ومؤنثا على تعدد معانيها، نكرة ومعرفة.

يقول:

الا بِأَبي من جُمْلَةِ الغِيدِ واحِدٌ فَهَلْ عَلِمُوا ذاك الغزال من السرب[2]

(الطويل)

وقد قصد بالغزال هنا المرأة الجميلة.

ويقول:

فُكّوا الغَضَنْفَرَ من إسارِ غَزَالَةٍ قَيْدَاهُ خَلْخَالٌ لَهَا وِسوَار[3]

(الكامل)

ويقول:

---

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج10، ص 66.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 22.

(3) المصدر نفسه: ص 258.

ككناسٍ بَغَمَتْ غَزْلانُهُ **من زئيرٍ راعها مِنْ أُسْدِ غاب**(1)

(الرمل)

وقصد بالغزلان المعنى الحقيقي.

ويقول:

قُلْ لِمَنْ ضَاهَتِ الغَزَالةَ نوراً **وَهْيَ مِنْ طِيْبَهَا غَزَالةُ مِسْكِ**(2)

(الخفيف)

وقصد بالغزالة: الشمس ونورها، أما غزالة فقصد بها المرأة الجميلة.

المَهَاةُ:

المهاة: مهَهَت: لِنْتُ. ومَه الإبل: رَفَقَ بها. وسيرٌ مَهَهٌ ومهاه رفيق، وكل شيء مَهَ ومَهاةٌ ومهامةٌ ما النِّساء وذِكرَهن أي كل شيء يسيرٌ حسنٌ إلا النساء أي إلا ذكرَ النساء، فنصب على هذا، والهاء من مَهَهٍ ومَهاةٍ، أصليةٌ ثابته كالهاء من مياه وشفاه، وقال اللحياني: معناه كلّ شيء قَصد إلاّ النساء، قال: كلّ شيء إلا النساء وقال أبو عبيد في الأجناس: ما النساءَ وذكرَهنَّ أي دعِ النساء وذِكرَهنّ والمهاه: الطراوة والحُسنُ:

والمهاة: بضم الميم: ماء الفحل في رحم الناقة، مقلوب أيضاً والجمع مُهيّ، حكاه سيبويه في باب ما لا يفارق واحدة إلا بالهاء وليس عنده بتكسير، قال ابن سيده: وإنما حمله على ذلك أنه سمع العرب تقول في حجمه هو المُها، فلو كان مكسراً لم يسُغ فيه التذكير ولا نظير له إلا حُكاة وحكى وطلاة وطُلى(3).

والمهاة: بقرة الوحش، سميت بذلك لبياضها على التشبيه بالبلورة والدّرة، فإذا شبهت المرأة بالمهاة في البياض فإنما يعني بها البلّورة والدّرة، فإذا شبهت بها العينين فإنما يعني بها البقرة، والجمع مهاً، ومَهَهوات، وقد مهت تمهُو مَهاً في بياضها.

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 65.

(2) المصدر نفسه: ص 344.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج13، ص 212.

يقول ابن حمديس مشبهاً عيون الحسان بعيون المها:

حسانٌ تديرُ بسحرِ الهَوى عُيونَ المها في وُجوهِ البُدورِ [1]

(المتقارب)

وفي صورة أخرى يقول:

بعينٍ إذا سَحَرتْ بالفتورِ بدا للمَهَا بعض أحْداقِها[2]

(المتقارب)

الزرافة:

أحدى الحيوانات المعروفة في الأندلس، وصفها الشاعر بمهارة ودقة، فلم يترك منها شيئا إلا تحدث عنه بالتفصيل. فقد ذكر الشاعر السمات والأوصاف الدقيقة المفصلة، تلك التي تتعلق بمظهر هذا الحيوان ولونه وصفاته وخصائصه، مستنداً إلى مشاهدات الشاعروذوقه والمزج بين أوصاف هذا الحيوان والطبيعة:

ونوبيّةٍ في الخَلْقِ منْها خَلائقٌ متّى ما تَرقّ العينُ فيها تَسَهّلِ
إذا ما اسمُها ألقاهُ في السَمْعِ ذاكرٌ رأى الطرفُ منْهُ ما عَناهْ بمقْولِ
لها فخدا قَرْمٍ وأظلافُ قَرْهبٍ وناظِرَتا رئمٍ وهامةُ أيّلِ
مُبَطَّنَةُ الأَخْلاقِ كبراً وعزّةً فمهما تَجُدْ بالمشي في المشي تَبْخَلِ
وكَمْ حَوْلهَا منْ سَائسٍ حافظٍ لها يُكرّمُها عن خُطّةِ المتبذّلِ
ترى ظِلْفَ رجْلٍ يَلتْقي إن تنقّلَتْ بظلْفِ يدٍ منها عزيزِ التَنَقّلِ
كَأنَّ الخطوطَ البيضَ والصّفْرَ أشبهتْ علَى جِسْمِهَا تَرْصِيعَ عَاجٍ بِصَنْدَلِ
ودائمةُ الإقْعاءِ في أصْلِ خَلْقها إذا قابلتْ أدْبارَها عينُ مُقْبلِ
تَلفّتُ أحياناً بعينٍ كَحيلَةٍ وجيدٍ على طولِ اللواءِ مظلّلْ
وَعُرْفٍ دقيقِ الشّعْرِ تحسبُ نبتَهُ إذا الرّيحُ هَزّتْهُ ذوائبَ سُنْبُلِ
تَنَفّسُ كبراً من يراعٍ مُثَقَّبٍ فتعطى جَنوباً منه عن أخْذِ شَمْأَلِ
وتنفضُ رأساً في الزّمام كأنّما تريكَ لَهُ في الجوّ نفضةَ أجْدَلِ
إذا طَلَعَ النَطْحُ اسْتَجَادَتْ نطاحَهُ برأسٍ لَهُ هادٍ على السُّحبِ مُعْتَلِ

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 264.

(2) المصدر نفسه: ص 322.

وقرنـــين أوْفَــتْ منـــهما كلّ عــقدة	كرمّانتــْي بابِ الخــباءِ المُــقَــفّل
إذا قُمّعا بالتـــبرْ زَادَتْ تـــعــزّزاً	عَلَى كُلّ خَــودٍ ذاتِ تــاجٍ مُــكلَّل
وتَحْسَــــبُهَا منْ نَفْسِــهَا إنْ تَبَخْتَرَتْ	تُزَفُّ إلى بْعلٍ عَرُوسَــــاً وتَنْجَــلي
وكَمْ مُنْشِدٍ قَوْلَ امرئِ القَيْـــسِ حَوْلَها	أَفَاطِــــمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذا الــتدلّل(1)

(الطويل)

وقد أوردنا أبيات القصيدة كلها لأنها كلها تحمل في مضامينها وألفاظها أوصاف تلك الناقة التي بهرت الشاعر وملأت عليه إحساسه ومشاعره حتى أطال في هذا الوصف فشكلت هذه الأبيات مجتمعة.

لوحة فنية غاية في الروعة والدقة حملة صورة الزرافة وشاحاً جميلاً لها. فقد كان الوصف دقيقاً عبر فيه الشاعر عن هذا الحيوان الجميل، وقد اعتمد أسلوب التفصيل والاستقصاء مع عنصر القص في عرض الصفات وتناولها على الترتيب، فيها يعبر أصدق التعبير عن هذا الحيوان الغريب على الشاعر ومجتمعة فيما يبدو، فقد أشار بعض الباحثين إلى أن الأسد والزرافة ليسا من حيوانات الأندلس أنما سار الشعراء في وصفها على نمط شعر المشرق(2).

وتدل تلك اللوحة الفنية بما احتوته من صور فنية ووصفة جميلة وجزئية لأعضاء هذا الحيوان ولونه ومشيته ونظرته وحركته، وكل ما يتعلق به حتى في حال عناية الإنسان به، كل ذلك إنما يدل على دقة الملاحظة لدى الشاعر ومدى إحساسه بما يصف إضافة إلى طول مراقبة ومتابعة لهذا الحيوان الذي استنطق صحته.

وربما دلت تلك الصورة على وجود ما يسمى – حديقة الحيوان– في الأندلس أو ما يقرب منها، وذلك بما تفهمه من وصف الشاعر للقائمين على العناية بالزرافة وبذلهم الجهود لخدمتها وتوفير أسباب العيش والراحة لها.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 380 –381.

(2) حميد، بدير متولي: قضايا أندلسية، دار المعرفة، القاهرة، 1964، ص 193.

الصقور والكلاب

لقد اهتم الأندلسيون بالصقور والكلاب عناية كبيرة فوقفوا على تصوير الحركات والتصرفات المختلفة لهذه الحيوانات، إضافة إلى تغنيهم بجمالها وقوتها وسرعتها وشدة تأثيرها. كما وصفوا شدتها وقوتها عند الانقضاض على الفريسة في نصوص شعرية جاء بعضها مستقلاً منفرداً بوصف هذه الحيوانات، وبعضها الآخر ممزوجاً بأغراض الشعر الأخرى.

أن الممعن فيما جاء من وصف للصقور والكلاب يرى أن وصفها جاء ممتزجاُ مع بعضه. فالشاعر الأندلسي غالباً ما يقرن الصقر بالكلب ويجمعهما في لوحة واحدة تتقارب فيها الصفات، وتتمازج الألوان وكلها تصب في بوتقة واحدة هي الصيد والطرد وتوفر أدواته ووسائله لصفات حسنة وسمات عالية، قل أن توجد في جوارحها الطير أو فواتك الوحوش والضواري[1]، وذلك على نحو ما مرّ في أبيات شاعرنا حيث يقول:

وسامية الألحاظ للصَّيْد قُرِّبَتْ ... وَقَدْ نامَ عنّا الليلُ وانتَبَهَ الفجْرُ
بكرنا على أكتْادها نَدَّري بهَا ... طـرَائدَ معموراً بها البلدُ القفر
تَسائل عَنْها السحبَ والتربَ جرأة ... جوارحُ فَوْقَ الراح أعينها خُزْر
فَوارِسُ أُفْدٌ أَقْبَلَتْ في جَواشنٍ ... منَ الرَقْمِ لَمْ تُخْلَقْ لَهَا البيض والسمر
وَغُضْفٌ ترى آذانهن لواحظَاً ... بهنّ صُرُورٌ وهي من هبوة غُبْرُ
وَمَرْوٍ عَلا عنْدَ النتاج حديدةً ... نَتَائجُها منْهُ إذا وَضَعَتْ شقر
هَفَا بَيْننَا منْها جناح بُوَيْزَةٍ ... كَقَادمَةِ العُصْفورِ طَارَ بِهَا الذعر[2]

(الطويل)

فمن يقرأ هذه الأبيات يرى أن الشاعر قد بدأ بوصف الصقر ثم وصف الكلب، وكأن لسان حاله يقول أن توفرها واجب لإنجاح عملية الصيد واكتمالها واستحضار جميع أدواتها لإخراج الصورة التي يريد الشاعر عرضها أمامنا.

---

(1) انظر: خضر، حازم عبد الله: وصف الحيوان في الشعر الأنلسي،. ص 94- 95.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 177.

وقد حاول الشاعر المزج في الوصف لإخراج الصورة للحيوانين في صورة واحـدة فـي عملية الصيد. وقد عرض اختلاط الصفات بينهما وتشابهها، ثم يستخلص النتيجة التـي تحـصل بحركتهما معاً وتعاونهما في إدراك الفردية والقبض عليها[1].

الطُّيور:

الطيور من حيوانات الطبيعة الحية التي منحها شاعرنا الكثير مـن رعايتـه واهتمامـه، وحباها بعطفه لأنها كانت عنده من مكملات الجمال فـي الطبيعـة، فهـي بأصـواتها الـشجية وصورها الفاتنة وبحركاتها الرشيقة ونسمة الحياة منها تختفي لمسة جميلة ورائعة إلـى جمـال الكون الذي أسر شاعرنا وملك عليه قلبه ونفسه.

وقد ذكر الشاعر واصفا الطيور الأليفة المغردة والطيور الجارحة، فمنها مـا يبقـى فـي الأقفاص والبيوت لحلاوة صوته وعذوبته، ومنها ما يرفع في الأيك والخمائل فيـشجي بـصوته الجميل. فقد افتتن شاعرنا بهذه الكائنات الرائعة الحلوة، التي تملأ الجـو بهجـة بمرآهـا حـين تحضر وبشدوها حين تهزج، فهي تبدو لناظريه أجمل وأبهى في ساعات صفوة حينمـا يتربـع مصطهجاً بين الأزهار والأنهار.

البُلْبُل[2]:

بلبل: وبلابل: حفيف في السفر معوان، ورجل بلابل: خفيف اليدين وهو لا يخفى عليه شيء، والبلبل من الرجال الخفيف.

والبلبل: العندليب، البلبل: طائر حسن الصوت يألف الحرم ويدعوه أهل الحجاز النغر، والبلبل: قناة الكوز الذي فيه بلبل إلى جنب رأسه.

وقد استخدم ابن حمديس هذه اللفظة في بضعة مواقع.

---

(1) انظر: خضر، حازم عبد الله: وصف الحيوان في الشعر الأنلسي، ص 94- 95.

(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج1،ص 492.

يقول:

وَمَعْبَدُ الطَيْرِ وَهْوُ بُلْبُلُهَا   مُرَجّعٌ في غصينه نَغَمَه[1]

(الرمل)

ويقول:

وما أرّقَ الأجْفَانَ إلاّ بَلابِلٌ   تُسَامِرُهَا بَيْنَ الضُّلوعِ بَلابِلَي[2]

(الطويل)

ويقول:

فَصَفِيرُ البُلْبُلِ مُطّرِحٌ   في الأيْكِ لَهُ صَوْتُ الصُّرَدِ[3]

(المنسرح)

الحَمَامُ، حَمَامَة[4]**:**

الحمامة: طائر، تقول العرب: حمامة ذكر وحمامة أنثى، والجمع حمام.

ابن سيده: الحمام من الطير البري الذي لا يألف البيوت، وهذه التي تكون في البيوت هي اليمام.

قال الأصمعي: اليمام ضرب من الحمام البري وأما الحمام فكل ما كان ذا طوق مثل القمري والفاختة وأشباهها. واحدته حمامة، وهي تقع على المذكر والمؤنث كالحية، والنعامة، ونحوها، والجمع حمائم، ولا يقال للذكر حمام.

والحمامة: وسط الصدر.

والحمامة:المرأة.

والحمامة: خيار المال.

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 420.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 395.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 162.

(4) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج3، ص 344.

والحمامة: سعدانه البعير، والحمامة: ساحة القصر النقية، والحمامة بكرة الدلو، والحمامة: المرأة الجميلة، والحمامة: حلقة الباب، والحمامة من الفرس: القص، والحمائم: كرائم الإبل، واحدتها حميمة.

وقد ورد لفظ الحمام مفردا وجمعا في ديوان ابن حمديس في بضعة وعشرين موقعا.

كَذَاكَ حَمَامُ البُرْجِ يُذْبَحُ فَرْخُهُ فَيَسْلو وَيَأْسَى عِنْدَ قَصّ جَنَاحِهِ[1]

(الطويل)

ويقول مشبها الراقصات بالحمائم:

كَمَا جَرّرَتْ أَذْيالَهَا فِي هَدِيْلِهَا حَمَائِمُ أَيْكٍ أَوْ طَواويسُ تَبْذَخُ[2]

(الطويل)

ويقول:

وَيُصْبِحُ سربَ الحَمامِ الحِمَامُ وَيجَنْحُ مِثْلَ الجَنَاح الخفوق[3]

(المتقارب)

الحمام من الطيور التي استهوت الشاعر واستحوذت على قوة عباراتــه وجزالــة ألفاظــه وروعة تشبيهاتها ودقة أوصافها ورقة معانيها وصف شاعرنا للحمام. ذلك الطير الذي اعتنى به شعراء الأندلس عموماً، وشاعرنا على وجه الخصوص. فهذا الطير يحرك الــشعراء بأشــجانه، وفيه ضربوا المثل بالوفاء، وحبه لأولاده وفراخه، فيذكره شاعرنا صادحاً على الأفنان في شجو وحنين يقول ابن حمديس:

وَناطِقَةٍ بالرّاء سَـــــجْعَاً مُرَدَّدَا كَحُـسْنِ خَرِيرٍ مِنْ تَكَسّرِ جَدْوَلِ
مُغَرّدةٍ في القُضْبِ تَحـسَبُ جيدَها مُقَلّدَ طَوْقٍ بالجـمانِ المُفَصـّلِ
إذا ما امّحى كُحلُ الدُّجى مِنْ جفونها دَعَتْكَ على كَأْسِ الغَزَالِ المكـحل
مَلأَتُ لَهَا كَـفَّ الصـبوح زجاجةً مُذَهَبّـــــةً بالراحِ فِضّةَ أَنْمل[1]

(الطويل)

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 111.
(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 112.
(3) المصدر نفسه: ص 327.

صورة جميلة يفردها شاعرنا لوصف الحمام نلمح من خلالها دلالة واضحة على تصور الشاعر للحمامة فهي مخلوق مرح مغرد يشيع الحيوية والبهجة ويسرّي عن النفوس حزينها وأساها، ويضعها أمام الجوانب المشرقة في الحياة، تلك التي يمثلها عند الشاعر خرير الماء وانسيابه عبر الجداول وتغريد الطيور وإنشادها على الأغصان راقصة، حيث الرياح العابثة بالأغصان وكأنها تراقصها، إضافة إلى حسن خلقها ومظهر جسمها بما يضفيان الراحة والهدوء والرضا المعتمد على استعمال الألوان الزاهية والأعضاء المتناسقة وعناصر الجمال التي يكمل بعضها بعضها الآخر[2].

إن الشاعر في هذه الصورة يعمد إلى إبراز نواحي الجمال في حمامته شكلاً وصوتاً وإنشاداً، حتى مظهرها العام، وإذا ما أمعنا النظر في البيت الرابع من الأبيات المذكورة نجد أن الشاعر جعل وصف الحمامة تمهيداً للحديث عن الشراب ووصف بعض مظاهر الجمال الطبيعي من حوله ويسير على هذا النسق مستلهماً الطبيعة فيما يذكر من صفات ويرسم من صور.

وهذا يؤكد أثر الحمامة وذكرها في نفس الشاعر. فقد أظهرت الفرح والسرور في الشاعر حيث غمر الفرح نفسه وأضاء الفجر قلبه وطريقة وكل ذلك بفعل هديل الحمامة الشجي والفجر بإشراقه الندي، كما أثار حبا للطبيعة والحياة، فلا شيء وهو في حالة الغبطة والبهجة هذه يتم عليه صفاءه ونشوته غير الشرب[3].

ونقف عند بيتين آخرين لشاعرنا، لكن صورتها مختلفة عن الصورة السابقة كلياً، ففي الصورة السابقة كان الحمام مدعاة للفرح والسرور والبهجة على عكس البيتين التاليين:

سَــلا أيَّ سلواني أَرَى مَصْرَعَ ابْنِهِ ... وَطَالَ لِفَقْدِ المَالِ طُولُ نِيَاحِهِ
كَذاكَ حَمَــامُ البُرْجِ يُذبَــحُ فَــرْخُهُ ... فَيَسْلو ويأسَى عِنْدَ قصِّ جَنَاحِهِ[4]

(الطويل)

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان، ص 361.
(2) انظر: خضر، حازم عبد الله: وصف الحيوان في الشعر الأنلسي، ص 103.
(3) انظر: السعيد، محمد مجيد: الشعر في ظل بني عباد. ط1، ص 125..
(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 111.

فهنا الحمام يشارك الشاعر أحزانه والآمه، فالشاعر يفقد وطناً سليباً بعيداً عنه فيحن إليه ويشتاق ويبكي حزنا وألما وكذلك الحمام الذي فقد فرخه المذبوح فحزن عليه وبكى.

الطاووس

لقد كان الطاووس عند العرب قديماً ومازال رمزاً للجمـال والروعـة والبهـاء. ومثـالاً للخيلاء والأناقة والرفعة، فهو طائر جميل الريش، وألوانه متعددة، حسن المظهر، معجب بنفسه مزهو بها، وتنطوي مشيته على الزهو والخيلاء، وقد وصفه أحد الباحثين مـن خـلال وصـف الشعراء له قائلاً " فأصبح ملكاً للطيور وقال إنه يلبس حلة من الخيلاء وليسـت فـي نظـره إلا روضة غناء"(1).

وقد يكون ابن حمديس ذكر هذه الصفات لهذا الطائر ليضفي بها على صقلية، وقد ذكر الحمـام مع الطاووس في قوله:

بَلَدٌ أَعَارَتْهُ الحمامةُ طَوْقَها	**وكَساهُ حُلَّةَ رِيشةِ الطّاووس**(2)	
وكأنّ هاتيكَ الشقائِقَ قَهْوَةٌ	**وَكأنَّ ساحاتِ الديارِ كؤوسُ**	الكامل

فقد جعل الشاعر صورته قائمة على الحمامة والطاووس وليس على الطاووس فقط، فقد أخذ من الحمامة طوقها الجميل ولونها الزاهي في خضم لونها الرمادي الجميل، وأخذ من الطاووس ألوان الريش بتعددها وما تنطوي عليه من الجمال والبهاء(3).

الطُّيورُ، طَائِرٌ(4):

الطير: معروف اسم الجماعة الطير أو ما يطير، مؤنث، والواحد طائر والأنثى طائرة، وهي قليلة، وأرض مطاره، كثير الطير.

والطير: الاسم من التطير، ومنه قولهم: لا طير إلا طير الله كما يقال لا أمر إلا أمر الله.

---

(1) انظر: خضر، حازم عبد الله: وصف الحيوان في الشعر الأنلسي: ص 156.
(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 553.
(3) انظر: خضر، حازم عبد الله: وصف الحيوان في الشعر الأنلسي: ص 157.
(4) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج8،ص 237.

وجمع الطائر: أطيار وهو أحد ما كسر على ما يكسر عليه مثله، الطير يقع للواحد، والطيور جمع طائر.

وقد وردت لفظة طير بين المفرد والجمع في ديوان ابن حمديس بضعا وأربعين مرة.

يقول:

وتَلْقَى المنايا وهي في عَرَض المنى وكَمْ أَجَلٍ للْطَيْرِ في مَلْقَطِ الحَبّ[1]

(الطويل)

ويقول:

مباكرة صَيْدَ الطُّيورِ فَمَا تَرَى طَرِيدَتِها إلا مُخَضْخَضَةَ القعب[2]

(الطويل)

ويقول مشبها الأعداء بالطيور التي قصت أجنحتها.

وكَمْ طائر منهم قَصَصْتَ جناحَهُ فأصْبحَ مَسْجُوناً عن النَهْضِ في الوكر[3]

(الطويل)

العَصافير، عصفور[4]:

العصفور: السيد، والعصفور: طائر ذكي، والأنثى بالهاء

العصفور:الذكر من الجراد، والعصفور: خشبة في الهودج تجمع أطراق خشبات فيها، والعصفور: الخشب الذي تشد به رؤوس الأحناء، والعصفور: عظم ناتئ في جبين الفرس وعصفور الناصية أصل منبتها، والعصفور: قطيعة من الدماغ تحت فرح الدماغ كأنه بائن، والعصفور: الشمراخ السائل من غرة الفرس لا يبلغ الخطم، والعصفور: ما على السناسن من العصب، والعصفور: الولد، يمانية.

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 34.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 35،

(3) المصدر نفسه: ص 226.

(4) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج9، ص 242.

يقول:

وَجَدْتُ جَنَاحَ عصفورٍ جناحي فَأَصْبَحَ للعُقَابِ بِهِ احتقار[1]

(الوافر)

ويقول:

وَرَوْضَة حُسْن غَرّدَتْ فَوْقَ نَحْرِهَا عَصافِيرُ حَلْي تَلْقُطُ الدرّ لا الحَبّا[2]

(الطويل)

وقد قصد ابن حمديس المعنى الحقيقي لهذه اللفظة.

الغُراب[3]: الطائر الأسود، والجمع أغربة، وأغرب، وغربان، وغرب، وغرابين جمع الجمع

يقول:

سَوادُ غُرابٍ في بياضِ حمامةٍ تَطيرُ بِهِ سبحاً على الماءِ أَوْ تَجْرِي[4]

(الطويل)

ويقول:

طلولٌ عَفَتْ آياتها فكأنّما غرابِيبُها جِزْعٌ وإدْمانُها وَدْع[5]

(الطويل)

استخدم الغرابيب ليدل على رحيل أهل الديار عنها. لأن الغراب ينذر بالشؤم والحزن والفراق عند العرب.

ويقول:

أَشَارَتْ وسُحبُ الدمعِ دائمةُ السّفْحِ بأنّ غرابَ البَيْنِ يَنْعَبُ في الصّبحِ[6]

(الطويل)

القَطا:

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 240.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 50.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج6. ص 292.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان:ص 226.

(5) المصدر نفسه: ص 307.

(6) المصدر نفسه: ص 93.

قطا: قَطا يقْطو: ثقل مشيه. والقطا طائر معروف، سمي بذلك لِثقلِ مَشْيته، واحدته قطـــاة، والجمع قطوات، وقطيات ومشيها الأقطيطاء. تقول: أقطوطت القطاة تقطوطي، وأمَّا قطت تقطوا فبعض يقول من مشيها، وبعض يقول من صوتها، وبعض يقول القطقطة والقطو: تقارب الخطو من النَّشاط، والرّجل، يقطوطي في مشيه إذا استدار وتجمَّع[1]

يقول ابن حمديس ذاكراً القطاة التي تدخر خير تعده لأرقاق النفوس:

وَمَا كانَ إلاّ خَيْرِ ذُخْرٍ تَعْدّهُ قطاةٌ، لأرْماقِ النُّفُوسِ، وذيب[2]

(الطويل)

الطيور الجارحة:

الصَقْر[3] :

صقر: الصقر: الطائر الذي يصاد به،من الجوارح، والصقر: كل شيء يصيد من البزاة والشواهين، والجمع أصقر وصقور وصقوره وصقار وصقارة. والصقر: جمع الصقور الذي هو جمع صقر.

وقد ورد هذا اللفظ في ديوان ابن حمديس في بضعة مواقع بلفظه أو صفاته.

يقول:

بِأَكْبَرَ يستخذي لهُ كل أَكْبَرٍ فَيُطْرِقُ إطْراقَ البُغَاثَةَ لِلْصَقْرِ[4]

(الطويل)

ويقول:

إذا طارَ مِنْهمُ بالوَصيةِ سَوْذَقٌ فَذلكَ في إفْصاحِ منطقي القَمَري[5]

(الطويل)

السوذق: الصقر

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج11،ص 233.

(2) بن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 39.

(3) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب. ج7، ص 373.

(4) بن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 227.

(5) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 271.

ويقول:

وَتنفضُ رأساً في الزّمامِ كأنّما تَريكَ لَهُ في الجوّ نفضةَ أَجْدَلِ[1]

(الطويل)

الأجدل: الصقر

العُقاب:

جمع العُقاب أعْقُبٌ، لأنها مؤنثة. وأفعل بناء يختص به جمع الإناث، مثل عِناقٍ وأعنــق، وذراع، وعُقاب عقنباةٌ، ذكره ابن سيده في الرباعي، وقال ابن الأعرابي: عِتاقُ الطير العقبــان، وسباع الطير التي تصيد، والذي لم يصَدْ الخشاش وقال أبو حنيفة: من العقبــان عِقبــانٌ تــسمى عِقبان الجرذان، ليست بسود، ولكنها كُهبٌ ولا ينتفــع بريــشها: إلا أن يرتــاش بــه الــصبيان الجماميح[2].

يذكر ابن حمديس العُقاب في مواقع كثيرة في ديوانه، ومن ذلك يصور نفسه قد ركب عُقابــاً إذ ذُعر من الغراب ليلاء.

ذعرتْ غُرابَ الليلِ بي فكَأَنّني لأصيِدَهُ مِنْهَا رَكِبْتُ عُقاباً[3]

(الكامل)

قشعم، قشاعم[4]: (قشعم) القشعوم: الصغير الجسم وبه سمي القراد وهو القرشوم والقرشام. والقشعم والقشعام: المسن من الرجال والنسور لطول عمره وهو صفة والأنثى قشعم. قال ابن سيده القِشعم مثل القَشعم. وقَشعم من أسماء الأسد، وكان ربيعة بن نزار يسمى القَشعم.

يقول:

كَأَنّ عَلَيْهَا للعجاج مُلاءَةً مُطَيّرَةً في الجوّ مِنْ كُلَّ قَشْعَمِ[5]

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 381.

(2) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب. ج9، ص 360.

(3) بن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 381.

(4) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب.ج7، ص 373.

(5) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 483.

(الطويل)

ويقول:

وتنسجُ يومَ الرّوعِ من نسج جردنا   علينا ملاءً بالقَشَاعِمِ ترقم[1]

(الطويل)

ويقول في قصيدة استخدم فيها هذه اللفظة مفردا وجمعا.

وَيُبْلي غَيْرَ مُسْتَبْقٍ حَيَاةً   لِقَشْعَمِ ساهِقٍ مَيْتِ النُّهوضِ

(الوافر)

ويقول في ذات القصيدة:

عجبتُ لجَمْعِهِ فيهنّ صَيْدَا   بِهَا بَيْنَ القَشَاعِمِ والبَعُوض[2]

(الوافر)

ويقول:

تريك قشاعما في الجو[3]

النُّسور، النَّسْر، أبو ملحم[4]**:**

نسر: نسر الشيء: كشطه، والنسر: طائر معروف وجمعه أنسر في العدد القليل، ونسور في الكثير،من أسماء العقاب النسارية شبهت بالنسر، الجوهري: النسر لا مخلب له، وإنما له الظفر كظفر الدجاجة والغراب والرخمة. وفي النجوم: النسر الطائر والنسر الواقع، والنسران كوكبان في السماء معروفان على التشبيه بالنسر الطائر.

وقد استخدم ابن حمديس هذا اللفظ في بضعة مواقع بين المفرد والجمع.

يقول:

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 414.

(2) المصدر نفسه: ص 294.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 484.

(4) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب.ج14، ص 121.

نسورٌ وعقبانٌ إذا هِيَ أَقْبَلَتْ   محلقةً سَدّتْ مِنَ الجَوّ نَفْنَفَا[1]

(الطويل)

وقد استخدم اللفظ جمعا:

ويقول:

وَمُرْوٍ صَدى الرّوْضَاتِ يَسْحَبُ دائباً   على الأَرْضِ مِنْهُ جُمْلَةً تَتَبَعَّضُ[2]

(الطويل)

ويقول:

كَأنّني إذْ كبرتُ نَسْرٌ   يُطْعِمُهُ فَرْخَهُ بِعَشّ[3]

(البسيط)

ويقول:

وَقَدْ صَوّبَ النِسْرُ المحلّقُ تالياً   أَخَاهُ وماتَ الليلِ إذْ وِلْدَ الفَجْرُ[4]

(الطويل)

الحشرات:

لقد وصف ابن حمديس في ديوانه أنواعاً مختلفة من الحشرات منها الزواحف ومنها الطائرة ضارة وغير ضارة، وقد كان الضار منها بصورة خاصة ذا صورة واضحة في الشعر العربي بعامة وشعر الأندلسيين في عصر الطوائف والمرابطين بخاصة. وينبع هذا الوصف من صلة بين الإنسان وبين هذا الحيوانات لما لها من تأثير على راحته وأمنه، وتعريض جسمه للأمراض والالآم المرّحة المقلقة، إضافة إلى ما تحدثه من خوف وهلع في نفسه الأمر الذي يحدث لديه الاضطراب النفسي وأرق يقض مضجعه ويطرد النوم من عينيه ليبقى معذباً كأنه مصاب بأفدح المصائب المفارق لأعز الأخيّه على نفسه[5].

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان:ص 291.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 287.

(3) المصدر نفسه: ص 240.

(4) انظر: خضر، حازم عبد الله: وصف الحيوان في الشعر الأنلسي، ص 165.

(5) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان، ص 42 – 44.

وأشهر هذه الحيوانات ذكراً ما قد أفرد له الشاعر قصائد مستقلة تضمنت وصف أدق تفاصيلها، وعلى رأسها العقرب وفيها يقول ابن حمديس:

وَمشرعةٍ بالمَوْتِ للطّعْنِ صَعْدَةً ... فلا قِرْنَ إنْ نادَتْهُ يَوْماً يُجِيبُها
مُداخلَةٌ في بَعْضِهَا خَلْقَ بَعْضِهَا ... كَجَوْشَنِ عظم ثَلَّمَتْهُ حُرُوبِهَا
تذيقُ خفيّ السمَّ من وَخْزِ إبْرَةٍ ... إذا لَسَبَتْ ماذا يلاقي لَسِيْبُهَا
وتمهل بالرّاحاتِ مَنْ لَمْ يَمُتْ بِهَا ... إلى حِينَ خَاضَتْ في حشاه كُروبِهَا
إذا لَمْ يكُنْ لونُ البهارةِ لونَهَا ... فمن يرقانٍ دبّ فيه شحوبها
لها سَوْرَةٌ خُصّت بصورةِ ردّةٍ ... تَرَى العينَ مِنْها كُلّ شَيٍ يُرِيْبُهَا
وَقَدْ نَصَلَتْ للْطَعْنِ مَحْنِيَّ صَعْدَةٍ ... بشَوكَةِ عُنّابٍ قتيلٍ زبيبها
ولَمْ تَرعَيْنٌ قَبْلَهَا سَمْهَرِيّةً ... مُنَظّمَةً نَظْمَ الفرند كُعُوبِهَا
لَهَا طَعْنَةٌ لا تَسْتَبِيْنُ لِنَاظِرٍ ... وَلا يُرْسِلُ المِسْبَارِ فِيْهَا طَبِيْبُهَا

(الطويل)

فالشاعر في هذه الأبيات يسهب ويفّصل في وصف هذا الحيوان الزاحف، فقد وصف شكلها والسم النافع الذي يسري في الجسم وقد يؤدي إلى هلاك الإنسان وموته، وعلى الرغم من أن هذا الحيوان صغير الحجم إلا أنه مؤذٍ، كما أنه يتنقل من مكان إلى آخر بحركة منتظمة محسوبة عن تربصه بفريسته ليكون أثره بليغاً وقد يؤدي إلى الموت الزؤام.

ولا يقف الشاعر عند ذلك، بل أنه يستمر في وصف هذا الحيوان دالاً ما يحدثه من أثر بالغ في لدغته للإنسان الذي عجز في كثير من الأحيان عن تحاشي بطشه والنيل منه، وليس هذا فحسب بل إن هذا الحيوان قد أقلق راحته وحرمه النوم فهو معه في البيت في أرضه أو في سقفه[1].

ولعل هذا يدلنا على مدى القلق الذي يعيشه شاعرنا وهو غريب عن وطنه، فكل شيء في الوجود يدعوه إلى القلق والخوف والهلع حتى الحيوانات الزاحفة تثير انفعالاته وأحاسيسه بالخوف والتوتر. فلا يهدأ له بال ولا تطمئن له نفس ولا يخشع له قلب. فكل ما في الوجود

---

(1) انظر: خضر، حازم عبد الله: وصف الحيوان في الشعر الأندلسي: ص 166.

مخيف ومرعب وبخاصة إذا ما كان الإنسان بعيداً عن وطنه. ومما يؤكد ذلك أن شـــاعرنا قــد وصف هذا الحيوان مرة أخرى ولكن ليس بهذا التفصيل وإنما بأبيات أقل يقول:

وَذَاتَ خَلْق تُريبُ الخَلْقَ صُورَتُهُ فكلّ ناظرٍ عَيْنٍ لَيْــسَ يَأْلفَهُ
كأنّ شَوْكَةَ عُنّابٍ بِمِبْـــضَعِهَا يُجَرّعُ السُمُّ مِنْهُ مَنْ يُصَادِمُهُ[1]

(البسيط)

فالشاعر يبن أثر العقرب وقوة لسعتها بكلمات قليلة موجزة دالة، ويصف لــسعها وكأنهــا شوكة عنّاب.

البعوض والبرغوث والبق.

حشرات صغيرة وضعيفة في شكلها إلا أنها مؤذية في أثرها، ومقلقة للإنسان ومتعبة لـــه وكأنها عدو يطارده في كل وقت وحين. وعند نومه على وجه التحديد وخاصة البعوض. وعلـــى الرغم من ذلك كله إلا أنها استأثرت باهتمام شاعرنا، فوصفها مجتمعة تارة، وأفرد الحديث عــن بعضها تارة أخرى، ومما جاء وصفه منفرداً قوله في البق:

ياليْلُ هَلْ لِصَباحي فَيْكَ إشْراقُ فَقَدْ نَفَي النّوْم عَنْ عَيْنِي إيراقُ
عساكر البقّ نحوي فيك زاحِفَةٌ كأنّما بثّ وَسْــطَ البيت سُماق
من كل طاعنهِ الخرطومِ ساريةٍ كأنّ لســــعتها بالنارِ إحراق

(البسيط)

سفالشاعر يذكر هذه الحشرة وكأنها جيش يغزو ليلاً ويُعمل فيها الطعن بخراطيمه الطويلة وكان طعنها تشبه حرق بالنار لذا فهي تؤلم الشاعر وتؤرقه وتقض مضجعه.

ولا يكتفي الشاعر في ذكر البق منفرداً بل إنه يذكره مع أنواع أخــرى مــن الحــشرات وكأنها أجمعت مع بعضها حتى تضاعف قوتها، وتتعاون على افتراســه، وكأنــه مبــاح الــدم مسترخص القيمة، يشترك الجميع في الإجهاز عليه كل له دروه وحظه في العملية، وفـــي ذلــك يقول:

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 316.

نَوْمِي على ظَهْرِ الفراشِ مُنَغَّصُ	واللَّـيْلُ فيه زيـادةٌ لا تَنْـقُصُ
من عاديـات كالذئَـاب تذاءَبَتْ	وسَرَتْ عَلَى عَجَلٍ فما تَتَرَبَّصُ
جَعَلَتْ دَمِي خَمْراً تُداوِمُ شُـرْبَهَا	مُسْتَرْخِصات مِنْهُ ما لا يُرْخَص
فَتَرَى البَعُوض مغنّياً بَربـابِه	والبَقَّ تَشْرَبُ والبراغيثُ تَرْقُصُ(1)

(الكامل)

صورة مليئة بالحركة، لما فيها من عناصر الحيوية التي تشترك في التعبير عن حالة الإنسان حين يهجم عليه البعوض فينغص عليه راحته، ويذهب عنه النوم، ويبدله الهموم والأحزان، وكأني بالشاعر أراد أن يجعل الصورة أكثر إثارة وأشد تأثيراً فعمد إلى جعل أكثر من حيوان يشترك في إقلاق الإنسان ودفع الراحة عنه.

فالشاعر يشبه هذه الحيوانات مجتمعة وكأنها ندامى يتسامرون ليلاً وقد كان الإنسان أو لعله الشاعر خمرتهم التي يشربونها ويتلذذون بشربها، أو أن الدم هو الخمرة المعتقة التي تشربها.

الذباب

لم يكن الذباب أرفع شأنا من غيره من الحشرات ولا أقل تأثيراً في حياة الإنسان، بل لعله كان الأكثر إيذاء وقلقا وإرهاقاً وتعباً بالنسبة للإنسان، وهذا سبب كفيل بأن يحظى باهتمام الناس بعامة والشعراء على وجه الخصوص. على الرغم من أن كثيراً من الناس من يرى الذباب أقل أثراً فيهم من البق والبعوض والبرغوث، إلا أن أثر الذباب كبير وقد لا يرى أو يظهر أثره مباشرة إلا بعد زمن طويل.

وقد وصف ابن حمديس هذه الحشرة وصفاً يبين واقعها وأثرها وخصوصاً ما يقع منها على الإبل موضحاً الأضرار التي تتعرض لها من هذه الحشرة المضرة، فهي تدمي أجسادها وتورثها الحكة الشديدة حتى تسيل دماؤها من جرائها. يقول ابن حمديس:

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان:ص 289.

وَمُودِعٌ في المَطَايا لَسْعَة حُمَــةٍ **فَيُزْعِجُ الرُّوحَ تعذيباً مِنَ الجَسَدِ**
يَحِكّ مِنْ دَمِهَا القـــــاني يداً بيدٍ **حَــكَ الظــريفِ بحنّـــاءٍ بَنَانَ يَدِ**[1]

(البسيط)

فهذه الصورة معبرة عن الذباب الواقع على الحيوانات، فيكون أشد إيذاء وأعمــق إيلامــاً مـــن الذباب الواقع على الإنسان، وقد تذكر هذه الصورة تذكر الإنسان بحالة وأنه جزء من هذه البيئية التي تعيش فيها هذه الحيوانات على الرغم من إيذائها له.

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان،ص 134.

الفصل الرابع

قضايا لغوية

قضايا لغوية

لقد كان جل اهتمام الأصوليين على الجانب التطبيقي فيما بين اللفظ والمعنى من علاقات في تركيز واضح على مدلولات العبارات لاستخراج الأحكام الشرعية. بينما كان اهتمام البلاغيين منصبا على الجانب الجمالي والإبلاغ المعنوي بوضوح، مسخرين لذلك الطاقات الكامنة في الألفاظ التي يسعون دائما لاكتشافها، لتأدية المعنى وتصوير خوالج النفس في أفضل تعبير، إلا أن اللغويين قد نظروا إلى الألفاظ بعين العناية والاهتمام، وذلك من زوايا متعددة، فكانت اللغة بالنسبة اليهم كنزاً يحتاج إلى الاكتشاف، لذا فقد أصبحت اللغة طعامهم وشرابهم بل شغلهم الشاغل، ومن هنا فقد اتسع نطاق الدراسات اللغوية ليشمل قضايا متعددة.

لا نريد الوقوف على هذه القضايا كلها. بل سنقف عند بعضها وعلى وجه الخصوص تلك القضايا والموضوعات التي كان لها ظهور بين ألفاظ الطبيعية في ثنايا الديوان وفي طيات الأبيات ونقف عند هذه القضايا المعرفة أصول بعضها ولمعرفة الألفاظ التي تعددت معانيها، والمعنى الذي تعددت ألفاظه، واللفظ وضده، وما استعمل من هذه الألفاظ على حقيقته معناه أو ما يدعى الحقيقة إلى المجاز أو ما تطور من معاني الألفاظ من خاص إلى عام، أو المعنى العام الذي يخصص. وسنتحدث تاليا عن بعض هذه الموضوعات ومنها:

1- المشترك اللفظي:

يقول السيوطي في المزهر، معرفا المشترك اللفظي: "وقد حدّه أهل الأصول بأنّه اللفظ الواحد الدّال عل معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل اللغة"[(1)]. ويعرفه صبحي الصالح، بعد أن ذكر تعريفه السيوطي قائلا: "هو ما اتحدت صورته واختلف معناه"[(2)]. أمّا إبراهيم أنيس فيقول هو: "... نوع من الكلمات رويت لنا متحدة

---

(1) السيوطي، جلال الدين: المزهر:. مطبعة السعادة، مصر، 1325 هج، ص 216..

(2) الصالح، صبحي: دراسات في فقه اللغة، ط5، دار العلم للملايين،بيروت، 1973، ص 302.

الصورة مختلفة المعنى، وقد تتعود القدماء أن يسموا هـذا النـوع مـن الكلمـات بالمـشترك اللفظي"[1]

وذلك ما أشار إليه ابن جني حيث يقـول: "بـاب فـي اتفـاق اللفظـين واخـتلاف المعنيين في الحروف والحركات"[2] ويمثل له بالـصدى للدلالـة علـى أحـد الطيـور وهـو طائر الثأر، ويعني العطش، وكذلك يعني ترجيع الـصوت. وقـولهم صـدى قـال أيـضاً. إلا أن هذه المعاني يرفضها الـدرس اللغـوي الحـديث، لأنهـم قـد وضـعوا شـروطا لتحقـق المشترك اللفظي، منها "وحدة الزمان والمكان والنطـق والقـسم الكلامـي وتبـاين المعنيـين كل التباين"[3].

ويعلل اللغويون وضع تلك الشروط لان الدارسـين القـدامى لـم يدرسـوا المـشترك اللفظي في فترة زمنية محددة بل جاء تناولهم ممتـدا علـى فتـرة زمنيـة طويلـة. ومـساحة جغرافية اكبر هي الوطن العربـي. كمـا اعتمـدوا علـى التـراث فـي استحـضار الأمثلـة شاهدة على أقوالهم.

ومع ما استحضره اللغويـون مـن أمثلـة علـى المـشترك، إلا أن ذلـك لـم يمنـع المعارضين لفكرته من الإدلاء بدلوهم، فهذا ابـن دسـتوريه يـرى أن لـيس ثمـة مـشترك لفظي داخل اللغة الواحدة. وإنما يكون بين ألفاظ لغتـين مختلفتـين، لان وجـود عـدة معـاني للفظ واحد في لغة واحدة فهـذا يوجـد التعميـة وعـدم القـدرة علـى الفهـم ويـؤدي إلـى اللبس[4].

وعلى الرغم من وجود المعارضـين إلا أن ذلـك لـم ينـف كثـرة المؤيـدين مـن علماء اللغة القدامى أمثال الخليـل وسـيبويه وأبـي زيـد الأنـصاري والأصـمعي والمبـرد

---

(1) أنيس إبراهيم: في اللهجات العربية،ط64، مكتبة الانجلو المصرية، ص 192.

(2) ابن جني: الخصائص: ت محمد علي النجار: دار الكتب المصرية،القاهرة، ج2، 1955، ص 93.

(3) من بحث لـ احمد مختار عمر بعنوان "المنجد في اللغة لكرام النمل" مجلة مجمع اللغة العربية عدد 22، القاهرة 1986، 9500.

(4) السيوطي، جلال الدين: المزهر. ج1، ص 384.

وأبي عبيد وابن جني وابن فارس والثعالبي والسيوطي، بل إن منهم من أوجد مؤلفات في هذا المضمار كالأصمعي واليزيدي[1].

أما أسباب المشترك اللفظي فهي متعددة ومختلفة. منها ما يعود إلى المعنى ومنها ما سببه لهجي، ومنها ما سببه صوتي، ومنها ما هو خارجي، وأهمها ما كان عائدا إلى المعنى. ويتضح ذلك من خلال انتقال الألفاظ من معانيها الحقيقية أو الأصلية إلى معنى مجازي، فتكتسب الكلمة معنى جديداً يستقر بعد ذلك عن طريق الاستعارة أو المجاز.

إن استعمال الكلمات مجازاً يفضي بها إلى معاني متعددة وعلاقات مختلفة، فتطور المعنى الأصلي حيناً أو تغييره وقد تحوله من العام إلى الخاص أو العكس، أو تضييقه أو توضحه، وقد تجعله غامضا بعيداً عن الفهم. وبالتالي تظهر الكلمات ذات الحروف المشتركة والأصوات المتشابهة والصورة نفسها وتعطي معاني مختلفة. ومن ذلك إطلاق لفظ الهلال على أشياء مختلفة منها هلال السماء وهلال الصيد وهلال النعل، وهلال الإصبع وعلى الحية إذا سلخ جلدها، وعلى الجمل الهزيل، وبقية الماء في الحوض، وهلال البطيخة. وكلمة هلال في معناها أصلا تدل على هلال السماء[2].

و تلعب القواعد التصريفية دوراً مهماً في توليد المشترك اللفظي وهي لا تبتعد كثيراً عن التشابه الصوتي، وذلك أن القواعد الصرفية تؤدي إلى أن تتفق اللفظتان المتقاربتان في الصفة الواحدة، فينشأ عن ذلك تعدد في المعنى. لهذه الصيغة يؤدي إلى جعلها من قبيل المشترك اللفظي[3].

---

(1) انظر: عمر، أحمد مختار: علم الدلالة. ط5، ص 93 – 99.

(2) انظر: مجاهد، عبد الكريم، الدلالة اللغوية 120

(3) انظر: الصالح، صبحي: دراسات في فقه اللغة. ط5، ص 72.

ومما يعد من المشترك اللفظي ما يدل على المتضادين في المعنى كالجون للأبيض والأسود[1]. والمشترك هنا كلمة واحدة دلت على اسمين متضادين لفظا ومعنى وقد جاء في الأحكام: "وإذا كان الاسم واحداً والمسمى مختلفاً فهو المشترك كالجون على الأبيض والأسود، وعسعس على إقبال الليل وأدباره"[2].

شواهد من المشترك اللفظي في ديوان ابن حمديس

الغزالة:

الغزالة: الشمس والغزالة: المرأة والغزالة: الظبية

يقول الشاعر:

قُلْ لِمَنْ ضَاهتِ الغَزَالةَ نُوراً وَهْيَ مِنْ طِيْبِهَا غَزَالةُ مِسْكِ[3]

(الخفيف)

الغزالة الأولى قصد بها الشمس، أما غزالة قصد بها المرأة الجميلة ويقول:

هَلْ ظنّ ثَغْرَكِ أقحواناً ناضِراً تَرْعَاهُ غُزْلانُ الفلاةِ خَمائِصَا[4]

(الكامل)

غزلان: الظباء

القَطَار:

القطار: المطر مفردها قطرة وتستخدم الآن للدلالة على آلة

يقول:

---

(1) انظر:الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: المستصفى من علم الأصول. ج1، المطبعة الاميرية،بولاق، 1322 هج. ص 32.

(2) الآمدي:23/1

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان:ص 344.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 288.

ولا زنداً لَهُ في الجَوِّ قَدْحٌ مَكَانَ شَرَارِهَا هَمَتِ القِطَارِ[1]

(الوافر)

وقصد بالقطار هنا: المطر

برد: الماء الجامد، البرد: الأسنان البيضاء

وقد استخدم ابن حمديس كلا المعنيين. يقول:

نَثَرَ الجَوُّ عَلَى الأَرْضِ بَرَدْ أيُّ دُرٍّ لنحورٍ لَوْ جَمَدْ[2]

(الرمل)

البرد: الماء الجامد.

وَبَرَدَتْ حرّ الشّوْقِ بالبرد الذي شَهْدٌ وَمِسْكٌ دَونَهُ وعقار[3]

(الكامل)

وقصد بالبرد الأسنان

النَّوَار:

النوار: المرأة النفور النوار: محمرة الأوراق. يقول:

فإنّ مزجت وجدتَ لها انْقِياداً كما تَنْقَادُ بالخُدَعِ النّوَار[4]

(الوافر)

وقصد بالنوار: المرأة النفور

ويقول:

اشرَبْ عَلَى بِرْكَةِ نَيْلُوْفَرٍ مُحْمّرةِ النّوّارِ خَضْراءِ[5]

(السريع)

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 236.

(2) المصدر نفسه: ص 117.

(3) المصدر نفسه: ص.260

(4) ابن حمديس ، عبد الجبار، الديوان: ص 236.

(5) المصدر نفسه: ص 5.

محمرة النوار: محمرة الأوراق

الجبل: اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال من الأعلام والأطـواد، والجمـع أجبـال وجبال، الفراء الجبل سيد القوم وعالمهم[1].

يقول:

ما قَرّ بي السّيرُ في سَهْلٍ ولا جَبَلٍ إلاّ كَمَا قَرَّ جاري الماءِ في صَبَبِ[2]
(البسيط)

جبل: وتد من أوتاد الأرض على المعنى الحقيقي

ويقول:

تَبَرَّكَتِ الأيْدي بتسويةِ الثَّرَى عَلَى جَبَلٍ راسي الأناةِ على هَضْبِ[3]
(الطويل)

الجبل: سيد القوم

ويقول:

جِبَالٌ طَفَتْ فَوْقَ المِيَاهِ وغُيّضَتْ بِسُمْرِ القَنَا والمُرْهَفَات على الأُسْدِ[4]
(الطويل)

جبال: السفن.

المعرَّب والدخيل

ويقصد بالدخيل من الألفاظ ما دخل اللغة العربية من مفردات من اللغات الأخرى (غير العربية)، سواء كان ذلك في ما استعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم وإسلامهم، إضافة إلى ما استعمله من جاء بعدهم من المولدين.

---

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد: لسان العرب.ج2، ص 18.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان:ص 17.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 36.

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 153.

لقد أجمع جمهور الباحثين أن العرب الفصحاء هم عرب البدو ممن سكن الجزيرة العربية حتى أواسط القرن الرابع الهجري، إضافة إلى عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري وتلك هي عصور الاحتجاج وعلى الرغم من بعد المسافة بين الجزيرة العربية وبلاد الأعاجم من جميع جهاتها، إلا أن ذلك لم يحل دون تسرب بعض الألفاظ الفارسية والرومية إليها. وقد صيغت هذه الألفاظ على أوزانها، وأنزلتها على أحكامها وجعلتها جزءاً لا يتجزأ من عناصر التعبير فيها.

ففي الجاهلية عُرِّب عن الفارسية مثل الدولاب، والدسكرة، والكعك، والسميد، والجلنار، وعن الهندية أو السنسكريتية مثل الفلفل والجاموس والشطرنج، والصندل؛ وعن اليونانية مثل القبان أوالقنطار، والترياق[1].

كما ورد في القرآن كثير من معرّبات الجاهلية. على الرغم من إنكار بعض العلماء لذلك، إلا أن أبا عبيد القاسم ابن سلام يرى وقوع ذلك في القرآن: يقول: "والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء لكنها وقعت للعربية فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ المعجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت الحروف بكلام العرب، ممن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال إنها عجمية فصادق!" [2].

وعندما ألف العلماء كتبهم في المعرب والدخيل ذهبوا إلى فارسية أكثر تلك المعربات، كما أرادوا بذلك أن يأتوا ببرهان على أن تأثر العربية بالفارسية كان أبلغ وأعمق من تأثرها بسائر اللغات الأخرى. فكلما أرادوا أن يذكروا لفظاً فارسياً قالوا عنه أعجمي وهذا ما يتبادر إلى أذهان العوام أيضا.

(1) انظر: وافي، علي عبد الواحد: فقه اللغة، ص 199.

(2) السيوطيو جلال الدين، المزهر في علوم اللغة 269/1، الصاحبي في فقه اللغة 29.

ولقد لخص الأمير العلامة مصطفى الشهابي القواعد التي اتبعها النقلة في وضع المصطلحات في تلك الأيام، فرآها لا تخرج عن هذه الوسائل الأربع[1].

أولا: تحوير المعنى اللغوي القديم للكلمة العربية، وتضمينها المعنى العلمي الجديد.

ثانيا: اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية أو معرّبة للدلالة على المعنى الجديد.

ثالثا: ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها.

رابعا: تعريب كلمات أعجمية بمعانيها.

فقد أورد الجواليقي في كتابه: هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب عن الكلام الأعجمي، ونطق به القرآن المجيد وورد في أخبار الرسول – صلى الله عليه وسلم – والصحابة والتابعين، وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها ليعرف الدخيل من الصريح[2].

أما الألفاظ التي نقلت إلى العربية بعد عصور الاستشهاد فقد عدها العلماء من باب المولد. يقول الخفاجي: "ما عرّبه المتأخرون يعد مولداً، وكثيراً ما يقع مثله في كتب الحكمة والطب". ومن أمثلة ذلك الحب. قال الجواليقي: "أما الحب الذي يجعل فيه الماء ففارسي معرب. وهو مولد، وكذلك الطارحة ففي التهذيب: الطارحة بيت كالقبة من خشب وهي أعجمية"[3].

ومما يعد من المولد ما إذا غير المحدثون حركة في كلمة معربة عرّبت قديماً، فإن نطقها الحديث يعد مولداً، فقالوا إن فتح دال الديباج مولد[4]. والمولد لفظ عام يشمل كل ما أحدث من الكلمات بعد انقضاء عصر الاستشهاد، سواء أكان ذلك عن طريق

---

(1) انظر: المصطلحات العلمية مصدر سابق 24.

(2) انظر المعرب / 14.

(3) التهذيب 340/13.

(4) انظر لسان العرب مادة دبج.

النقل من اللغات الأعجمية أم الاشتقاق من معرب أم الاشتقاق من كلمة عربية أم الارتجال.

أما الدخيل فهو مأخوذ من قولهم: "فلان دخيل في بني فلان" إذا كان من غيرهم[1]. ويستعمله علماء اللغة على اعتبار أنه مرادف للمعرب وكأن مدلولها واحد. وأحياناً يشيرون إلى الكلمة الأعجمية بالكلمتين معاً. ففي "التعذيب: النارجيل معرب دخيل"[2]. ومن خلال نظرة سريعة الى آراء العلماء في المعرّب والدخيل نلاحظ أن الدخيل أعم في لفظة من المعرب كونه يطلق على كل ما دخل العربية من اللغات الأعجمية.

ونورد الآن أمثلة على المعرب والدخيل استخدمها ابن حمديس في أشعاره في ألفاظ الطبيعة.

نَرْجِس:

لفظ أعجمي معرب، وقد ذكره النحويون في الأبنية وليس له نظير في الكلام. فإن جاء بناءٌ على فعلِل في شعر قديم فارْدُدْهُ فإنه مصنوع، وإن بُني مولّد هذا البناء واستعمله في شعر أو كلام. فالرد أولى به، ولم يجئ في كلام العرب في اسم نون بعدها راء[3].

فهو من الرياحين معروف، ذكره صاحب اللسان والقاموس في ن ر ج س وفي ر جَ س. ضبطه صاحب القاموس بفتح النون وكسرها، ورجّح صاحب اللسان الكسر وقال نرجس أحسن إذا أعرب. وهو فارسي، وأصله نركس بفتح النون وكسر

(1) الجمهرة 200/2.

(2) التهذيب 257/6.

(3) الجمهرة 368/3.

الكاف الفارسية، وهو من اليونانية، وهو في الأساطير اليونانية اسم شاب تيّمه حبُّ نفسه ثم حُوّل إلى هذا الزهر[1].

وقد ورد لفظ النرجس في شعر ابن حمديس ومن ذلك يقول:

كَأَنّ الثرّيا فِيهِ بَاقَةُ نَرْجِسٍ مِنَ الشّرْقِ يُهْدِيها إلى مَغْربٍ مُهْدِ[2]

(الطويل)

ويقول في ذات القصيدة:

ونحسبُ مِنْهَا في البَرَاقِعِ نَرْجَساً تَخُطُّ الأَسى بالطَّلِّ في صَفْحَةِ الخَدِّ[3]

(الطويل)

ويقول:

وَقَدْ زَارَ عذبَ اللمى في الأقُاحِ أُجاجُ الدُّمُوعِ من النّرجِسِ

(المتقارب)

الكافور:

فأما الكافور المشموم من الطِّيب فأحسبه ليس بعربي محض لأنهم ربما قالوا: القَفُّور[4]. وقد جاء في التنزيل "كان مزاجها كافوراً" (الإنسان 5).

فسر الجوهري الكافور بالطيب. والقفُّور بكافور النخل. وذكر صاحب اللسان المعنيين. وهو بالفارسية كافور وبالفهلوية، وأصله من اللغات الهندية. فهو بالتاملية إحدى اللغات الدِّرافيدية (كربورم) ومنه (كرْبُور) بالسنسكريتيه. وهو بالسريانية (قفوراً) و(قفور) فالكافور من الفارسية والقفور من السريانية. ودخلت الكلمة في

(1) انظر اللسان، القاموس المحيط.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 150.

(3) المصدر نفسه: ص 278.

(4) الجمهرة: 401/2.

اللاتينية من اللغة العربية فهي Camphora بزيادة النون. أما كافور الطلعة وهو وعاؤها الذي تنشق عنه فعربي وسمي كافوراً لأنه قد كفرها أي غطاها[1].

وقد وردت لفظة الكافور في شعر ابن حمديس في مواطن متعددة نذكر منها، يقول:

كَفٌّ مِنَ الكافور هذي التي أَرَى مِنَ المِسْكِ عَلَيْهَا خِضَابْ[2]

(السريع)

ويقول:

كَأَنّما الكافورُ نَثْرُ ثَلْجِنَا أَوْ نَدَفَ البُرسَ لَنَا قوسُ قزح[3]

(الرجز)

ويقول:

كانَ مِسْكَ اللّيلِ في مِفْرقه فانْجَلَى عَنْهُ بِكَافُور الصَّبَاحِ[4]

(الرمل)

الياسمين والياسمون:

إن شئت أعربته بالواو والياء وإن شئت جعلت الاعراب في النون، لغتان، وحكي عن الأصمعي أنه قال: هو فارسي معرب وهو بالفارسية ياسم وياسمن وياسمين وياسموت، ذكرها صاحب البرهان، ويبدو أن الصبغة الفارسية هي ياسمين ثم اشتقت منه العرب ياسم على وهم زيادة الياء والنون[5].

ولم يرد ذكر الياسمين كثيراً في شعر ابن حمديس، ومع ذلك نذكر عليه أمثلة تدل على استخدام الشاعر لمثل هذا اللفظ المعرب، يقول:

---

(1) المعرب: 544.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 9.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 87.

(4) المصدر نفسه: ص 96.

(5) انظر المعرب: 647.

يُرِيكَ حَدِيْقةً مِنْ ياسمينٍ تَفَتّحُ وَسْطَهَا لَهُ جَلّنْار

ويقول:

وَقَبّلْتُ خَدّاً تَرَى وَرْدَهُ نَضِيْراً يَشُقُّ عَنِ اليَاسْمِينِ(1)

(المتقارب)

وإذا ما أمعن النظر في ديوان ابن حمديس نجد هناك الكثير من الألفاظ المعربة والدخيلة إلا أن الشاعر يستخدمها في شعره ولا ننسى أن نشير إلى أن الشاعر عاش في القرنين الخامس والسادس الهجريين وهذه فترة كانت قد استقر فيها الكثير من الألفاظ التي دخلت العربية واستخدمها الشاعر. ونذكر بعض الألفاظ على سبيل الذكر لا الحصر ومنها، الماء، البستان، البرق، البنفسج، ديباج، سندس، غزاله، غراب نيلوفر، جوشهن، جمان جؤذر، جهنم، جنان، جلنار، طاووس، مسك....

الأضداد

من المشترك اللفظي، الأضداد، غير أن معانيها تذهب بعيدا في الإختلاف إلى درجة التناقض، حيث يقول السيوطي في المزهر تحت عنوان النوع السادس والعشرون معرفة الأضداد هو نوع من المشترك (قال أهل الأصول) مفهوما اللفظ المشترك أن يتباينا بألّا يمكن اجتماعهما في الصدف على شيء واحد كالحيض والطهر فإنهما مفهوما القرء"(2).

أمّا ابن فارس فقال في كتابه الصاحبي: "و من سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو الجون للأبيض، والجون للأسود"(3). وقال عنه حسن

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 489.

(2) السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة وأنواعها مطبعة السعادة: ص 228.

(3) ابن فارس، أبو الحسين أحمد: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. ت عبد المنعم. القاهرة. مطبعة البابي. 1969.ص:97

ظاظا: "إذا وصل التباين بين معنيين مشتركين في لفظ واحد إلى درجة التناقض والتعاكس اعتبر هذا اللفظ من الأضداد"(1).

و لهذه الظاهرة اللغوية أسبابها يسوق حسن ظاظا بعضا منها مثل التفاؤل بتأثير من الدين والفلكلور كتسمية القافلة تمناً وتفاؤلاً بعودتها، أو أن يكون معنى الكلمة وسطا ثم ينحاز إلى الطرفين بشكل متناقض مثل السدفة التي كان معناها الأصلي إختلاط الضوء بالظلام ثم انحازت في قبيلة إلى الضوء وفي أخرى إلى الظلام فأصبحت ضدا تعني الضوء والظلام(2).

و يعزو صبحي الصالح الأمر على (المصادفات) ويسوق مثلا بالسدفة ناقلا ما قاله السيوطي في المزهر من ان أصل السدفة الستر، فكأن النهار يستر الليل والليل يستر النهار فأصبحت السدفة تعني الضوء والظلام(3).

و قد كان التضاد موضوع خلاف بين اللغويين العرب، بين منكر ومؤيد، ويقول ابن فارس في (الصاحبي): "و أنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي بغسم واحد لشيء وضده"، لكنه يضيف متابعا كلامه: "هذا ليس بشيء وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمي السيف مهنداً والفرس طرفاً هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحد"(4). فهو من باب البداهة، يرد رفض المنكرين لوجود هذه الظاهرة اللغوية في لغتنا. أمذا علي وافي فيقول بعدما استعرض رأي الجانبين من مؤيد ومعارض: "و كلا الفريقين قد تنكب جادة القصد فيما ذهب اليه"(5)

---

(1) ظاظا، حسن: كلام العرب في قضايا اللغة العربية. دار النهضة العربية. 1976. ص: 112.

(2) ظاظا، حسن، المصدر السابق، ص: 112.

(3) الصالح، صبحي: دراسات في فقه اللغة. ط5: ص 312.

(4) ابن فارس، ابو الحسن احمد الصاحبي. ت مصطفى. مؤسسة أ بدران. بيروت. 1964. ص: 98.

(5) وافي، علي عبد الواحد: فقه اللغة: ص 164.

كما ساق السيوطي مجموعة واسعة من أقوال المؤيدين للتضاد من أشهرهم المبرد وابن دريد وأبو عبيد وأبو زيد والأصمعي وغيرهم[1]. على أن أهل الاصول كما يسميهم السيوطي قد اعتقدوا بهذه الظاهرة وأقروا بها[2].

وعلى الرغم من هذا التأييد والاهتمام بالأضداد، إلا انه لم يسلم من الإنكار والمعارضة، بحجة انه من المشترك الذي يوقع في اللبس والإبهام أو التعمية والتغطية، وممن فعل ذلك ابن درستويه الذي ألف كتابا اسماه أبطال الأضداد أو جحد الأضداد.كما يذكر ابن سيده أن احد شيوخه كان ينكر الأضداد التي حكاها أهل اللغة وان تكون اللفظة الواحدة للشيء وضده[3].

وكما ذكر العلماء أسباب النشوء المشترك فقد ذكروا ذات الأسباب تقريبا لنشوء الأضداد وخاصة أن بعضهم يجهل التضاد شكلا من أشكال المشترك كما ذكرنا، وأسباب التضاد لهجية، وعامل المعنى، واجتماعية ونفسية وأسباب صرفية وصوتية.

ومن بعض الأمثلة التي عدّها العلماء من الأضداد أو مشبهة بالأضداد واستخدمها ابن حمديس في شعره منها: كأس، أخضر، طَرَب.

كأس: قال ابن السكين: قال أبو عبيدة: يقال للإناء: كاس وللشراب الذي فيه كأس. وقال الفراء: الكأس الإناء بما فيه فإذا شُرب الذي فيه لم يُقل له كأس، بل يُروَّ إلى اسمه الذي هو اسمه من الآنية[4].

وقال بعض المفسرين: الكأس: الخمر، يذهب إلى أنها اسم للإناء والخمر، ولهذا المعنى أنثت[5]، يقول ابن حمديس:

---

(1) انظر: السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة: ص 229 – 231.

(2) المصدر نفسه: ص 228

(3) انظر: ابن سيدا، ابو الحسن علي بن اسماعيل: المخصص.،ج13، بيروت، دار الفكر، ص 259

(4) الامباري، محمد ابن قاسم: الاضداد. ت ابو الفضل ابراهيم. ط2. مطبعة حكومة الكويت. 1986. ص: 162

(5) أضداد الأصمعي 84.

هاتِ كَأْسَ الرّاحِ أوْ خُذْها إليكْ		يَنْزِلِ اللهُو بِهَا بَيْنَ يَدَيْكْ[1]

(الرمل)

وقوله:

وَكأْسِ نَشْوانَ فِيْهَا الشَّمْسُ بَازِغَةٌ:		بَاتَتْ تُدِيْمُ إلى الإصْبَاحِ لَثَمَ فَمُهُ[2]

(البسيط)

الترادف

جاء في لسان العرب تحت مادة (ردف): "الردف: ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف: وترادف الشيء تبع بعضه بعضا والترادف التتابع والمترادف كل قافية اجتمع في آخرها ساكنان... [3]"

" أما الترادف في اصطلاح اللغويين فهو "الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"[4] وهذا يعني وجود عدة ألفاظ تختلف في لفظها وحروفها وتعطي معنى واحد. وقد تعددت التعريفات والاصطلاحات إلا أنها كلها في محتواها تضمنت معنى واحد، ومن ذلك "إن الترادف عند أهل العربية والأصول تعني توارد لفظين أو أكثر في الدلالة على الانفراد أو حسب اصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة"[5].

تلك هي بعض ما اصطلح عليه علماء اللغة القدماء، أما ما جاء حول هذا الموضوع في الحديث فيرى بعضهم "إن المترادفات ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق"[6] وقد يكون هذا أكثر اتساعا وعمومية في دلالته من تعريف القدماء، فهو لا يوجد أية فروق في المعنى بين هذه الألفاظ لا من بعيد ولا من قريب،

---

(1) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 343.

(2) المصدر نفسه: ص 421.

(3) لسان العرب، مادة ردف

(4) السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة: ص 442.

(5) التهانوي، محمد علي الفاروقي: كشاف اصطلاحات الفنون، ج3، ت لطفي، مكتبة النهضة المصرية، 1963، ص 66.

(6) انظر: ستيفي، اولمان: دور الكلمة في اللغة ترجمة كمال بشر، ط2، 1962، ص 98

فهو لم يخصص في التعريف ولم يحـــدد أي شـــيء كقـــول القـــدماء: ((باعتبـــار واحـــد)) أو ((من جهة واحدة)).

إن هذه الألفاظ تدل في عموم لفظها على معنـــى واحـــد، إلا أن ذلـــك لا يعنـــي انـــه ليس ثمة فرق بين هذه الألفاظ من جهات أخرى، كما هـــو الفـــرق فـــي الدلالـــة بـــين الاســـم والصفة. فالسيف والحسام وان دلا علـــى شـــيء واحـــد إلا أن الأول يكـــون باعتبـــار الاســـم أما الثاني فإنما هو باعتبار الصفة. وفي هذين الاســـمين لـــيس ثمـــة تـــرادف فأحـــدهما اســـم والآخر صفة، أما في قولنا الحسام والصارم فكلاهمـــا يـــدل علـــى الـــسيف باعتبـــار الـــصفة لا باعتبار الاسم وهذا هو الترادف.

وقد جاء تعريف القدماء الأقرب إلـــى تعريـــف التـــرادف فـــي اللغـــة، ودليـــل ذلـــك أنهم لم يقروا باتحاد المعنى بين المترادفات كما فعـــل أولمـــان، حيـــث قـــالوا: إن لفظـــين أو أكثر يتواردان للدلالة على معنى واحد، في حين أن أولمـــان قـــد قـــال باتحـــاد معناهـــا فـــي قوله "قابله للتبادل فيما بينهـــا فـــي أي ســـياق" إلا أنـــه ينـــاقض نفـــسه بعـــد ذلـــك ليقـــول: "وبالجملة سوف يتبين لنا أن معظـــم المترادفـــات ليـــست إلا أنـــصاف أو أشـــباه مترادفـــات، وأنه لا يمكن استعمالها في السياق الواحد أو الأسلوب الواحد دون التمييز بينها"[(1)].

لم يتوقف الخلاف بين العلمـــاء عنـــد تعريـــف التـــرادف فحـــسب، بـــل لعـــل هـــذا الخلاف كان ناجماً عن خلاف آخر وهو وجـــود التـــرادف مـــن عدمـــه. وقـــد جـــاء إنكـــار الترادف قديماً عند آرسطو الذي يعد أول مـــن فعـــل ذلـــك حيـــث يقـــول: "ومـــن الخطـــأ أن نجاري ما قيل من تداول العبـــارات المختلفـــة علـــى المعنـــى الواحـــد لا يـــضيره ولا يغيـــر منه، لأن هناك عبارة أحق بـــالمعنى مـــن أخـــرى غيرهـــا، وعبـــارة ألـــصق بـــالمعنى مـــن غيرها، وهناك عبارة تمثل المعنى العام أمـــام العـــين أكثـــر مـــن الأخـــرى، كـــذلك الكلمـــة يمكن مقارنتها بالكلمة الأخرى ويختلف معنى كل منهما"[(2)].

---

(1) انظر: ستيفي، اولمان: دور الكلمة في اللغة ترجمة كمال بشر، ص 99.

(2) سلامة، ابراهيم: بلاغة آرسطو بين العرب واليونان، ط2 مكتبة الانجلو المصرية، 1952، ص 298.

يتضح من كلام آرسطو أنه مهما كان هناك اقتران بين كلمتين للدلالة على معنى واحد فإن هناك فرقاً بينهما، وهذا يوضح دون شك إنكار آرسطو الواضح والصريح للترادف.

أما الخلاف حول الترادف عند أهل العربية، فقد ظهر إلى حيز الوجود في نهاية القرن الثالث الهجري، وكان على رأس المنكرين أبو العباس ثعلب المتوفى 291هـ حيث جاء في المخصص: "وأما كون اللفظين لمعنى واحد فقد كان محمد بن السري حكى عن أحمد بن يحيى أن ذلك لا يجوز عنده"(1).

وقد بقيت فكرة إنكار الترادف قائمة، حتى كثر مؤيدوها في القرن الرابع الهجري وعلى رأسهم أبو علي الفارسي وأحمد بن فارس.

و قد أورد السيوطي في كتابه: "قال العلامة عز الدين بن جماعه في شرح جمع الجوامع، "حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي علي الفارسي قال: كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه: احفظ للسيف خمسين اسما، فابتسم أبو علي وقال: ما أحفظ إلا اسما واحدا وهو السيف، قال ابن خالويه: فأين المهند والصارم وكذا وكذا.....؟ فقال أبو علي: هذه صفات، وكأن الشيخ لا يميز بين الاسم والصفة"(2).

وممن تبع أبا العباس ثعلب في إنكاره للترادف أحمد بن فارس، فهو منكر ومعارض، فقد أوضح ذلك في كتابه فيقول: "ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام، والذي نقوله في هذا أن الاسم واحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى" قال آخرون: ليس منها اسم ولا صفة إلا معناه غير معنى الآخر، قالوا: وكذلك الأفعال نحو مضى وذهب وانطلق، وقعد وجلس، ورقد ونام وهجع. قالوا: ففي ((قعد)) معنى

---

(1) ابن سيدة، أبو الحسن علي بن اسماعيل: المخصص. ج13. دار الفكر. بيروت. ص: 259.

(2) السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة. ج1، ص 405.

ليس في ((جلس)) وكذلك القول فيما سواه وبهذا نقول: "وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن ثعلب"[1].

ولم يتوقف إنكار الترادف على القدماء بل إن المحدثين من العرب والغربيين قد أنكروا الترادف، لكن ذلك لم يكن بشكل قطعي إنما أقر بعضهم وجوده في المحسوسات ونفى وجوده في المعنويات في حين كان البعض الآخر قد قطع الطريق بشكل كامل على كل من يقول بالترادف. يرى بل ومفيد أن اختلاف الصيغ صوتيا يوجب اختلاف المعنى[2].

على الرغم من هذا الخلاف بين اللغويين قدماء ومحدثين حول وجود الترادف وعدمه، أو حول مفهوم الترادف، فإن ذلك لم يحل دون ظهور العديد من المؤلفات في هذا المجال. تلك المؤلفات التي حاول أصحابها إثبات الترادف بأي شكل. وأول من ورد عنه الترادف من اللغويين أبو زيد الأنصاري (215 هـ) فقد جاء في المزهر ألفاظ مترادفة منقولة عنه كالمنحبطي والمتكأ كي والمتآرف، كما يذكر السيوطي لابن الأعرابي (232هـ) ألفاظا تدل على العمامة مثل: المشوذ، والسب، والمقطعة، والعصابة، والعصاب، والتاج والمكورة[3]. كما أن الأصمعي قد ألف كتابا أسماه الألفاظ[4]، وكذلك الفيروز أبادي له كتاب أسماه "الروض المسلوف فيما له اسمان إلى العرف"[5].

أما أسباب وجود الترادف كما يراها العلماء فهي مختلفة فبعضها يعود إلى التراكيب اللغوية والتصاريف، وبعضها بسبب اللهجات، وبعضها اختلاط الشعوب في

---

(1) ابن فارس، ابو الحسن أحمد بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة. ت مصطفى. مؤسسة بدران للطباعة. بيروت. 1964. ص: 65

(2) ستيفن، أولمن: دور الكلمة في اللغة. ت كمال بشر: ص 110.

(3) انظر: السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة. ج1، ص 410 – 413.

(4) ابن سيدة، أبو الحسن علي بن اسماعيل: المخصص. ج13، ص 258..

(5) انظر: السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة. ج1، ص 407.

السلم والحرب وهناك سبب آخر وهو تسمية الأشياء باعتبار صفاتها كما هو الحال تسمية السيف باعتبار صفاته.

و يرى إبراهيم أنيس معللا وجود الترادف أن موسيقى الكلام قد شغلت أصحاب اللغة عن رعاية الفروق بين الدلالات، فأهملوها أو تناسوها، واختلطت الألفاظ بعضها ببعض، حين انكمشت دلالاتها واقتصّ من أطرافها فتجمعت في خلية واحدة ومعنى واحد[1].

ونورد فيما يلي أمثلة على الترادف في ديوان ابن حمديس وخاصة فيما يختص بأسماء الأسد والسيف والإبل، والخيل. يقول ابن حمديس في الأسد ويذكر له أسماء عديدة، يرى بعض العلماء أنها صفات وليست أسماء. نذكر منها: قَسْوَر، الليث، الهصور، الهزبر، الضرغام، الغضنفر. يقول ابن حمديس:

أوْ كُلّ ثُعْبانٍ يُنَاطُ بِقَسْوَرٍ **بَيْنَ البنودِ كَمُحْنَقٍ وَغَضُوبِ**[2]

(الكامل)

واسْتَعْصَمَوا بذرى أشمَّ كَأَنّهُم **عُصْمُ أتيحَ لَهَا هِزَبْرُ قَسْوَر**[3]

(الكامل)

ولا تُسَوّفِنْي إلى تَرويْقِهَا **لا يَشْتوَي اللّيْثُ إذَا اللّيْثُ ذَبَحْ**[4]

(الرجز)

هُوَ الليثُ إلاّ أنَّ رِفْعَةَ تاجِهِ **عَلَى قَمَرٍ في هَالةِ المُلكِ كَامِلِ**[5]

(الطويل)

أما لفظة غضنفر فيذكرها ويقول:

فُكّوا الغَضَنْفَرَ من إسار غَزَالةٍ **قَيْدَاهُ خَلْخَالٌ لَهَا وَسِوَار**[6]

(الكامل)

---

(1) انيس. ابراهيم: دلالة الألفاظ، ط3، مكتبة الانجلو المصرية،. 1973، ص 122.

(2) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: تحقيق الدكتور محمد عباس، دار صادر.بيروت، 1960، ص 60.

(3) ابن حمديس، الديوان. 196

(4) ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 86.

(5) المصدر نفسه: ص 396.

(6) المصدر نفسه: ص 258.

ويقولَ:

يقدمُهُ للوغى مِحْرَبٌ   كَأَنّ الغَضَنْفَرَ في نَثْلتهِ[1]

(المتقارب)

أما لفظة هزبر فيذكرها ويقول:

وَهِزَبْرُ غابٍ يَحْتمَى بِمَخالِبٍ   يُرْهَفْنَ مِنْ غَيْرِ الحديدِ، حداد[2]

(الكامل)

ويقول:

هِزَبْرٌ عَلَى بَحْرٍ مِنَ الحَرْبِ مُفْعَمٍ   عَلَى جِسْمِهِ نَهْيٌ وَفِي يَدِهِ نَهْرُ[3]

(الطويل)

أما لفظة ضراغم فيذكرها مفردة ويذكرها جمعاً: يقول:

كَأَنّ عَلَى العُقْبَانِ مِنْهَا ضَرَاغِمَاً   فَأَنْيابُهَا عُصْلٌ وأَبْصَارُهَا جَمْرُ[4]

(الطويل)

لَئِنْ كُنْتَ مَقْصُوراً بدارٍ عَمَرْتَهَا   فَقَدْ يُقْصَرُ الضرْغَامُ وَهْوَ هَصُورُ[5]

(الطويل)

الأبنية الصرفية:

إن الممعن في شعر ابن حمديس يجده شعراً نابضاً بكل ما حوت اللغة في نحوها وصرفها ودلالاتها، وبلاغتها، وفصاحتها، فهو بارع في علم اللغة ووقف على شاردها وواردها، فقد تميزت لغة الشاعر باستيعابها للمجاز، والتصرف بنظام الجملة، كما يتصرف باستخدام المفردات نفسها، وفي دلالتها لتكوّن المعنى الذي يريده الشاعر والصورة التي تمتص جزءاً من احساسه وخياله. لذا فإن الشاعر لا يخضع في تعبيره

---

(1)ابن حمديس، عبد الجبار، الديوان: ص 71.

(2) المصدر نفسه: ص 12.

(3) ابن حمديس، عبد الجبار: الديوان: ص 256.

(4) المصدر نفسه: ص 253.

(5) المصدر نفسه: ص 268.

لكل ما قرره النحويون من قواعد وأحكام. فاللغة تغير وتطور ولا تبقى خاضعة لقواعد ثابتة فهي واسعة الآفاق أسلوباً لا بل أساليب ومكاناً وزماناً.

ما انفك الصراع قائماً في تأريخ اللغات بين الشعراء الكبار واللغويين، فالشعراء في كل العصور يميلون إلى خرق العادة اللغوية في أساليبهم، لذا نجد هذا الخلاف بل الصراع بين كثير من أساليب الشعر وقواعد النحو.

وفيما يلي نعطي ملخصاً عن أبنية الأسماء ودلالاتها مع ذكر الأمثلة عليها من ألفاظ الطبيعة الحية والصامته كما وردت في ديوان ابن حمديس:

ينقسم الاسم إلى: مجرد ومزيد فالمجرد: ما كانت جميع حروفه أصلية. والمزيد: ما زيد فيه حرف أو أكثر على حروفه الأصلية والمجرد من الأسماء إما أن يكون ثلاثياً أو رباعياً أو خماسياً، وإذا أتى ثنائياً فلا بد من أن يكون هناك حرفاً محذوفاً. وذلك مثل دم، ويد يقول المبرّد: "واعلم أنه لا يكون اسم، على حرفين إلا وقد سقط منه حرف ثالث. يبين لك ذلك التصغير والجمع"[1] فليس ثمة اسم متمكن أقلّ من ثلاثة أحرف أصول. وإذا أمعنا النظر في الاسم المجرد الثلاثي فسنجد أنه قد يكون مضعّفاً من خلال اتحاد فائه وعينه، أو باتحاد فائه ولامه أو باتحاد عينه ولامه. وأبنية الاسم الثلاثي المجرد المتفق عليها عشرة وهي:

1. فَعْل (بفتح الفاء، وسكون العين).
2. فَعَل (بفتح الفاء والعين).
3. فَعِل (بفتح الفاء وكسر العين).
4. فَعُل (بفتح الفاء وضم العين).
5. فِعْل (بكسر الفاء وسكون العين).
6. فِعَل (بكسر الفاء وفتح العين).
7. فِعِل (بكسر الفاء والعين) وأمثلته قليلة لعل أشهرها إِبِل.
8. فُعْل (بضم الفاء وسكون العين).

(1) ابو العباس، محمد بن يزيد: المقتضب، ت محمد عبد الخالق،ج1، عالم الكتب، بيروت. ص 42.

9. فُعَل (بضم الفاء وفتح العين).

10. فُعُل (بضم الفاء والعين).

و يأتي الاسم المجرد الرباعي على خمسة أوزان:

1. فَعْلَل (بفتح الفاء وسكون العين وفتح اللام الأولى).
2. فعْلِل (بكسر الفاء وسكون العين وكسر اللام الأولى).
3. فُعْلُل (بضم الفاء وسكون العين وضم اللام الاولى).
4. فِعْلَل (بكسر الفاء وسكون العين وفتح اللام الأولى).
5. فِعَلّ (بكسر الفاء وفتح العين وفتح اللام الأولى وتشديدها مع اللام الثانية).

الأوزان الصرفية لألفاظ الطبيعة في ديوان ابن حمديس الصقلي

ألفاظ الماء:

بَحْر: فَعْل	بَرَدْ: فَعَلْ
بركة: فِعْلة	جدول: فعْول
جداول: فعاول	سَيْل: فعل
سيول: فعول	ماء: فَعَل
مطر: فَعَل	نهر: فَعْل

ألفاظ الغطاء النباتي:

أقحوان: افعوال	ثَمَر: فَعَل
حديقة: فعيلة	رمّان: فُعّال
روض: فَعْل	ريحان: فَعْلان
زهر: فَعْل	سوسن: فَعْول
عناب: فعّال	عنب: فِعَل
غابة: فَعْلة	غصن: فُعل
غصون: فُعول	أغصان: افعال
فرصاد: فعلال	فنن: فَعْل
قضب: فَعْلَ	كافور: فاعول
نبات: فَعال	نرجس:فَعلِل
ورد: فَعْل	ورود: فعول

ورق: فَعَل   أوراق: أفعال

نارنج:أعجمي لا وزن له   نوّار:فعّال

نيلوفر: أعجمي لا وزن له

ألفاظ الظاهر الجوية:

برق: فَعْل   حرّ: فعل

رعد: فَعْل   رياح: فِعَال

سباسب: فعَالل   سحب: فُعل

سحاب: فِعال   شَمْس: فَعْل

شِهاب: فِعال   صبا: فَعل

ظلال: فِعال   غيث: فَعْل

غيم: فعْل   كوْكب: فوْعل

قمر: فَعَل   مطر: فَعَل

نسيم: فعيل   نهار: فَعَال

هلال: فِعال   هواء: فَعَال

هبوب: فعول

ألفاظ التضاريس:

أديم: فَعيل   أرض: فَعْل

بيداء: فعلاء   تراب: فُعال

ثرى: فَعَل   جبل: فَعَل

جبال: فِعَال   حصا: فَعَل

سهل: فَعْل   سهول: فُعول

صخر: فَعْل   فلاة: فعلة

قفر: فَعْل

ألفاظ الطبيعة المتحركة:

الحيوانات:

1- ألفاظ الأسد:

أسد: فَعَل
أسود: فعول
شبل: فِعْل
ضرغام: فِعلال
ضراغم: فعالل
غضنْفر: فَعوعل
قسور: فَوْعل
هزبر: فِعلّ، هفِعْل
هصور: فَعول

2- ألفاظ الإبل:

إبل: فِعِل
بَعير: فعْيل
شول: فَعْل
عيس: فعْل
فَحْل: فَعل
قرم: فَعْل
كوم: فَعْل
مطية: فَعْلة
نجيبة: فعيلة

3- ألفاظ الخيل:

أبلق: أفعل
أدهم: أفعل
أوابد: أفاعل
جواد: فَعَال
جُرد: فُعَل
خيل: فَعْل
سلاهب: فعالل
سلهب: فُعلل
فرس: فَعْل
صواهل: فواعل
كُميت: فُعَيْل

4- ألفاظ الغزال:

رئم: فِعل
آرام: أغفال
رشأ: فَعْل
ظبي: فعل
ظبية: فِعْلة
غزال: فَعال
غزالة: فِعالة
مها: فَعل

5- ألفاظ أخرى

ثعلب: فَعْلل	ذئب: فِعل
زرامة: فعالة	كلب: فَعْل
كلاب: فعال	

ألفاظ الطيور والحشرات:

برغوث: فعلول	بقّ: فعل
حمامة: فعالة	حمام: فَعال
ذباب: فُعال	بلبل: فُعْلُل
تغريد: تفعيل	صقر: فَعْل
عُقاب: فُعال	عُقبان: فعال
قشعم: فَعّلل	طير: فَعْل
طيور: فعول	طائر: فاعل
غراب: فُعال	هديل: فعيل
أجدل: أفعل	

الدراسة الاحصائية لألفاظ الطبيعة في شعر ابن حمديس.

إن ديوان ابن حمديس الصقلي زاخر بالأشعار التي تضمنت في جعبتها مئات الألفاظ الطبيعية. من الطبيعة الصامتة أو الطبيعة الحية. التي أولاها الشاعر اهتماماً كبيراً، فكانت عطراً فواحاً يناب أريجه في ثنايا العبارات والألفاظ والمعاني. ولما لذلك من أهمية في شعر ابن حمديس، وأثر في جمال المعنى، وقوة الدلالة، والبراعة في التصوير للوصول إلى المعاني، لذا فقد أولى الباحث اهتماماً كبيراً لهذه الألفاظ من الناحية الاحصائية.

لذا فقد وقف الباحث على ألفاظ الطبيعة الحية والصامتة احصاءً ودلالة، مبيناً ذلك بالنسب المئوية التي توضح عدد مرات ورود اللفظ. ونسبته المئوية مقارنة بما يماثله من الفاظ الطبيعة سواء أكانت الحية أم الصامته،ثم مقارنة بذلك بنسبة الالفاظ الطبيعية بشكل عام.

فقامت الدراسة الاحصائية على احصاء عدد مرات الظهور لكل لفظ وما يدل عليه من الالفاظ، فبين النسبة العامة للفظ ثم النسب المئوية للألفاظ التي تدل عليه.

وقد توصلت الدراسة إلى أن الألفاظ الدالة على الماء: مطر، ماء، سيل، جدول، غدير، نهر، بحر، غيث، والألفاظ الدالة على الخيل: أدهم، أبلق، فرس، حصان، أوابد، صواهل، جياد، جواد، والألفاظ الدالة على الأسد وصفاته: أسد، شبل، ليث، قسور، هزبر، غضنفر، هصور، ضرغام. ثم الفاظ الغزال: ظبي، غزال، مها، رئم، رشا، ثم الفاظ الابل: فحل، شول، قرم، كوم، ناقة، مطية، نجيبه، تلك هي أكثر الفاظ الطبيعة وروداً في شعر ابن حمديس. وفيمايلي جداول توضح ذلك.

الحمام: لقد كان عدد مرات ظهور لفظ الحمام أكثر من 20 مرة بنسبة 6% بالنسبة لمفردات الحيوان. ولعل ذكر الحمام يدل على قضية مهمة بالنسبة للشاعر وهي قضية الابتعاد عن الوطن بل فقدانه ذلك أن الحمام قد فقد فرخه ولم يعثر عليه وكأن الشاعر يشبه نفسه بالحمام.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
الحمام	20	%100

التضاريس: لقد كان عدد ظهور مفردات التضاريس يزيد على 210 مرات دلل فيها الشاعر على طبيعة الاندلس بما فيها من جبال وسهول وصحارى وهضاب.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
الأرض	107	%50.9
الفلاة	15	%7
الجبال	20	%10
الطود	1	%4.8

لقد جاءت لفظة طود مرة واحدة بينما استخدم الشاعر لفظة جبل أكثر من 20 مرة مما يوحي بأن العرب في الأندلس وصقلية بدأوا يتحررون من المفردات ذات الدلالة الخاصة إلى استخدام المفردات ذات الدلالة العامة. وقد جاءت مفردات الجبل لتدل على الثبات والشموخ والرفعة في معظم معانيها:

مفردات متفرقة: كان ورود هذه المفردات يصل إلى حد الندرة، وقد كان أكثر من 25 مفردة بنسبة 11.9% بالنسبة لمفردات التضاريس.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
القياض	1	%5
السهوب	1	%5
المسمرة	1	%5
البيرمع	1	%5
السهل	2	%10
الوعر	1	%5
العفر	1	%5
الدهس	1	%5
البيداء	3	%15
الفوصد	1	%5
الوادي	1	%5
البر	1	%5

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
الأديم	1	%5
الرغام	1	%5
البيان	1	%5
الطي	2	%10

روضة، حديقة، غابة: لقد أكثر ابن حمديس من استخدام هذه الألفاظ مراوحاً في ذلك بين الاستخدام المجازي والحقيقي وقد كان أكثر وروداً ما دل على الروضة والرياض ولعل ذلك يعود إلى المعاني التي تحملها الرياض من الراحة والطمأنينة والاستقرار وذلك ما كان يبحث عنه الشاعر.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
الرياض	46	%18
الآجام	2	%4.3
الثمر	13	%5
الحدائق	9	%3.5
الغاب	1	%0.39
الرمان	10	%3.9
الورق	12	%4.7
النبات	3	%1.9
الاشجار	5	%100

زهور الزينة: جاءت زهور الزينة مزينة لأشعار الديوان، وقد كان ورودها ممتزجاً بقصائد الغزل والمدح فاعتمد عليها الشاعر في التعبير عن فرحه حيناً وعن حزنه حينا آخر، وقد كان أكثرها وروداً الياسمين.

الكافور	7	%2.7
النرجس	7	%2.7
السوسن	2	%0.78
الياسمين	12	%0.78

مفردات أخرى: لقد جاءت هذه المفردات بشكل متفرق وقليل في أشعار ابن حمديس، وعلى الرغم من قلتها إلا أنها كانت ذات أثر في معاني والفاظ شاعرنا. وقد كانت نسبتها 4.3% بالنسبة لمفردات الغطاء النباتي.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
العنب	2	%18.2
العنم	1	%9.1
الفرصاد	2	%18.2
العنقل	1	%9.1

القفار: لقد كان عدد مرات ظهور مفردات القفار 9 مرات دلت على الشح والتشرد والتيه والضياع وبنسبة 6% بالنسبة لمفردات التضاريس.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
القفار	9	%6
السباسب	6	%2.8
الكثيب	2	%0.9
الصخر	7	%3.3
الحصا	8	%3.8
الهضاب	6	%2.8

لقد وردت الالفاظ السابقة بنسي قليلة ومرات قليلة في شعر ابن حمديس.

الابل: كان عدد مرات ظهور المفردات التي تدل على الابل أكثر من 26 مرة بنسبة 7.8% بالنسبة لمفردات الحيوانات. ولعل ذكر الابل ومفرداتها جاء دالاً على قوة الشاعر وصلابته، وصبره وتحمله المعاناة بعيداً عن وطنه وتجشمه عناء السفر والترحال.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
العيس	6	%25
الفحل	1	%4.2
القرم	1	%4.2

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
الظليم	4	%16.8
الفلائق	1	%4.2
الابل	1	%4.2
الكوم	1	%4.2
القرم	3	%12.6
الشول	1	%4.2
المطايا	2	%8.4
الأمد	2	%8.4
النجيبة	1	%4.2

الطيور: أكثر ابن حمديس من استخدام مفردات الطيور، ولعل ذلك يعود إلى أنها تشكل عنصراً جمالياً فيه الروعة والخفة من جهة، وأن الشاعر يتمنى أن يكون طيراً من جهة أخرى لعله يستطيع العودة إلى وطنه وقد كانت عدد مرات ظهور مفردات الطير أكثر من 38 مرة بنسبة 11.4% بالنسبة لمفردات الحيوانات.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
الطير	25	%86.2
العصافير	2	%6.9
البلابل	2	%6.9

القطا

لقد كان عدد مرات ظهور لفظة القطا أكثر من 7 مرات بنسبة تصل إلى 2.1% بالنسبة لمفردات الحيوانات. وهذا قليل مقارنة بالفاظ الطيور.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
القطا	7	%100

الطيور الجارحة: فقد كان عدد مرات ظهور مفردات الجوارح أكثر من 30 مرة بنسبة 8.7% بالنسبة لمفردات الحيوانات. وقد أفاد الشاعر من ذكر الدلالة على قوة الممدوح حيناً والدلالة على قوة أبناء صقلية وشجاعتهم في الدفاع عن وطنهم حيناً آخر.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
العقبان	16	%57.1
النسر	8	%28.6
الصقر	3	%10.7
القشعم	1	%3.6

الخيل: لقد أسهب ابن حمديس في استخدام مفردات الخيل لصفاتها وألوانها المتعددة، لذا فقد كان يذكرها بألوانها وصفاتها، وقد كان عدد مرات ظهور مفردات الخيل أكثر من 80مرة بنسبة 22% بالنسبة لمفردات الحيوانات.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
السلاهب	4	%7.6
أبلق	1	%1.9
الخيول	21	%38.9
الصواهل	6	%11.1
الأدهم	8	%14.8
السابح	2	%3.7
الفرس	4	%7.6
النجيب	1	%1.9
الأشقر	1	%1.9
الاشعل	1	%1.9
الجياد	2	%3.8
الحصان	1	%1.9

الغزال، الظباء، المها، الرشأ، الرئم: عدد مرات الظهور للمفردات التي تدل على الغزال 68 مرة بنسبة 20.5% بالنسبة لمفردات الحيوانات.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
ظبي	21	%30.9
غزال	25	%36.8
رئم	12	%17.6

النسبة المئوية	مرات الظهور	المفرد
%4.4	3	رشا
%8.8	6	المها

وقد جاءت الألفاظ الدالة على الغزال تحمل معاني حقيقية ومعاني مجازية. وقد كان لها دور كبير ساعد الشاعر في أحادين كثيرة على رسم صورة جميلة للمرأة الجميلة من خلال تشبيهها بالغزال.

الأسود: لقد أكثر ابن حمديس من استخدام مفردات الأسد والأمن ذلك على استحضار معاني القوة والشجاعة التي صور بها ابناء صقلية للدفاع عن وطنهم، فقد كان عدد مرات ظهور المفردات الدالة على الأسد 89 مرة بنسبة 26.8% بالنسبة لمفردات الحيوانات.

النسبة المئوية	مرات الظهور	المفرد
%10.3	8	الشبل
%26.9	21	الاسد
%11.5	9	القسور
%21.8	17	الليث
%2.6	2	الهصور
%8	6	الهزبر
%15.4	12	الضرغام
%3.8	3	الغضنفر

النار، اللهب، الحر، الرمضاء: جاءت هذه الألفاظ في أشعار ابن حمديس وهي دالة على النار في أكثر من 22 مرة بنسبة تصل إلى 9% بالنسبة لمفردات الظواهر الجوية.

النسبة المئوية	مرات الظهور	المفرد
%9.1	2	النار
%27.3	6	اللهب
%59.1	13	الحر
%4.5	1	الرمضاء

وقد كان أكثر وروداً الحر، ولعل في ذلك دلالة على ضيق الشاعر، وتعطشه إلى وطنه وبلاده.

ألفاظ الماء: تعددت ألفاظ الماء في شعر ابن حمديس إلا أن أكثرها وروداً هي لفظ الماء. حيث كان عدد مرات ظهوره يزيد على 180 مرة، أما عدد الألفاظ الدالة على الماء فقد زاد على 350 مرة. وقد استخدم ابن حمديس كثيراً من الألفاظ الدالة على الماء، نوضح نسبها فيما يلي.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
الغيث	10	%47.6
القطار	1	%4.8
الوبل	2	%9.6
الودق	1	%4.8
بضربه	1	%4.8
مزنة	1	%4.8
بشؤبرب	1	%4.8
امطارها	1	%4.8

المياه الجارية: أكثر ابن حمديس من استخدام الألفاظ التي دلت على المياه الجارية. ولعل ذلــك يعود إلى الدلالة على الحركة المستمرة للشاعر وتنقله من مكان إلى آخر وقد كان لفظ البحر هو الأكثر وروداً بين هذه الألفاظ لما له من أهمية كبيرة في حياة ابن حمديس فهــو ســبب المــوت والحياة.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
السيل	19	%5.2
الجدول	13	%3.8
الانهار	9	%2.9
الينبوع	1	%10
البحر	96	%30.3
الدأماء	1	%1
الماء	179	%100

ونلاحظ أن الشاعر يعدل عن استخدام المفردات ذات الدلالة الخاصة إلى استخدام المفردات ذات الدلالة العامة من مثل لفظ الداماء فهي ذات دلالة خاصة.

النبات: كان عدد مرات ظهور مفردات الغطاء النباتي يزيد على 255 مرة، الأمر الذي كان له أثر كبير في إثراء المعنى والدلالة في أشعار الديوان، وقد كان أكثرها وروداً هو الغصن ثم الورد، فالأقحوان، فالزهر.... الخ، وقد حملت في طياتها المعاني الحقيقية والمجازية.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
النيلوفز	3	%1
الغصن	46	%9
الفنن	1	%2
الريحان	9	%3.5
الزهر	12	%5
الورد	22	%12.5
النارنج	1	%0.3
الأقحوان	14	%5.4
القضيب	8	%3.5

الظواهر الجوية: كان عدد ظهور مفردات الظواهر الجوية يزيد على 242 مرة وقد كانت الرياح هي الأكثر وروداً بينهما، فهي أمل للشاعر كلها تنقله من مكان إلى آخر، أو حزناً يضاف إلى أحزانه التي لا حصر لها، وتاليا النسب المئوية لألفاظ الظواهر الجوية.

المفرد	مرات الظهور	النسبة المئوية
السحاب	32	%13.2
الريح	60	%25.2
النسيم	18	%7.4
الهواء	12	%5.6
الهبوب	2	%7
الصبا	11	%4.5
البرد	13	%5.7
الصرد	1	%7.1
الرعد	12	%4.9
الغيم	11	%4.5
البرق	49	%20.2

يتبين لنا من الدراسة الاحصائية نتائج مهمة منها:

- قلة استخدام المفردات التي لا حضور لدلالتها في صقلية والأندلس، كالغبار والسراب، والسباسب، والسراب.
- ظهور التطور الدلالي للألفاظ واستخدامها بشكل جلي في الديوان. من مثل حديقة بدلاً من روضة.
- الاعتماد على استخدام الترادف بشكل كبير في الديوان وخاصة في أسماء الخيل والأسد والسيف وغيرها.
- استخدام المشترك اللفظي والاعتماد عليه بشكل كبير في تقريب الصفات بين الأشياء من مثل، شمس، غزال.
- تراجع استخدام المفردات ذات الدلالة الخاصة والاعتماد على استخدام المفردات ذات الدلالة العامة.
- ظهور المفردات المرتبطة بالدعة والسعادة والرفاهية والبيئة الصناعية بشكل كبير في الديوان، برك، قصور، رياض، زهور، بساتين، حدائق.
- قلة استخدام المفردات الدخيلة في أشعار ابن حمديس، ولعل ذلك يعود إلى اعتزازه باللغة العربية.
- استخدام المفردات ذات الدلالة القديمة والهجور طالباً لاستحضار التراث القديم.

الخاتمة:

لك الحمد يا ربّ إذ أعنتني بفـضلك وكرمـك علـى اتمـام هـذا الجهـد المتواضـع، حتى خرج على هذه الصورة، فلك الحمـد موصـولاً غيـر مبتـور، ولـك الـشكر عرفانـاً بالفضل غير منكور.

لقد وقفت هذه الدراسة على ألفاظ الطبيعة بـشقيها الـصامتة والحيـة فـي شـعر ابـن حمديس الصقلي، دراسة وتمحيصاً، إذ عالجـت فيهـا الدلالـة المعجميـة والدلاليـة وأبـرز المظاهر الجدلية. كما شملت الناحية الاحصائية فيهـا. وكـذلك بعـد عالجـت الدراسـة أثـر البيئيتين الصقلية والأندلسية في شعر ابن حمديس، ثقافـة وتكوينـاً ونبوغـاً طـارت شـهرته في الآفاق، وجعلت الشاعر أكثـر أقرانـه بلاغـة وفـصاحة، وشـهرة فـي صـقلية مولـد الشاعر، ثم في الأندلس عند ابن عباد الذي جعل ابـن حمـديس مـن خاصـته. فكـان لـذلك الأثر الكبير في شاعرية ابن حمديس.

وسنقف تالياً عند أهم النتائج التي توصلت إليهـا الدراسـة منـذ فـصلها الأول وحتـى آخرها. فقد كان للبيئة الصقلية أثر كبير في بنـاء شخـصية ابـن حمـديس الـشعرية. ولعـل ذلك عائد إلى ما كانت تعانيه صقلية من فتنة أطاحت بأبنائهـا مـن جهـة والطبيعـة الجميلـة التي صباها الله به. وقد برزت صورة صـقلية الـوطن الأم فـي شـعر ابـن حمـديس فـي مواطن كثير، اعتزازاً بها وشجاعة أبنائها، وحنيناً لهـا بعـد أن خـرج الـشاعر منهـا إلـى إشبيلية. ويظهر ذلك جلياً في قوله:

ولو أنَّ أرضي حُرّةٌ لأتيتها　　　　بعزم بغدّ السير ضربة لازب

ولكن أرضي كيف لي بفكاكها　　　　من الأسر في أيدي العلوج الغواصب

أما في الفصل الثاني فقد وقفـت الدراسـة عنـد ألفـاظ الطبيعـة الـصامتة، منهـا: المياه، الفاظ الغطاء النبـاتي، والظـواهر الجويـة والتـضاريس. وقـد اعتمـد عليهـا ابـن حمديس في شعره كثيراً، وهذا من بـاب الوصـف الـذي شـكل نـسبة تقـارب 10% مـن

شعر ابن حمديس مضافاً إليهـا وصـف الطبيعـة الحيـة مـن حيوانـات أليفـة أو غيرهـا وطيور. كل هذه الموجودات كان لها أثر كبير في شعر ابن حمديس.

وقد كان الماء وما دل عليه أكثـر ألفـاظ الطبيعـة الـصامتة وروداً فـي شـعر ابـن حمديس، ذلك أن الماء سبب حياة وموت عنده، فالماء سـبب فـي مـوت محبوبتـه، وسـبب في منع ابن حمديس من الوصول إلى وطنه. فقد زاد عـدد ورود الألفـاظ التـي تـدل علـى الماء على 350 مرة تقريباً بنسبة تصل إلى 33% تقريباً من الفاظ الطبيعة الصامته.

أما الفاظ الطبيعة الحية، فقد كانت الخيـل ومـا دل عليهـا مـن الفـاظ الأكثـر وروداً مقارنة بألفاظ الطبيعة الحية الأخـرى، فقـد زاد عـدد مـرات ورود الالفـاظ الدالـة علـى الخيل على أكثر من 80 مرة تقريبـاً بنـسبة تـصل أكثـر مـن 20% بالنـسبة للحيوانـات الأخرى.

لقد كان لألفاظ الطبيعة أثر كبير في ديوان ابـن حمـديس علـى مختلـف المـستويات المعجمية والدلالية والصرفية، فقـد عبـق بهـا الـديوان، حيـث كـان عـدد مـرات ورود الألفاظ الطبيعية ألف وخمسمائة مرة تقريباً، وهذا يـدل علـى الاهتمـام الكبيـر مـن جانـب ابن حمديس بالطبيعة التي اغدق عليها كل ما يـستطيع. حتـى يرسـم لوحـات فنيـة جميلـة ملؤها الحياة والجمال. وألوانها الرونق والبهاء. فـي مختلـف أغراضـه الـشعرية التـي لـم تتواصل معانيا من غير الطبيعة بكل ما فيهـا مـن متحـرك أو صـامت. فقـد جعـل ابـن حمديس من الصامت متحركاً، ومن المتحرك صـامتاً، ومـن الأصـم ناطقـاً ومـن العاقـل هائماً في أحضان الطبيعة.

وأخيراً هذا ديوان ابن حمديس، ديوان زاخـر بالجمـال والروعـة، ومعـانٍ فياضـة، وألفاظ معطاءة، وقافية تطرب بايقاعهـا الأصـم. فهـذا جهـدي مـا اسـتطعت، والله ولـي التوفيق.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن جني: **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، جـ 2 1955.

ابن حمديس: **ديوان ابن حمديس**، تحقيق الدكتور محمد عبّاس، دار صادر، بيروت 1960.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر أبو العبّاس: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة 1948.

ابن دريد، ابو بكر محمد ابن حسن: **جمهرة اللغة**، تحقيق محمد السورتي، 1344 هج.

ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر ونقده**، تحقيق الدكتور محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الكبرى، القاهرة، ط3، 1963.

ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا: **مقاييس اللغة**، تحقيق عبد المنعم، القاهرة، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، 1969، 1972.

ابن فارس، أبو الحسن: **الصاحبيّ في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة (أ) بدران للطباعة والنشر، بيروت، 1964.

ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل: **المخصص**، بيروت، دار الفكر.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.

ابو الخشب، ابراهيم: **تاريخ الادب الاندلسي**، مطبعة المعرفة. القاهرة. 1959

أبو الطيب عبد الواحد بن علي: **الأضداد في كلام العرب**، تحقيق عزت حسن، دمشق، 1963.

أبو العباس، محمد بن يزيد: **المقتضب المبرّد**، تحقيق محمد عبد الخالق، عالم الكتب، بيروت

الإدريسي أبو عبد الله، محمد بن عبد لله: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، روما 1778.

الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير الأموي: **عمدة الطبيب في معرفة النبات**، تحقيق خطاب محمد العربي، دار العرب الإسلامي، بيرروت، 1995.

الأنباري، محمد بن قاسم: **الأضداد**، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط2، مطبعة حكومة الكويت، التراث العربي، 1986.

أنيس، إبراهيم: **في اللهجات العربية**، ط64، مكتبة الأنجلو المصرية.

أنيس إبراهيم: **دلالة الألفاظ**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1973.

الأزهري، محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون.

بكّار، يوسف: **بناء القصيدة العربية**، القاهرة، 1979.

التهاوني، محمد علي الفاروقي: **كشف اصطلاحات الفنون**، تحقيق لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة المصرية، 1963.

توريز تانو، إمبرتو: **تاريخ الأدب العربي في صقلية**.منشورات الجامعة الأردنية كلية الآداب، محاضرات ألقاها على طلبة اللغة العربية وآدابها 1965.

الجواليقي، أبو منصور، موهوب بن أحمد بن محمد الخضر: **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، 1990.

الجوهري، الصحاح: **أبو نصر إسماعيل بن حماد**، بيروت، دار العلم للملايين، 1979.

حاجي خليفة، مصطفى ابن عبد الله، **كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون**، استنبول، وكالة المعارف، 1941.

حميد، بدير متولي: **قضايا أندلسية**، دار المعرفة، القاهرة، 1964.

حسن، عبد الحميد: **الألفاظ اللغوية وخصائصها وأنواعها**، مطبعة الجبلاوي، قسم البحث والدراسات اللغوية، 1971.

خضر حازم: **وصف الحيوان في الشعر الأندلسي فـــي عـــصر الطوائـــف والمـــرابطين**، دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد 1987.

الخفاجي، شهاب الدين: **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل**، تحقيق محمد عبد المـــنعم الخفاجي، مكتبة أكرم الحسيني، مطبعة النيرية، الأزهر 1952.

الداية، محمد رضوان: **تاريخ النقد الأدبي في الأندلس**، دار الأنوار، ط1 بيروت.

الركابي، جودت: **في الأدب الأندلسي**، دار المعارف، مصر 1966.

الزيات، أحمد حسن: **تاريخ الأدب العربي**، ط6، دار الثقافة بيروت، 1978.

استيفن، أولمان: **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة كمال بشر، ط2، 1962.

السعيد، محمد مجيد: **الشعر في ظل بني عباس**، مطبعة النعمان، اليمن الأشرف، 1972.

سلامة، إبراهيم: **بلاغة أورسطو بين العرب واليونان**، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1952.

السيوطي، جلال الدين: **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، مطبعة السعادة، مصر، 1325هـــ.

الشكعة، مصطفى: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، دار العلم للملايين، بيروت.

شلبي، سعد إسماعيل، **الأصول الفنية للشعر الأندلسي عصر الإمارة**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1982.

شلبي، سعد إسماعيل: **ابن حمديس الصقلي شاعرا**، دار الفكر العربي القاهرة، 1986.

الشلبي، سعد إسماعيل: **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف**، دار النهضة، القاهرة، 1978.

شلبي، سعد اسماعيل: **ابن حمديس حياته وشعره**، مكتبة غريب، القاهرة.

الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، دار الثقافة، بيروت.

الصالح، صبحي: **دراسات في فقه اللغة**، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1973.

الصقلي، ابن القطاع، أبو القاسم علي بن جعفر بن علي: **الدر الخطيرة في شعراء الجزيرة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1965.

ضيف، أحمد: **بلاغة العرب في الأندلس**، دار المعارف للطباعة والنشر، ط2، تونس 1998.

ضيف، شوقي: **فصول في الشعر ونقده**، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1988.

ظاظا، حسن: **كلام العرب في قضايا اللغة العربية**، دار النهضة العربية، 1976.

عبّاس، إحسان: **العرب في صقلية**، دار المعارف، مصر، 1959.

عبّاس، إحسان: **تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين**، ط5، دار الثقافة، بيروت، 1978.

عمر، أحمد مختار: **علم الدلالة**، ط5، القاهرة، عالم الكتب، 1998.

عيد، رجاء: **دراسة في لغة الشعر رؤيا نقدية**، منشأة المعارف، الإسكندرية.

عيسى، فوزي سعد: **الشعر العربي في صقلية**، منشورات المعارف،الاسكندرية

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي: **المستصفى من علم الأصول**، المطبعة الأميرية، بولاق 1322هـ.

الفيروز بادي، مجد الدين: **القاموس المحيط**، المكتبة التجارية، مصر.

المدني، أحمد توفيق: **المسلمون في جزيرة صقلية**، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1969.

المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد: **نفح الطيب في الغصن الرطيب**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1949.

نوفل، سيد: **شعر الطبيعة في الأدب العربي**، مطبعة مصر، القاهرة، 1945.

وافي، علي عبد الواحد: **فقه اللغة**، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر. 1997.

الملاحق

	المياه
أنهار،نهر:	27، 242، 256، 310، 462، 61، 183، 203، 206، 230.
بحر:	4، 4، 8، 8، 8، 8، 10، 11، 27، 27، 35، 58، 52، 77، 61، 62، 79، 81، 105، 108، 124، 141، 141، 146، 150، 146، 147، 147، 149، 153،151، 157، 164، 195، 208، 212، 213، 216، 215، 215، 218، 223، 225، 226، 230، 235، 238، 239، 239، 241، 223، 223، 233، 251، 260، 285، 241، 242، 244، 246، 246، 253، 256، 257، 267، 275، 275، 285، 288، 292، 298، 324، 324، 331، 333، 339، 369، 370، 371، 385، 393، 393، 396، 403، 403، 451، 413، 422، 457، 460، 463، 469، 472، 477، 488، 498، 505، 506، 517، 533، 533، 534، 560، 560، 170.
جداول،جدول:	77، 242، 306، 359، 379، 382، 383، 383، 396، 77، 203، 262، 270.
سيل:	7، 52، 117، 127، 153، 221، 230، 246، 232، 363، 400، 401، 404، 465، 511، 61، 221.
ماء:	4،1، 5، 7، 9، 11، 13، 16، 17، 18، 19، 20، 25، 28، 29، 30، 31، 36، 38، 39، 45، 46، 51، 71، 68، 83، 85، 91، 95، 99، 103، 106، 114، 109، 116، 118، 120، 123، 125، 126، 136، 144، 146، 153، 154، 155، 157، 158، 159، 162، 168، 178، 183، 187، 198، 210، 223، 250، 226، 226، 228، 233، 237، 239، 241، 248، 253، 254، 258، 262، 317، 439، 528، 440، 532، 547، 181، 184، 192، 202، 205، 210، 214، 215، 242، 317، 56، 267، 271، 278، 285، 301، 303، 306، 317، 330، 341، 353، 354، 356، 358، 371، 376، 377، 379، 394، 396، 397، 403، 410، 414، 420، 427، 431، 433، 443، 449، 450، 451، 452، 456، 466، 468، 469، 472، 484، 488، 492، 495، 496، 499، 502، 511، 512، 513، 518، 524، 532، 533، 534، 537، 538، 540، 541، 548، 556.
مطر:	74، 87، 151، 175، 220، 236، 246، 314، 319، 372، 460، 366،457، 377، 369،51، 54، 4، 412،483.

غيم، غيمة:	19، 84،74، 99، 191، 467، 321، 436، 436، 439، 440، 462.
نار:	7، 9، 16، 24، 24، 51، 53، 69، 72، 152، 153، 159، 164، 166، 182، 202، 202، 219، 283، 300، 307، 311، 326، 346، 347، 348، 366، 368، 387، 393، 304، 396، 396، 406، 428، 429، 442، 447، 448، 458، 459، 474، 504، 504، 505، 516، 527، 528، 547، 56، 32، 97، 115، 495، 499، 497.
نسيم:	3، 3، 13، 51، 51، 89، 125، 228، 245، 264، 312، 332، 406، 547، 555، 438، 470، 505.
هواء:	4، 60، 61، 389، 417، 305، 353، 273.
	الطيور
بلبل:	162، 357، 369، 395، 420.
حمام، حمامة:	11، 147، 165، 222، 259، 268، 322، 327، 111، 338، 358، 366، 367، 459، 470، 488، 505، 553، 112.
صقر:	227، 271، 381.
طيور، طائر:	6، 34، 35، 45، 126، 150، 154، 193، 223، 226، 268، 298، 301، 303، 312، 318، 335، 357، 370، 414، 393، 422، 424، 422، 477، 496، 520، 539، 206، 241، 419، 508، 229، 231، 120، 254، 20،14.
عصافير،عصفور:	50، 177، 240.
عقاب:	59، 253، 7، 71، 211، 240، 247، 318، 327، 424، 425، 466، 508، 511، 551، 210، 445، 448، 365.
غراب:	11، 65، 93، 147، 307، 110، 226، 331، 424.
قشعم:	238، 294، 295، 414، 482.
قطاة، قطا:	39، 99، 212، 96، 232، 327، 253.
نسور، نسر:	157، 226، 254، 287، 291، 318، 240، 369.
	الأغصان
اقحوان، أقحوانها:	78، 258، 244، 176، 264، 278، 301، 318، 332، 369، 407، 452، 459، 488.
أجام:	468، 475، 553، 45، 554، 50، 120، 148، 203 230، 230، 314، 358، 37، 316، 503، 330،
أشجار، أشجارها:	100، 54، 165، 395، 512،

أغصان، غصن:	253، 259، 282، 282، 322 ، 332، 363، 358، 376، 407، 411، 430 452، 459، 470، 473، 487، 489، 491، 493، 495، 505، 505، 505، 547، 548،552، 120، 96،
ثمر، ثمار:	102، 259، 277، 369، 495، 503، 522، 154، 180، 200، 111، 281، 554.
حدائق، حدائقه:	187، 215، 237، 391، 395، 522، 110، 197، 237،65.
رمان، رمانه:	332، 343، 345، 380، 473، 489، 512، 102، 199، 237،
رياض، روضه:	13، 48، 79، 85، 10، 124، 125، 156، 187، 187، 192، 235، 245، 268، 271، 284، 291، 265، 301، 303، 341، 343، 351، 353، 357، 386، 395، 400، 433، 457، 459، 466، 480، 488، 491، 493، 495 502، 505، 553، 554، 131، 212، 236، 251، 554،
ريحان، ريحانه:	12، 83، 216، 282، 470، 495، 502، 113، 197.
زهر، أزهارها:	5، 84، 131، 156، 167، 268، 341، 353، 412، 491، 120، 212، 158،
سوسن، سوسنه:	235، 503،
غصن، غصن:	12، 13، 13، 50، 84، 90، 96، 125، 126، 126، 146، 150، 165، 176 232.
القضب، قضب:	182، 277، 284، 367، 102، 192، 352، 357
كافور، كافور:	9، 87، 96، 167، 202، 317.
نرجس، نرجسه:	150، 150، 278، 345، 553، 245، 371،
ورد، ورد:	10، 23، 48، 58، 61، 85، 97، 109، 138، 174، 233، 237، 235، 317، 330، 330، 332، 345، 356، 358، 371، 372، 376، 407، 430، 458، 489، 529، 410.
ورق، ورقه:	214، 242، 253، 308، 322، 323، 338، 370، 412، 412، 150، 472،
الياسمين، ياسمينه:	237، 489
	الحيوانات
ابل	97، 118، 118، 134، 235، 168، 241، 449، 160، 168، 206، 233، 274، 293، 309، 331، 347، 368، 381، 306، 408، 469، 526،

أسد، أسد:	484، 496، 501، 502 503، 504، 512، 512، 512، 520، 520، 520، 520، 527،
خيل،خيل:	32، 51، 54، 61، 61، 127، 151، 184، 196، 247، 253، 358، 389، 390، 390، 390، 390، 73، 77، 106، 114، 150، 236، 253، 254، 261، 279، 285، 289، 310، 319، 319، 329، 362، 393، 388، 398، 416، 444، 435، 444، 447، 457، 458، 468، 496، 496، 498، 498، 506، 508، 532، 514، 43، 57، 57، 59، 61، 65، 86، 96، 115، 119، 140، 146، 156، 196، 196، 200، 226، 229، 227، 227، 323، 234، 247، 251، 253، 256، 259، 258، 261، 11، 396، 409، 423، 426، 447، 447، 448، 464، 506، 531، 531، 7، 1، 32، 71، 100، 101، 104، 115، 121، 135، 145، 156، 162، 196، 217، 242، 250، 256، 268، 284، 321، 338، 340، 353، 357، 359، 315، 365، 370، 373، 374، 374، 377، 377، 388، 90، 391، 403، 412، 417، 419، 423، 428، 451، 468، 472، 475، 475، 484، 414، 420، 420، 422، 422، 477، 496، 508، 520، 536، 531، 531،
طيور، طائر	226، 229، 231، 241، 419، 422، 6، 14، 34، 35، 45، 50، 73، 100 120، 126، 162، 177، 193، 223، 206، 240، 254، 268، 303، 312، 318، 370، 393، 395،
عقبان، عقابا	253، 506، 7، 7، 157، 210، 210، 226، 227، 240، 240، 247، 254، 271، 287، 291، 318، 318، 327، 331، 360، 366، 425، 445، 448، 466، 482، 508، 511،
غزال، ظباء، مها:	6، 12، 4، 99، 191، 200، 232، 135، 138، 259، 268 265، 301، 330، 339، 355، 387، 403، 407، 407، 444، 502، 02، 65، 113، 256، 390، 425، 101، 140، 263، 285، 285، 277، 288، 303، 317، 341، 344، 344، 345، 345، 361، 372، 363، 459، 487، 520، 176، 162، 284، 288، 288، 318، 353، 359، 381، 510، 150، 459، 411، 363، 419، 158، 226، 246، 322، 367، 367،
قطا، قطاه	39، 99، 212، 101، 96، 253، 327،

An- Najah National University
Faculty of Graduate Studies

The Vocabulary of Natural Environment in the Poetry of Ibn Hamdis

Prepared by
Rafat Mohammed Sa'id Steiti

Supervised by
Dr. Yahya Jaber

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master in Arabic Faculty of Graduate Studies at An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2007

The Vocabulary of Natural Environment
in the Poetry of Ibn Hamdis
Prepared by
Rafat Mohammed Sa'id Steiti
Supervised by
Dr. Yahya Jaber

Abstract

This study aimed to discuss the natural terms in Ibn Hamdis AL-Siqilli's book in terms of denotation, lexicography semanties, and morphology and statistically.

The study consists of an introduction and four chapters, in addition to statistical study of the natural vocables that explains their attribution in Ibn Hamdis poetry.

The researcher presented Ibn Hamdis life in the first chapter, and about the impact of both Sicilian and Andalusian environment on his life and poetry. He also discussed Ibn Hamdis ability to invent and propogate meanings and denotations. In the second chapter the researcher presented the silent natural vocables including vocables of water, potanic apron, weather phenomena and landmarks. In the third chapter the researcher presented the natural vocables of animal including domestic and wild animals. Then, he completed the talk about the bird species such as pigeons and mordants. Whereas in the fourth chapter the researcher presented some linguistic issues briefly for clarification purpose in the book. Such linguistic issues mentioned are namely joint verbal, synonyms, antonyms Arabization, non – native vocables and syntactic morphology. Then, he introduced the statistical study. Finally, the researcher concluded a summary which explains the most distinguished results concluded by the researcher.